

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق



العدد الرابع عشر

العدد ٣٩

١٩٩٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة
مجتمع اللغة العربية الأردني

(مجلة متخصصة محكمة)

تصدر مرتين في السنة

- * البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها ، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر ، وان تتوافر فيها شرائط البحث العلمي .
- * يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين ، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره .
- * البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها .
- * يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية .
- * تقبل للنشر مراجعات الكتيب إذا كانت قيمة .
- * يجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر ، بعد نشره في مجلة المجتمع ، شريطة أن يشير إلى ذلك .

الاشتراكات

ثلاثة دنانير سنوياً

في الاردن

في البلاد العربية والاجنبية ثمانية دولارات سنوياً او ما يعادلها
تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من المشتركين

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس المجلة

الأعضاء:

- الأستاذ الدكتور محمود السمره نائب رئيس المجلة
الأستاذ الدكتور سعيد التل
الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم
الأستاذ عبد الرحمن بن شناق
الأستاذ الدكتور فتنديل شاكر
الأستاذ الدكتور عبد المجيد نصير
الأستاذ الدكتور إحسان عباس
الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عرييات
الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري
الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني
الأستاذ الدكتور همام غصيب

فهرس العدد ٣٩ لعام ١٩٩٠

- أولاً : البحوث ٩
- ١ - الذهاب من مواد النحو القديم في العربية الحديثة
 د. إبراهيم السامرائي ١١
- ٢ - وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة د. عدنان الخطيب ٦٧
- ٣ - صورة عاد في الشعر الجاهلي د. أنور أبو سويلم ١٢٣
- ٤ - ما وصل إلينا من شعر عباس بن فرناس د. صلاح جرار ١٥٥
- ٥ - الوجدان الجماعي في الشعر الجاهلي د. عبد الغني زيتوني ١٧٩
- ٦ - صنع دواوين الشعراء ونظرة في شعر زفر بن الحارث المجموع
 المهندس حاتم غنيم ٢١٣
- ثانياً : مع الكتب ٢٥٥
- ١ - التاريخ الدبلوماسي للمغرب، للدكتور عبد الهادي التازي
 بقلم المؤلف ٢٥٧
- ٢ - كتيب مخطوط للسلفي ، حمله باللغة الفرنسية جورج فاجدا ،
 نقله إلى العربية وعقب عليه الأستاذ محمد خير البقاعي ٢٨١
- ثالثاً : تعليقات ومناقشات ٣١٩
- ١ - ديوان عبد الله بن رواحة ، نقد واستدراك الأستاذ عبد الكريم الحبيب ٣٢١
- رابعاً : أخبار جمعية ٣٤٣
- مشروع قانون اللغة العربية ٣٤٥
- قانون تعميم اللغة العربية في الجزائر ٣٤٩
- مشاركة المجمع في الحركة الثقافية والعلمية ٣٥٠
- مجتمعون في ذمة الله ٣٥٥
- تأليف كتب مبحث اللغة العربية لمرحلة التعليم الأساسي ٣٦١

أولا : البحوث

الزَّاهِب

من

مَوَادِّ النُّحُوِّ القَدِيمِ فِي العَرَبِيَّةِ الحَدِيثَةِ

د. إبراهيم السَّامِرِيُّ

المقدمة

تميز المعجم الحديث في «عربيتنا الحديثة» بسعة ما جدَّ فيه من المولدات التي يدخل كثير منها في باب المصطلحات الفنية. إنك لتجد من ذلك طائفة كبيرة في كل علم من العلوم الحديثة، وفي كل فن من فنون الحياة. وإن هذا الجديد يؤلف معجماً في كل باب من أبواب العلم الحديث. وقد يكون الجديد في هذه العربية شيئاً آخر نقف عليه كل يوم في الصحف والمجلات والكتب. وهذا الجديد يندرج في وجوه القول مجازاتٍ وتشبيهاتٍ، وشيئاً آخر أدّى إليه التوسع والنظر الجديد. إن جملة ذلك يندرج في باب ما ندعوه بـ «التطور» الذي اقتضاه العصر. وهذا شيء لا بد منه في كل لغة حديثة.

ومن هنا كان لزاماً علينا أن ندخل جماع هذا في شيء ندعوه «المعجم الحديث». إن هذا المعجم، على كونه وثيق الصلة بالمعجم القديم، إلا أنه جديد في كل شيء، ذلك أن مواده تختلف دلالة واستعمالاً عن نظائرها وأصولها القديمة. وأنت لا تجد في المعجم الحديث طائفة كبيرة من الكلم القديم الذي ذهب قيمته في عصرنا، فأصبح مادة تاريخية نواجهها في النصوص القديمة، وفي أبواب المعارف القديمة.

ومن هذا الذي زال في عربيتنا الحديثة شيء كثير من مواد النحو. وقد رأيت أن أعرض لهذا الزائل الذي لا نعرفه في لغتنا الجديدة، ولا يرد فيما نكتب وما نقول. وأنا أدرج هذا الذي سأعرض له في هذا الموجز من الصناعة المعجمية بحسب ترتيب حروف المعجم (١)، وقد أفرغت ما لدي من مواد أودعتها حشداً من الجزازات.

إن عملي هذا يدفع إلى أن حاجتنا إلى نحو جديد في العربية يُقَدَّم إلى الشداة المتعلمين في المرحلتين الدراسيتين، الابتدائية والثانوية ضرورية وهو بعيد عن تلك المواد التي لا يراها الدارسون في العربية الحديثة.

وهذا يعني أن النحو كما ورثناه يكون حاجة الدارسين للعربية في الأقسام الخاصة في كليات الآداب وغيرها.

باب الهمزة

١ - الهمزة لنداء القريب حقيقة أو تصوّراً، نحو قول امرئ القيس:

أفأطم مهلاً بعض هذا التدلّل وإن كنت قد أزمعت صرّمي فأجلي

أقول: قد تستعمل هذه في عصرنا فتد في شعر الملتزمين بالقافية والوزن، والشاعر في فنه هذا محكوم بصنّعه. وقد يرد منها شيء، على سبيل النادرة، في شعر أصحاب الشعر الجديد. ولكن أستطيع أن أقطع أن المترسلين نثراً في المقالة والقصة والرواية ونحو ذلك لا ينجحون إلى استعمال هذه الهمزة في باب النداء إلا ابتغاء التفاضح لدى نفر منهم.

٢ - همزة التسوية:

وهي الهمزة الداخلة على جملة يصح وقوع المصدر موقعها، وتكون بعد «سواء» أو «ما أبالي» أو «ليت شعري» أو «ما أدري» نحو قوله تعالى:

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ ٦ سورة البقرة

(١) أثبتت الكلمة بحسب الحرف الأول غير ناظر إلى أصلها.

ويلى هذه الهمزة كلمة «أم» المعادلة .

وقول الشاعر :

وما أدري ولستُ إخال أدري أقومُ آلَ حِصْنِ أم نساء

أقول : وتسقط هذه الهمزة بعد شيء من هذه الألفاظ ، ثم تليها كلمة «أم» في العربية المعاصرة ، يقال : سواء حضرت أم لم تحضر .

نعم ، قد تسقط الهمزة في الفصيحة القديمة ، ولكنها مقدرة موجودة ، كما في الآية السابقة ، فقد قرئت بإسقاط الهمزة ، وهي مقدرة لدى أهل اللغة ، وسقوط هذا ليس كسقوطها في العربية الحديثة ، ذلك أن المعربين يسقطونها ، وليس على نية التقدير .

الألف :

١ - وأريد بها المبدلة من نون التوكيد الخفيفة ، كما في قوله تعالى :

﴿وَلْيَكُونُوا مِنَ الصَّاعِغِينَ﴾ ٣٢ سورة يوسف .

وهذه ترد كثيراً في الشعر القديم ، كقول أحدهم :

وإياك والميتات لا تقربنَّها ولا تعبد الشيطان ، والله فاعبدا (٢)

والتقدير : «فاعبدنَّ» .

٢ - الألف عوضاً من المضاف إليه ، وهي التي تزداد في «بين» كقولك : بينا كنتُ أسير لمحتك من بعيد .

أقول : لا نعرف هذه الألف في العربية المعاصرة ، والمعربون يستعملون «بينها» وهم يصلون إلى ما يريدون .

٣ - الألف الزائدة في المنادى المستغاث أو المتعجب منه أو المندوب ، نحو :

يا يزيدا لأمِلِ نَيْلَ عِزِّ وَغِنًى بَعْدَ فَاقَةٍ وَهَوَانِ (٣)

(٢) معني اللبيب ص ٣٧٢ (ط . دار الكتاب العربي) .

(٣) معني اللبيب ص ٣٧١ .

وقال جرير:

حُمَّلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبْرَتْ لَهُ وَقُمْتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَا (٤)

وقد يرد هذا بعد «وا» في الندبة نحو قول المتنبي:

وَاحِرَّ قَلْبَاهُ مَمَّنْ قَلْبُهُ شَيْمٌ وَمَنْ بِجَسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ
وليس هذا خاصاً بالشعر فقد يقال: يا عجبا لك.

أقول: ولا نعرف هذا في العربية الحديثة، بل إن باب الاستغاثة والندبة قد أوشك جملةً أن يزول. وإن المعريين يعربون عن الاستغاثة وما يندرج في الندبة بأساليبهم فيظهرون توجعهم وتفجعهم وأسفهم في غير هذه «القبالب».

آمين :

قالوا: اسم فعل أمر مبني على الفتح، بمعنى استجب، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ولا أريد أن أعرض لما ورد فيه من لغات، ولكني أقول إن بناء «فاعيل» لم يرد في العربية، ومن هنا فهو دخيل فيها من لغات سامية، وهو كذلك في العبرانية (ه) ويرد هذا على وجه الخصوص بعد تلاوة سورة الفاتحة.

وفي شواهد النحو قول الشاعر:

يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي حَبَّهَا أَبَدًا وَيَرْحَمِ اللَّهُ عَبْدًا قَالِ آمِينَا (٦)

أقول: وبقي «آمين» في عصرنا مقصوراً على قوله بعد تمام تلاوة «الفاتحة» وربما تجاوز هذا الموطن في الكلام الدارج.

أقول: والكثير مما اصطلح عليه أسماء الأفعال قد أوشك أن يزول، بل

(٤) معني اللبيب ص ٣٧٢.

(٥) وقد ورد من هذا «قاييل»، والبناء معروف في اللغة السريانية، فمن أعلام النصارى بابل وقاييل، وناصيف.

(٦) شذور الذهب ص ١١٦.

زال بعضه ونسي ، وسرى في استقرائنا لمواد هذا المعجم شيئاً من ذلك .

أه :

قالوا: اسم فعل مضارع بمعنى «أتوجّع» مبني على الكسر، وهي لغة في «أوه» وقد تنوّن فيقال: آه .

أقول: «آه» وجملة أخرى من كلمات هي في حقيقة الأمر أصوات يطلقها الإنسان للإعراب عن حال عاطفية خاصة من ألم وخوف ودهشة ونحو ذلك، وقد وضع لها النحاة معاني فعلية وأدرجوها في باب «اسم الفعل» .

وهذه نادرة الحضور في العربية المعاصرة، وقد يأتي شيء منها في معرض القصص .

أب :

ترد بحرفين فتعرب بالحركات، وترد معربة بالحروف (الواو والألف والياء) .

أقول: وهذه معروفة في العربية الحديثة إلا ما كان منها بلغة القصر، كقولهم:

إن أباهما وأبا أباهما قد بلغا في المجد غايتاهما (٧)

فإنها لغة قديمة لم يبق شيء منها في عربيتنا الحديثة .

أبتع :

من ألفاظ التوكيد المعنوي، ومؤنثها بتعاء، ولا تضاف إلى ضمير المؤكد، وتحيى لتقوية معنى «كلّ» في التوكيد التي تسبق ألفاظ التوكيد وهي: أبتع، وأبضع، وأجمع، وأكتع، نقول: جاء القوم كلهم أجمعون أبتعون أبضعون أبتعون، وجاءت القبيلة كلها جمعاء كتعاء بضعاء بتعاء .

أقول: وهذا من النادر الغريب في العربية القديمة، والكثير منه لفظ

(٧) مغني اللبيب ص ٣٨ .

«أجمع» كما في قوله تعالى: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» ٣٠ سورة الحجر.
ولم يبق شيء من هذا في العربية الحديثة إلا التوكيد بلفظ «أجمع وجمعاء»
فقد يرد على وجه من القلة والندور.

أبْصَع :

انظر : أبتع .

ابنم :

قالوا: لغة في «ابن» وحركة الإعراب تظهر على الميم ويتبعه الحرف
الذي قبله، فنقول: «ابنم» رفعاً و«ابنأ» نصباً، و«ابنم» جرّاً (٨).
أقول: و«ابنم» تردُّ في جملة الأسماء التي همزتها همزة وصل نحو: «ابنُ
واسمٌ وأسْت . . .» .

وقد ورد في هذه الأسماء «أينم» في قولهم: «أينم الله» في القسم، ولكثرة
تردادها تحولت إلى «أيم الله» وحذفت النون. وكأني أرى أن إدراج «أينم» مع
الأسماء التي همزتها همزة وصل غير صحيح، وذلك لأن «أينم» في قولهم «أينم
الله» في القسم هو جمع «أينم» نظير «أشهر» جمع «شهر»، ولا يمكن أن تكون
همزتها على هذا همزة وصل. والذي أرجحه أن الكلمة «ابنم» صارت تقال:
«ابنمن» وكتبوا التنوين نوناً، و«ابنمن» هذه قد تُصَحَّف فتكون «أينم» .

أقول: إن «ابنم» بالميم كلمة نادرة، وهي مما زال من الاستعمال في
عربتنا الحديثة. وهي في تاريخها القديم تشير إلى ما انتقل من الكلم القديمة من
لغة يمنية أو من لغة سامية أخرى كالأكدية، وفي هذه اللغات يكون ما ندعوه
«تنويناً» في العربية «تمييناً» أي إلحاق ميم في آخر الكلم (٨) ولم يشعر العرب
القدماء من غير اليمنيين أن هذه الميم تقابل نون التنوين، بل عدوها من بنية
الاسم.

(٨) أقول: ومثل هذا في زيادة الميم كلمة «فم»، وهي في العربية «فو» نظير «أبو»، ولكن الميم
لحقتها في لغة يمنية وغيرها، ولم يعرف العربون هذه الميم، وجمعها اللغويون على «أفمام» وهي
«أفواه» .

أَجْدُكَ :

قالوا: مصدر نائب عن فعله المحذوف منصوب، وقالوا: معناه أجدُّ منك.

أقول: وهذا من الكلم القديم الذي لا نعرفه في عربيتنا المعاصرة، وقد يتعذر وجوده في شعر الشعراء أصحاب القافية والوزن.

أَجْدَل :

قالوا: هو الصقر، وهي كلمة ليست صفة، وقد رأى فيها بعضهم القوة فمنعها من الصرف لوزن «أفعل» وما فيها مما يتخيل أنه صفة، فقالوا: نظرت إلى أجدل، وأكثر النحاة يصرفونها لتعذر وجود الصفة.

ومثل هذا «أخيل» اسم طائر، فقد رُئي فيها معنى «التخيل» ولذلك جاء فيها الصرف والمنع.

أقول: وهذا كله من المواد النحوية التي زالت في العربية الحديثة، بل ربما كان قليل من أهل العلم اللغوي يعرف هذا.

أَجْمَع :

انظر: «أبتع».

أَحَاد :

قالوا: لفظ صيغ من العدد على وزن «فُعَال» وهو ممنوع من الصرف، معدول عن واحد واحد، نحو: جاء القوم أحاد. والكلمة في الاستعمال تأتي صفة أو حالاً أو خيراً، وكذلك ما صيغ على بنائه نحو: ثناء وثلاث، ورُبَاع، وخُماس..

أقول: وليس شيء من هذا في العربية الفصيحة المعاصرة.

أَخ :

قالوا: اسم فعل مضارع مبني على السكون بمعنى «أتوجع» وفاعله ضمير مستتر تقديره «أنا».

أقول: وهذا مما أدرجه النحاة في هذا الباب، وقد قلت في «آه» ما يصح أن يكون هنا أيضاً.

والكلمة مما لا يعرف في العربية الحديثة، بل إنها تحولت إلى كلمة عامية دارجة، وهي في العامية «آخ» مع المدّ.
أخّ:

وهي تستعمل على لغة القصر نظير أب، ولكن هذا قليل، والكثير فيها الإعراب بالواو والألف والياء، من الأسماء الخمسة.

أقول: وهذا كله معروف في العربية الحديثة، إلا لغة من ألزمها الألف، وهي لغة عربية يمنية. انظر «أب».

اخْلَوْلَقَ:

قالوا: فعل ماضٍ مبني على الفتح من أفعال الرجاء، جامد لزم بناء الماضي، يدلّ على رجاء وقوع الخبر، يعمل عمل «كان» الناقصة، غير أن خبره جملة فعلية فعلها مضارع مقترن بـ «أن» الناصبة، نحو: اخلولق المطران ينزل.

أقول: وهذا من الكلم الذي لا تضبطه في نص قديم، ولكننا نجده في المثال النحوي المصنوع.

وهو على آية حال غير مستعمل في العربية الحديثة.

أخْوَلَ أخْوَلَ:

قالوا: حال مركبة مبنية على فتح الجزئين تركيب «أحد عشر» بمعنى «متفرقين» نحو: تساقطوا أخْوَلَ أخْوَلَ، أي متفرقين، واحداً بعد آخر.

أقول: وهذا من الكلم النحوي الذي زال من الاستعمال.

أخْيَل:

انظر: «أجدل».

إِذْمَا :

قالوا: حرف شرط جازم لفعلين مضارعين غالباً، ومنه الشاهد النحوي:

وإِنَّكَ إِذْمَا تَأْتِ مَا أَنْتَ أَمْرٌ بِهِ تُلْفِ مَنْ إِيَّاهُ تَأْمُرُ آتِيَا(٩)

أقول: ولم أقف على شاهد غير هذا جاء في «إذما».

و «إذما» هذه مما زال من مواد النحوي العربية الحديثة.

إِذْنٌ :

قالوا: إنها ناصبة على أن تكون في صدر الكلام، والفعل بعدها مستقبل، وأن تتصل به ولا يفصل بينهما فاصل، ولكن الفاصل هذا إذا كان قسماً نصبت الفعل أيضاً.

أقول: ولم يرد شاهد لـ «إذن» هذه الناصبة بهذه الشروط، في نص يعتد به، آية أو بيت شعر قديم، وهم يمثلون لها بكلام مصنوع.

أقول: وهذا كله مما لا نعرفه في لغتنا العربية المعاصرة.

أَرَى :

فعل ماضٍ ينصب ثلاثة مفاعيل . . .

وللفعل أحكام:

١ - الإلغاء، وهو إبطال العمل لفظاً ومعنى - إذا تقدم أحد المفعولين الثاني أو الثالث، أو الاثنان معاً على الفعل، نحو: العلم أرى زيداً عمراً مفيداً، أو العلم مفيداً أرى زيداً عمراً.

٢ - التعليق، وهو إبطال لفظاً لا معنى، لما منع - لاعتراض ماله الصدارة في الكلام بينها وبين معموليها الثاني والثالث، فيبطل كونها مفعولين، ويصبحان مبتدأً وخبراً سداً مسدداً مفعولي «أرى».

(٩) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٩/٤.

والموانع معروفة - هي لام الابتداء، لام جواب القسم، الاستفهام سواء أكان بالحرف أم بالاسم، لا النافية، إن النافية، لعل، لو الشرطية، كم الخبرية... ومثل «أرى» في نصبها المفاعيل الثلاثة جملة أفعال هي: أعلم وأنبأ ونبأ وحدث وغيرها.

والإلغاء والتعليق يعرض للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر نحو: عَلِمَ وَدَرَى وَخَالَ وغيرها.

أقول: إن الإلغاء والتعليق مما لا نجده في العربية المعاصرة، وهما إن وجدا فذاك لأن الكاتب أو الشاعر يَتَّقِلُ سبيل الأقدمين.
استهتر :

قالوا فعل ماضٍ أتى على صيغة المجهول، والمرفوع بعده فاعل.
أقول: وهذا الفعل كثير في العربية الحديثة، ولكنه بصيغة المعلوم «استهتر» مثل «استخرج».

إضون :

جمع «أضاة» مما ألحق بجمع المذكر السالم مثل: سنون وأرضون وعالمون ومثون ووابلون وغيرها.

أقول: ولا نعرف في العربية المعاصرة «إضون» وإن ما ألحق بجمع المذكر السالم من هذه المواد أكثره لا وجود له في العربية المعاصرة عدا سنين وعالمين وألفاظ العقود نحو: عشرين إلى تسعين، وربما كان «أهلون» من المستعمل نادراً.

أف :

اسم فعل مضارع بمعنى «أَتَضَجَّر» والفاعل ضمير مستتر تقديره «أنا»، قال تعالى: «فلا تقل لهما أف» ٢٣ سورة الإسراء.

أقول: إن معنى التضجّر معنى إنساني، ولكن المعربين لا يعربون عنه باستعمال هذه المادة، بل يذهبون إلى شيء آخر.

أفعل به :

صيغة تعجب، فعل ماض جاء على صيغة الأمر، خال من الضمير، جامد غير متصرف والجار بعده زائد، والاسم فاعل تقديرًا. نحو قوله تعالى :

«أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ» ٣٨ سورة مريم.

أقول: وهذا مما لا نجده في العربية المعاصرة.

أكتع :

انظر «أبتع».

أل (الموصولة التي تدخل على المضارع):

وفيهما الشاهد النحوي :

ما أنت بالحكم الترضي حكومتُهُ ولا الأصيل، ولا ذي الرأي والجدل (١٠).

أقول: ودخول هذا الموصول الحرفي على الفعل المضارع كثير في اللغة الدارجة وليس شيء منه في العربية المعاصرة الفصيحة.

الألى :

اسم موصول لجمع المذكر عاقلاً كان أو غير عاقل، مبني على السكون، قال الشاعر:

نحن الألى، فاجمع جمو عك ثم وجههم إلينا (١١).

أقول: وهذا الموصول من لوازم العربية القديمة، وليس مما نجده مستعملاً في العربية الحديثة.

(١٠) شذور الذهب ص ١٦.

(١١) مغني اللبيب ص ٨٦، ٦٢٥.

الألاء :

وهو موصول أيضاً لجماعة العاقلين، وهو المدود من المقصور «الألى». وقيل فيه أيضاً: إنه اسم إشارة واستعمل موصولاً، قال كثير:
أبى الله لئلا لئلا كأنهم سيوف أجاد القين يوماً صقالها (١٢)
أقول: وهذا أيضاً مما لا نجده في العربية الحديثة.

الأولى :

اسم موصول لجماعة الإناث للعاقل، وهو اسم جمع، كقول الشاعر:
فأما الأولى يسكن غور تهامة فكل فتاة ترك الحجل أقصما (١٣)
أقول: وهذا موصول آخر لا نعرفه في عربية العصر.
ألا :

بفتح الهمزة مخففة، حرف في عدة معان:

١ - حرف استفتاح وتنبية.

٢ - حرف عرض (وهو طلب برفق).

٣ - حرف تحضيض (وهو طلب بحث وشدة).

٤ - حرف توبيخ وإنكار.

٥ - حرف استفهام عن النفي.

٦ - حرف تمنُّ بمعنى أتمنى.

أقول: ولم يبق من هذا كله إلا انصراف «ألا» إلى العرُض كقولنا: ألا تأتي معنا، وقد تنصرف إلى التوبيخ المستفاد من المعنى كقولنا: ألا تستحي.

الأ :

(١٢) شذور الذهب ص ١٢٢.

(١٣) شرح الألفية لابن عقيل ٤٥/١، ومعني اللبيب ٤٥٣/١.

بفتح الهمزة وتشديد اللام وهي :

١ - حرف تحضيض، نحو ألا تنهياً للسباق.

٢ - أن الناصبة مدغمة في «لا».

أقول: إن الثانية معروفة في العربية المعاصرة بخلاف الأولى التي زالت ولم يبق شيء منها.

الذون :

اسم موصول جمع «الذي» لغة في «الذين»، وهي في قول الراجز:

«نحن الذون صَبَّحُوا الصباحا» (١٤).

اللاء :

اسم موصول لجماعة الإناث للعاقل وغيره، قال الشاعر:

فما أبأؤنا بأمنّ منهم علينا اللاء قد مهّدوا الحجورا (١٥)

أقول: لم تبق «اللاء» هذه في العربية المعاصرة، والذي من هذه هو «اللائي» بمدّ الكسرة. ومثل «اللاء» «اللات» بالكسرة في عدم حضورها بعكس الممدودة «اللاتي» أو «اللواتي».

أم :

انظر: «الهمزة».

أمام :

ومن أحوالها أنها تُبنى على الضم إذا أُضيفت وحذف المضاف إليه ونُوي معناه دون لفظه نحو: دخلت الغرفة فجلستُ أمام.

(١٤) مغني اللبيب ص ٤١٠.

(١٥) شرح ابن عقيل ١/١٤٥.

أمامك :

اسم فعل أمر بمعنى «تقدم» .

أقول: لم يبق في العربية المعاصرة «أمام» المبنية على الضم، ولا «أمامك» اسم الفعل الأمر إلا استعمال الجند في التدريب العسكري، فالجندي يسمع من رئيسه «أمام» فيفهم التقدم إلى الأمام، وهذا من باب الاختصار والاكتفاء بأقل عبارة تومىء إلى القصد.

أن :

بفتح الهمزة وسكون النون، وهي خمسة أنواع:

١ - الناصبة، وهي معروفة وتعمل ظاهرة أو مقدرة . .
وأما الزائدة فهي التي بعد القسم نحو: أقسم بالله أن لوجاء لأكرمته،
وبعد «لما» الحينية نحو قوله تعالى: «فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ» ٩٦ سورة
يوسف.

وهذه الزائدة قد زالت في الاستعمال في عصرنا.

٢ - والمخففة من الثقيلة بعد فعل اليقين نحو: علم ورأى، ويحذف الاسم
بعدهما على أنه ضمير الشأن وجوباً وخبرهما جملة اسمية أو فعلية تفيد
الدعاء . ولهذه أحوال أخرى كلها مبسوط في كتب النحو.
أقول: وهذه مما زال من مواد النحو القديم في العربية الحديثة.

٣ - والمفسرة، بمنزلة «أي» التفسيرية، ويغلب أن يليها فعل الأمر نحو قوله
تعالى:

«فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ» ٢٧ سورة «المؤمنون» .

وفي هذه شروط . . .

أقول: وهذه مما زال في العربية الحديثة.

إن :

بكسر الهمزة وسكون النون.

ومن هذه «نافية»، وهي حرف لها الصدارة فلا يتقدمها شيء، ومدخولها جملة اسمية، وتعمل عمل «ليس» نحو قولك: إن زيداً منطلقاً.

أقول: وهذه مما زال في العربية المعاصرة. والمعربون لا يبين لهم النفي إلا إذا وليتها «إلا» نحو قوله تعالى: «إِنَّ الْكَاْفِرُونَ إِلَّا فِي عُورٍ»، ٢٠ سورة الملك.

أو وليتها «لما» بمعنى «إلا» نحو قوله تعالى: «إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» ٤ سورة الطارق.

وهي في هذا الاستعمال الذي يأتي فيه «إلا» تدخل أيضاً على الجملة الفعلية، نحو قوله تعالى:

«إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَىٰ» ١٠٧ سورة التوبة.

ومن عدم تبيين المعربين لمعنى النفي لـ «إن» مع وجود «إلا» أو «لما» بعدها، تحولوا عنها إلى استعمال «ما» فقالوا: ما هو إلا شيء يسير، وفي هذا يبطل عملها. وعلى هذا لم يتضح للمعربين في عصرنا معنى النفي فزال استعمال «إن» النافية.

ومن هذه المخففة من الثقيلة، وتدخل على الجملة الفعلية فتهمل، وأكثر ما يكون الفعل ماضياً نحو قوله تعالى: «وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» (سورة البقرة: ١٤٣). وقد يأتي الفعل بعدها مضارعاً ناسخاً نحو قوله تعالى: «وَإِنْ تَطَّلُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ» ١٨٦ سورة الشعراء.

وندر أن يكون الفعل غير ناسخ، وهذا لا يقاس عليه نحو قول الشاعر:

شَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمَسْلَمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ (١٦)

وقد تدخل على الجملة الاسمية فتهمل، وهو الأكثر نحو: إن زيداً قادمٌ، وقد تعمل كالثقيلة فتلزم اللام المتأخر من معموليها، وهي اللام

(١٦) معني اللبيب ص ٢٤، وشرح ابن عقيل ١/٣٨٢.

الفارقة للفرق بين «إن» المخففة من الثقيلة وبين «إن» النافية نحو قولهم: إن زيدا لقادم، وإن في الدار لزيداً.

أقول: وهذا كله قد زال من العربية الحديثة.

وتأتي زائدة للتوكيد بعد «ما» النافية كقول الشاعر:

مسا إن أتيت بشيءٍ أنتَ تكرههُ إذن فلا رفعت سوطي إليَّ يدي (١٧)
وبعد «ما» المصدرية، نحو:

ورجَّ الفتى للخير ما إن رأيتَه على السنِّ خيراً لا يزال يزيده (١٨)
وبعد «ما» الحجازية، نحو:

بني عُدانة ما إن أنتم ذهباً ولا صريفاً، ولكن أنتم الخزف (١٩)
وبعد «ما» الموصولة نحو:

يُرَجِّي المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب (٢٠)
وبعد «ألا» الاستفتاحية:

ألا إن سرى ليلي فبت كئيباً أحاذر أن تنأى النوى بغضوباً (٢١)
أقول: وزيادة «إن» في هذه المواضع كلها مما لا يعرض في لغة المعاصرين.

إنَّ بمعنى «نعم»: كما في قول الشاعر:

بَكَرَ العواذلُ في الصُّبُو حِ يَلْمُنَنِي وَالوَمُهْنَةُ

(١٧) مغني اللبيب ص ٢٥.

(١٨) الكتاب ٢٢٢/٤، المغني ص ٢٥.

(١٩) شذور الذهب ص ١٩٤، مغني اللبيب ص ٢٥.

(٢٠) مغني اللبيب ص ٢٥.

(٢١) المصدر السابق.

وَيُقْلَنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقَدْ كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ (٢٢)

أي : نَعَمَ علاني الشيب وما زلت كما كنت ، وقيل : إن عبد الله بن الزبير سأله رجل فلم يعطه ، فقال : لعن الله ناقهً حملتني إليك ، فقال عبد الله : إن وراكبها . أي نعم ، ولعن الله راكبها (٢٣) .

أقول : ولم يبق شيء من هذا في عربيتنا الحديثة .

انبرى :

من أفعال الشروع بمعنى (بدأ) ، وهذا يعني أنه يرفع الاسم وينصب الخبر ، وخبره جملة فعلية فعلها مضارع نحو : انبرى الصبيُّ يلعبُ .

أقول : وليس أن يستعمل هذا الفعل في العربية الحديثة على هذا النحو فقد يكثر أن نسمع : انبرى فلان في عمله ، والفعل يتجاوز معنى البدء والشروع ، فيكون بمعنى مضى وجرى .

أنشأ :

من أفعال الشروع .

أقول : وكان هذا من المنسي في عصرنا ، وانصرف الفعل إلى معنى «الإنشاء» بمعنى البناء ، ومن هذا قولهم : أنشأ مقالةً .

انفك :

من أفعال الاستمرار مسبوقةً بـ «ما» مثل «ما زال» و «ما برح» و «ما فتىء» . واستعمال هذه معروف .

أقول : والكثير منها في الاستعمال «ما زال» ، يقال : ما زال المطر ينزل ، وأما «لا زال» فإنها تفيده الدعاء ، قال الشاعر :

(٢٢) الكتاب ١٥١/٣ ، والمغني ص ٣٨ .

(٢٣) خزائن الأدب ٦٢/٤ .

« ولا زال مُنهلاً بجَرَ عَائِكَ الْقَطْرُ »

وأما « ما انفك » و « ما برح » و « وما فتىء » فشيء يكثر في الفصيحة القديمة .

أُهْتِرَ :

فعل ماضٍ مبني للمعلوم أتى على بناء المجهول، بمعنى « تعلقَ بالشيء » .

أقول: وهذا نظير « استهتر »، وقد سبق الكلام عليه . وأما « أهتر » فلا يعرف في عربية العصر، وقد استغني بـ « استهتر » مبنية للفاعل عن « أهتر » .

أُهْرَعَ :

فعل ماضٍ لزم صيغة المفعول، بمعنى « أسرَع » .

أقول: والذي في العربية المعاصرة هو « هرع » بالبناء للمعلوم .

أهلون :

جمع « أهل » وهو مما ألحق بجمع المذكر السالم . انظر: « أضون » .
أقول: ولم يشعر المعربون في عصرنا بالحاجة إلى جمع « أهل »، وكان المفرد يسد الحاجة . وربما استعار جماعة « الأهالي » من اللغة الدارجة، وإن جاء في المعجم القديم « أهل » وكأنها توميء إلى جمع الجمع . غير أنك قد تلقي « أهلون » هذه في كتابه المتفاسحين .

أو :

بمعنى « إلا » أو « حتى »، وينصب الفعل بعده بـ « أن » مضمرة وجوباً، فإن كان الفعل الذي قبلها مما ينقضي ويحصل دفعةً واحدة فهي التي بمعنى « إلا » نحو قول زياد الأعجم :

وكنْتُ إذا عَمَزْتُ قَنَاةَ قومٍ كَسَرْتُ كَعُوبَهَا أو تَسْتَقِيمَا (٢٤)

(٢٤) الكتاب ٤٨/٣ .

أما إذا كان الفعل مما ينقضي ويحصل شيئاً فشيئاً، فهي التي بمعنى «حتى» نحو قول الشاعر:

لَأَسْتَسْهَلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى فما انقادت الآمال إلا لصابر
والفعلان «تستقيم» و «أدرك» منصوبان بـ «أن» مضمرة وجوباً بعد «أو».

أقول: وهذا مما لم يبق شيء منه في العربية المعاصرة.

أول:

ومن أحوالها أنها تُبنى على الضم إذا أضيفت وحُذف المضاف إليه ونُبوي معناه لا لفظه ومنه قول الشاعر:

لعمرك ما أدري وإني لأوجلُّ على أينا تعدو المنية أول (٢٥)
أقول: وقد زال بناء «أول» على الضم في العربية المعاصرة.

أولات:

اسم جمع لا واحد له من لفظه، والمعنى «صاحبات»، تلحق في الإعراب بجمع المؤنث السالم، قال تعالى: «وإن كنَّ أولاتٍ حملٍ فأنفقوا عليهن» ٦ سورة الطلاق.

أقول: كأن «أولات» قد زالت في لغتنا الحديثة بخلاف «أولو» وهو المذكور.

أواه:

قالوا: اسم فعل مضارع مبني على السكون بمعنى أتوجع وأتضجر.

أقول: وهي مع الكلمات التي عرفت في العربية وانصرفت إلى الأعراس العاطفية، ولم نجد لها إلا في الندرة كأن يحتاج إليها شاعر يتحرى الكلم القديم فيستعملها كما قال الشاعر إسماعيل صبري من شعراء هذا

(٢٥) المقتضب ٣/٣٤٦.

العصر:

أَوَاهُ مِنْ حُرْقٍ أَوَدَّتْ بِمَعْظَمِهَا وَلَمْ تَسْرُلْ تَتَمَشَّى فِي بَقَايَاهَا
غير أن المعريين أخذوا منها الفعل «أَوْه» و «تَأَوْه» وشاعا في العربية
الحديثة.

إي :

بكسر الهمزة وسكون الياء، حرف جواب بمعنى «نعم»، ويقع في
الغالب بعد الاستفهام، وقبل القسم نحو قوله تعالى: «وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ
قُلْ: إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ» ٥٣ سورة يونس. وليس شيء منها في الفصيحة
الحديثة، غير أنها معروفة في الألسن الدارجة.

أي :

الموصولة التي تضاف إلى المعرفة ويحذف صدر صلتها، وهي بلفظ
واحد للمذكر والمؤنث، مفرداً أم غير مفرد، عاقلاً أم غير عاقل، نحو قوله
تعالى: «ثُمَّ لَنْتَزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا» ٦٩ سورة
مريم.

وكقول غسان بن وعله:

إِذَا مَا لَقَيْتَ بَنِي مَالِكٍ فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ (٢٦)
أقول: وهذا شيء من الكلم النحوي القديم الذي عفا أثره في العربية
الحديثة.

أيا :

بالتخفيف لنداء البعيد، أو ما في حكمه كالنائم والساهي.
لا يعرف المعربون في عصرنا هذه الدقائق الأسلوبية، وهم محتاجون

(٢٦) معني اللبيب ص ٧٨، ٤٠٩.

إليها، ومن هنا فقد نخلت كتاباتهم من هذه الأداة للنداء.

أَيْمًا :

وهي «أَيَّ» الشرطية و«ما» زائدة كما في قوله تعالى: «أَيْمًا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ» ٢٨ سورة القصص.

أقول: وهذه مما لا نجده في عربية العصر.

أَيْمَن :

انظر «أَيْمَن».

أَيْنَمَا :

اسم شرط جازم.

وكقول كعب بن جُعيل:

صَعْدَةُ نَابِتَةٌ فِي حَائِرٍ أَيْنَمَا الرِّيحُ تُمِيلُهَا تَمِيلُ (٢٧)

أقول: وهذه من أدوات الشرط التي لا تُرى في عربيتنا المعاصرة.

إِيَهُ :

اسم فعل أمر مبني على الكسر، بمعنى: امضِ في حديثك، قال ذو

الرمة:

وَقَفْنَا فَقَلْنَا: إِيَهُ عَنِّ أُمَّ سَالِمٍ وما بال تكليم الديارِ البلاقع (٢٨)

أقول: وهذه من لوازم الأدب القديم، وقد ذكرت في المصادر النحوية، وليس شيء منها في العربية المعاصرة.

(٢٧) الكتاب ٣/ ١١٣.

(٢٨) المقتضب ٣/ ١٧٩.

باب الباء

بَجَل :

حرف جواب، بمعنى «نعم»، مبني على السكون.
وقالوا: اسم فعل مضارع بمعنى «يكفي» والفاعل ضمير، نحو: بَجَلِي،
أي: يكفيني.

قال السيوطي: إن قولهم: «بَجَلَنِي» بالنون نادر.
وقالوا: إنه اسم مرادف لـ «حَسَب» (٢٩) نحو: بَجَلِي، أي: حَسْبِي.
أقول: وهذا من غير شك من الكلم المنسي الذي لا يعرفه أهل العربية
في عصرنا.

بَخ :

اسم فعل مضارع، مبني على الكسر، بمعنى «استحسن»، وتستعمل
مكررة بالكسر والتنوين.
أقول: وهذا شيء آخر من الكلم القديم الذي لا تعرفه عربية العصر.

بَدَار :

اسم فعل أمر مبني على الكسر بمعنى «أسرع».
أقول: وهذا مما لم يبق في عربية العصر، والمعربون يستعملون الأمر من
«بَادَر» في هذا الخصوص.

بَرِح :

فعل ماض يفيد الاستمرار يلحق بـ «النواسخ» لا بد أن يتقدمها نفي أو
نهي أو دعاء، نحو:

(٢٩) الكتاب ٤/٢٣٤.

ما برح الهواء بارداً، وقال الشاعر:

قَلَمَا يَبْرَحُ السَّلِيبَ إِلَى مَا يُورِثُ الْحَمْدَ دَاعِيًا أَوْ مُجِيبًا (٣٠)
أقول: كأن العربية الحديثة اجتزأت بوحدة من المواد المتشابهة، فقد
عرفت «ما زال»، وهجرت فيها «ما انفك».

و «برح» فعل تام متصرف في العربية المعاصرة، يقال: لم يبرح الرجل
مكانه، أي لم يتركه.

بِرْحَى :

كلمة تقال عند الخطأ في الرمي أو الكلام.

أقول: إنها من الكلم المهجور في عصرنا، في حين أن ضدها «مَرْحَى»
من الكلم المعروف، وتقال عند الإصابة استحساناً.

بَسُّ :

اسم فعل أمر مبني على الكسر، بمعنى: اكْتَفَب. وفي «القاموس» أنها
بمعنى «حَسَبُ».

أقول: وهي من المهجور المنسي.

بَسُّ :

اسم فعل بمعنى «حَسَبُ»، فارسية معرّبة. وهذه أيضاً من الكلم الذي
لا نجده في العربية المعاصرة، ولكننا نجده في اللسان الدارج.

بُصَعُ :

وزن «عَمَر» ممنوع من الصرف، يؤكد بها توكيداً معنوياً جمع المؤنث، ولا
تأتي إلا بعد: كَلْهَنَ جَمْعُ كُتْعِ، نحو: جاءت النساء كَلْهَنَ جَمْعُ كُتْعِ بَصْعُ.
وتأتي ندوراً بعد «كلهن» فقط، وهي جمع بَصْعَاءِ مؤنث أبصع.

(٣٠) مغني اللبيب ص ٣٠٦.

أقول: وهذه من الكلم الذي لا نعرفه في عصرنا.

بُطَّان :

اسم فعل ماضٍ ، مبني على الفتح ، بمعنى «أبطأ».

أقول: وهو من الكلم القديم الذي شُغل عنه العربون بالفعل «أبطأ».

بَلَّة :

اسم فعل أمر، مبني على الفتح ، وأصله مصدر لا فعل له من لفظه ،
بمعنى «ذَع» وقد يأتي مصدراً منصوباً «مفعول مطلق» وفعله محذوف ليس من
لفظه ، بمعنى «تَرَكَ» يضاف إلى الاسم بعده .

أقول: وليس لنا اليوم شيء من هذه الكلمة ، ولا ترد إلا في ترسل
الصفوة أصحاب التنقيح.

بَيْتَ بَيْتَ :

حال مركبة تركيب «أحد عشر» مبنية على فتح الجزئين ، نحو: زيد
جاري بيتَ بيتَ ، أي ملاصقاً .

أقول: هذا من الكلم القديم الذي لا نعرفه في لغتنا الحديثة . إن الحال
المركبة نعرفها مثلاً في قولنا: قرأت الكتاب فصلاً فصلاً أو باباً باباً ، فأما «بيتَ
بيتَ» فلا نعرفها .

بيننا :

ظرف زمان مبني على الفتح ، والألف زائدة ، وفيها ثلاثة أقوال مبسطة
في كتب النحو ، قالت هند بنت النعمان :

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهَا سَوْقَةٌ لَيْسَ نُنْصَفُ (٣١)

أقول: لا نشهد «بيننا» هذه في العربية الحديثة والعربون إذا أرادوا شيئاً
من هذا الظرف قالوا: «بيننا» .

(٣١) الكتاب ١/١٧١ .

باب التاء

تاء القسم :

ترد في لفظة الجلالة في قولهم «تالله»، قال تعالى: «قالوا تالله تفتأوا تذكرُ يوسف» ٨٥ سورة يوسف.

وجاء في كتب النحو: تحياتك وترب الكعبة.

أقول: وكان المعريين تجاوزوا هذه التاء إلى الواو، والباء من أحرف القسم.

تا :

اسم إشارة مبني على السكون للمفردة المؤنثة، تدخل عليها هاء التنبيه فتكون «هاتا» وتلحقها الكاف للخطاب «تاك». وقالوا: «هاتاك» و«تالك». وصغرت شذوذاً فقالوا «تيا».

أقول: وجملة هذا مما لم يبق في العربية المعاصرة.

تحت :

ظرف مكان مبني على الضم لأنه أضيف وحذف المضاف إليه، ونوي معناه دون لفظه، قال طرفة:

ثم تفري اللجم من تعدائها فهي من تحت مشيحات الحزم (٣٢)

تخذ :

فعل ماض ناسخ من أفعال التحويل، بمعنى «صير» ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، نحو: اتخذتك صاحبي.

أقول: تحول العربون في عصرنا إلى الفعل «اتخذ»، ولم يبق شيء من استعمال «تخذ». وأرى أن «تخذ» جاءت من «اتخذ»، وقد استفيد من التاء

(٣٢) لسان العرب (شيخ).

المدغمة التي هي في الأصل التاء التي أصلها همزة «أَخَذَ» ثم تاء «افْتَعَلَ»، وقد اجتزىء بالتاء الثانية بعد إسقاط همزة «اتَّخَذَ»، وغيَّر بناؤه إلى «فِعْلٍ» بكسر العين ابتعاداً عن أصله الذي هو «أَخَذَ» ووزنه «فَعَلَ» .

تَرَكَ :

فعل ماضٍ ناسخٍ من أفعال التحويل بمعنى «صَيَّرَ» ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، قال فرعان بن الأعراف :

وربَّيتُهُ حتى إذا ما تركته أنا القوم واستغنى عن المسح شاربه (٣٣)

أقول : لم يبق من الفعل «ترك» إلا معناه التام الذي لا ينصب مفعولين ، بل ينصب الواحد نحو: تركت الأمر . . .

تَعَلَّمَ :

فعل أمر ناسخٍ بمعنى : اعلِّمْ، وهو فعل جامد لا يتصرف ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، قال زياد بن سيَّار :

تَعَلَّمَ شِفَاءَ النَّفْسِ قَهَرَ عَدُوَّهَا فَبَالِغٌ بِلُطْفٍ فِي التَّحِيلِ وَالْمُكْرِ (٣٤)
وقد يكون مدخولها جملة مصدرية بـ «أن» تسد مسدَّ المفعولين كقول أنس ابن زنيم :

تَعَلَّمْتُ، رَسُولَ اللَّهِ، أَنْكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعِيداً مِنْكَ كَالأَخْذِ بِالْيَدِ (٣٥)

أقول : وهذا مما يتندر في العربية المعاصرة، وأن الفعل الأمر «تَعَلَّمَ» إن جاء فيها فهو أمر الفعل المتصرف «تَعَلَّمَ يَتَعَلَّمُ» .

تِهْ :

اسم إشارة للمفردة المؤنثة، بُني على الكسر أو السكون، وهو إشارة

(٣٣) شرح ابن عقيل ٤١/٢ .

(٣٤) شذور الذهب ص ٣٦٢

(٣٥) المصدر السابق .

للقریب لا تلحقها كاف الخطاب ولا لام البعد .

أقول : كأن العربية ابتعدت عن هذه الأداة بالمشهور منها وهو «هذه» .

قي :

اسم إشارة للمفردة المؤنثة مبني على السكون ، تسبق بالهاء «هاتيك»
وتلحقها كاف الخطاب ، وأحياناً لام البعد «تلك» .

وهذه أيضاً كسابقتها مما لم نجده في العربية المعاصرة ، وربما قد يلجأ إليها
أهل الشعر والنظم ، والحاجة تدعو .

ومن العجيب أن الإشارة إلى المثنى المؤنث هي «هاتان» معروفة في
العربية المعاصرة لعدم وجود شيء يسد مسدّها .

تَيْد :

اسم فعل أمر بُني على الفتح ، بمعنى «أمهل» ، يقال : تَيْدَ زيداً ، أي
أمهله .

باب الشاء

ثلاثة :

وحكم المعدود معروف مع «ثلاثة» ، إفراداً وتركيباً ، وكذلك تعريف
ثلاثة إذا اتصلت بالمعدود ، وإذا أضيفت إلى معرفة ، وما صيغ منها على «فاعل»
في الإفراد والتركيب وفي هذا كله من الحدود والشروط والأحوال ما لا نجد
الكثير منه في العربية المعاصرة . على أن اللغة الجديدة قد تتجاوز الحدود
المنصوص عليها في كتب العربية ، ونحن في هذا بين ممتحن بالقول بالخطأ ،
والرجوع عنه إلى الصواب ، ولكن المسيرة ماضية ، ولا يسمع هذا الذي ينبه
إلى الصواب ، وبين محتمل للجديد مع خروجه على الموروث ، على أنه جديد
فرض على العربية المعاصرة أو قل : إنه «العربية المعاصرة» .

ثُلَاثٌ :

كلمة معدولة عن «ثلاث ثلاث»، نحو قولنا: جاء القوم ثُلَاثٌ، وهي غير منونة للوصفية والعدل، نظير رُبَاعٍ وَخُمَاسٍ...
انظر: «أحاد».

تُمَّتَ :

هي «تَمَّ» من أدوات العطف زيدت التاء في آخر كما زيدت في «رُبَّ» فقالوا: «رُبَّتْ»، والتاء مفتوحة، و«تُمَّتَ» هذه تختص بعطف الجمل، قال:
ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني فمضيتُ تُمَّتَ قُلْتُ ما يعنيني (٣٦)

باب الجيم

جَرَمَ :

على «فَعَلَ» أو «فَعُلَ»، تسبقها «لا» وتكون «لا جَرَمَ» بمعنى: حقاً أو لا بد. وكأنها عوملت معاملة أدوات القسم، ولذلك قد يأتي بعدها اللام في بعض استعمالها، يقال: لا جَرَمَ لأقومن بالواجب. والكثير فيها أن تعقبها «انَّ» وبعدها معمولها، فإن كسرت الهمزة فإن «لا» نافية للجنس، وإن فتحت فإن «لا» زائدة و«جَرَمَ» فعل ماضٍ بمعنى وَجَبَ والمصدر المؤوَّل من «أنَّ» ومعمولها فاعل في محل رفع.

أقول: هذا كله في استعمال «لا جَرَمَ» وقول النحويين فيها، وهي لا ترد في اللغة المعاصرة، وإن كان قد يوردها متأدب من المعاصرين، فمن باب التفاصيل.

جَعَارٍ :

اسم للضبع مبني على الكسر، قال النابغة الجعدي:

(٣٦) الكتاب ٣/ ٢٤.

فقلتُ لها عَيْثِي جَعَارٍ وَجَرَّرِي بلحم امرئٍ لم يشهد اليومَ ناصِراً (٣٧)

أقول: هذا ما يرد في استشهد النحاة على بناء «فَعَالٍ» وبنائه على الكسر علماً لأنثى أو سبباً لها أو اسم فعل أمر. وهذا من غير شك يدخل في باب السبِّ للضبع.

وجميع هذا قد زال من العربية المعاصرة.

جَعَلٌ :

فعل ماضٍ ناسخ متصرف يلحق بـ «ظن» في الاستعمال، ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر نحو: جعل الجبان السهل صعباً، وهو يفيد رجحان الخبر.

وقد يأتي للشروع بمعنى «أخذ» والذي يعمل منه هذا الاستعمال الماضي والمضارع فقط، نحو جعل زيد يجتهد.

وقد يأتي للتحويل بمعنى «صير»، نحو: جعلتُ الطينَ إبريقاً.

أقول: وجميع هذا لم يرد في اللغة المعاصرة، والمعاصرون يذهبون إلى «ظن» و«خال» و«حَسِبَ» ونحوها، كما يذهبون إلى «صير» ونحوه.

والكثير في استعمال «جعل» التصرف التام نحو: جعلته على وفق النظام المتبع.

جَلَلٌ :

حرف جواب بمعنى «نعم».

وتكون اسماً بمعنى «عظيم» نحو قول الشاعر:

فلئن عَفَوْتُ لأعفونَ جَللاً ولئن سَطَوْتُ لأوهنَّ عظمي (٣٨)

(٣٧) الكتاب ٣/ ٢٧٣.

(٣٨) مغني اللبيب ص ١٢٠.

وتأتي بمعنى «اليسير» من الأمر، كقول امرئ القيس لما سمع بمقتل أبيه :

«ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلَلٌ» (٣٩)

ومن هنا، قال اللغويون: إن «جَلَلٌ» من الأضداد.

وترد «جَلَلٌ» بمعنى «من أجل» نحو:

رَسَمَ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهَا كِدْتُ أَقْضِي الْحَيَاةَ مِنْ جَلَلِهَا (٤٠)

أي من أجله، وقيل: من عظمته في عيني.

أقول: وجلة ما ورد في «جلل» غير وارد في العربية المعاصرة إلا معنى «العظيم»، والمعاصرون يقولون في المصيبة العظيمة مثلاً: خطب جَلَلٌ.

وأود أن أقول: إن مادة الأضداد أوشكت أن تزول أو زالت من العربية المعاصرة.

الجَمَاءُ الْغَفِيرُ :

وهي حال وردت معرفة بالأداة، وهو من الشذوذ، قالوا: جاءوا الجَمَاءُ الْغَفِيرُ، أي مجتمعين.

أقول: وليس في عربية اليوم شيء من هذا الاستعمال، واستبدلوا به مثلاً: جاءوا جمعاً غفيراً، وهم يريدون به الكثرة الكثيرة لا أنهم مجتمعون ليس غير.

جُمُع :

من ألفاظ التوكيد المعنوي للمؤنث الجمع. انظر «بُصْع».

وهو لفظ معدول عن «جمعوات» يقال: جاءت النسوة كُلُّهُنَّ جُمُعًا.

(٣٩) مغني اللبيب ص ١٢٠.

(٤٠) شرح المفصل ٥٢/٨، وشرح ابن عقيل ٣٨/٢.

جمعاء :

من ألفاظ التوكيد المعنوي للمؤنث المفرد، وتجيء مثل «جمع» بعد التوكيد بـ «كل»، يقال: جاءت القبيلة كلها جمعاء.

أقول: وهذا كله قد تخففت منه العربية المعاصرة إلا أن يقصد إليه من بعض المتفاسحين.

جَيْرٌ :

حرف جواب بمعنى «نعم» مبني على الكسر، وقد يُبنى على الفتح، وقد ينون. وقد يكون اسماً بمعنى «حقاً» كما يكون ظرفاً بمعنى «أبداً».

ويجيء حرف قسم مبنياً على الكسر يليه اللام في الجواب نحو:

قالوا: قَهَرْتُ فَقُلْتُ جَيْرٌ لِيَعْلَمَنَّ عما قليل أئنا المقهور(٤١)،

أقول: وهذا كله من العربية القديمة التي لم يبق شيء منها في إعرابنا المعاصر.

باب الحاء

حَارٌ :

فعل ماض ناسخ، مبني على الفتح بمعنى «صار»، نحو:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطع(٤٢)،

أقول: وليس لهذا الفعل من وجود في العربية الحديثة بهذا الاستعمال. إن الفعل «حار» في إعرابنا الحديث من «الحيرة» وهو فعل تام متصرف.

(٤١) مع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، الكويت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م / ٤ / ٢٥٧.

(٤٢) المصدر السابق ١١٢/١.

حَبُّ :

وهي «أفعل» للتفضيل، وحذفت همزته لكثرة الاستعمال شذوذاً،
ومنه قول الشاعر:

قد زاده كَلَفًا بِسَالِحٍ إِذْ مَنَعْتُ وَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا (٤٣)

أقول: وهذا من النوادر الشوارد الذي زال من العربية الحديثة، وهو قليل في
العربية القديمة.

حُبُّ :

من أفعال المدح، وتفتح حاؤها أو تضم، وذلك حين يكون فاعلها غير
«ذا» كما في «حبذا». وفاعل «حُبُّ» هذه قد يجرّ بالياء الزائدة، نحو قول
الطرمّاح بن حكيم:

حُبُّ بِالزُّورِ الَّذِي لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا صَفْحَةٌ أَوْ لِمَامٌ (٤٤)

أقول: وهذا يدخل في الكلم الغريب النادر الذي قل استعماله في العربية
القديمة، فما بالك به في العربية المعاصرة؟

حجاً :

فعل ماضٍ ناسخ متصرف يلحق بـ «ظنّ» في العمل، يفيد الرجحان
ينصب المبتدأ والخبر فيكونان مفعولاً به أول، ومفعولاً به ثانياً، قال الشاعر:

قد كنت أحجو أبا عميرٍ أحياناً ثقةً حتى أَلَمْتُ بنا يوماً مِلِمَاتُ (٤٥)

أقول: وهذا الفعل مما لم يُر في العربية الحديثة.

إن سبيل العربية في هذه الأفعال الناسخة الخاصة أنها اجتزأت بالقليل

(٤٣) العقد الفريد ٢٢٨/٣.

(٤٤) شرح الأشموني ٣٩/٣.

(٤٥) لسان العرب (حجو).

المشهور فهجرت جملة أفعال، وربما جهل الكثير من المعربين معانيها
وخواصها.

حذاء :

ظرف مكان كأسماء الجهات الست، بمعنى إزاء أو قبالة، يقال:
وقفتُ حذاء الباب.

أقول: إذا كان للمعربين المتفاسحين، على قلة منهم، أن يستعملوا هذا
الظرف، فهم يقوون به بالياء للإشعار بالظرفية، يقولون مثلاً: جلست
بحذاء فلان.

حذاريك :

من المثنيات من المصادر المنصوبة نحو: لبيك وسعديك وذوآليك،
وهذاذيك وحنانيك، وهي ملازمة للإضافة إلى كاف الخطاب، يقال:
حذاريك الخطر، أي احذره.

أقول: وليس هذا في عربية حديثة، والذي لنا في إعرابنا الحديث هو «حذار»
على قلة، فقد يرد في كتابة الصفوة من أهل العلم بالعربية.

حري :

فعل ماضٍ ليس له مضارع ولا أمر، غير متصرف، يفيد الرجاء لوقوع
الخبر، من النواسخ، فهو فعل ناقص يعمل عمل «كان»، إلا أن خبره جملة
فعلية فعلها مضارع مقترن بـ «أن» الناصبة نحو: حرى الغمام أن ينقشع.

أقول: وهذا مما زال في العربية المعاصرة، وربما جهله المعربون إلا قليلاً
منهم.

حرون :

أرض ذات حجارة سوداء ملحقة بجمع المذكر السالم.
وهذه جملة ألفاظ جمعت هذا الجمع وهي من غير شك آثار باقية تدل على

أن هذا الجمع في عصور العربية القديمة كان جمعاً عاماً غير محدود بهذه الحدود الضيقة.

حَسٌّ :

اسم فعل مضارع بمعنى «أتألم»، وهي مثل قولنا: أوه، للتوجع، قالت العرب عند التوجع من لدعة النار وغيرها: «حَسَّ بَسٌّ»، وقد تكرر «حَسٌّ» فيقال: حَسَّ حَسٌّ (٤٦).

حَسْبُ :

اسم مفرد لا يثنى ولا يجمع، بمعنى «كافٍ»، قال تعالى: «مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» سورة الطلاق: ٣ وله استعمال خاصة تدخل في باب المبتدأ، وفي باب التمييز.

وقالوا أيضاً: إنها اسم فعل مضارع بمعنى «يكفي». وتأني بمعنى «لا غير» مقطوعة عن الإضافة فتبنى على الضم، يقال: قرأت كتاباً حَسْبُ. وقد تدخل على هذه فاء للترتين «فحَسْبُ».

أقول: ولم يبق من هذه إلا استعمالها بمعنى «لا غير» مع لزوم فاء التزيين فيها، في العربية المعاصرة.

حَسُون :

الأرض الموحشة، ملحقة بجمع المذكر السالم. وهذا كظائره من الملحقات التي زالت من عربيتنا.

حَضَارِ :

اسم علم لكوكب، مبني على الكسر. وهذا أيضاً من الكلم الذاهب، لجهلنا بالكوكب نفسه.

(٤٦) لسان العرب «حس».

حُمَادَى :

بمعنى «غاية»، وهو من الألفاظ الملازمة للإضافة لفظاً ومعنى للظاهر والضمير، نحو: حُمَادَى الشيء أو حُمَادَاهُ.

أقول: وهذا من الكلم القديم الذي زال في عربيتنا.

حَنَائِكُ :

انظر: «حَذَارِيكَ».

حَيٌّ :

اسم فعل أمر مبني على الفتح بمعنى «أقبل، أو اعْجَلْ» نحو: حَيٌّ على الصلاة.

أقول: بقيت هذه الكلمة في نص «الأذان» والدعاء إلى الصلاة، وفيه أيضاً: «حَيٌّ على الفلاح».

حَيْثُ يَيْثُ :

حال مركبة مبنية على فتح الجزئين، بمعنى «مبحوثة» كقولك: تركت البلاد حَيْثُ يَيْثُ.

أقول: إن الكثير من المركبات يدخل في باب «الإتباع»، وذلك ان تتبع الكلمة المعروفة بكلمة على بنائها مما له معنى أو ليس له بقصد تقوية المعنى نحو: شذر مذر، وحيص بيص، وشغر بعر. وقولهم: بنصه وفصه وغير هذا.

وجملة هذه المواد اللغوية دخلت في باب المنسي من عربيتنا المعاصرة.

حَيْهَلُ :

مركبة من «حَيٌّ» ومن «هل» إفادة للحث والاستعجال، وذلك للمبالغة في طلب الاستعجال، قال ابن مسعود:

إذا ذُكِرَ الصالحون فَحَيَّهَلْ بعمر (٤٧).

أقول: وليس لنا في العربية الحديثة شيء من هذا إلا ما يكون لأحد من الناس أن يتفصح، كما عرض ذلك في نثر معروف الرصافي الشاعر العراقي في كتابه «رسائل التعليقات».

باب الخاء

خَبَاتٍ :

صفة لمؤنث جاءت سبباً وشتماً، مما بُني على «فَعَالٍ».

أقول: وهذا مما ضاع وفني ولم يبق شيء منه في الإعراب الحديث.

باب الدال

دَوَالِيكَ :

انظر: «حَذَارِيكَ». وقالوا: معناها «تداولاً بعد تداول».

أقول: وهذا من الكلم الذي أوشك أن يزول في العربية المعاصرة.

باب الذال

ذَفَارٍ :

مما وَرَدَ على «فَعَالٍ» مبنياً على الكسر سبباً لمؤنث، بمعنى «مُتَنَتَةٌ».

أقول: وهذا أيضاً مما هُجِرَ ونُسِيَ.

ذُو :

اسم موصول في لغة طَيِّءٍ، ومنه قول الطائي للمفرد المذكور العاقل:

فقولا لهذا المرء ذو جاء ساعياً هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِفِيَّ الْفَرَانِضُ (٤٨)

(٤٧) الكتاب ٤/١٦٣.

(٤٨) شرح الأشموني ١/١٥٧.

وللمفرد المؤنث غير العاقل ، نحو قول سنان بن الفحل :
فإنَّ السماء ماء أبي وجدِّي وبثري ذو حَفَرْتُ وذو طَوَيْتُ (٤٩)
أقول : وهذه من المواد النحوية التي لم نرها في شعر أو نثر في عربيتنا
الحديثة .
ذَيْتَ ذَيْتَ :

كناية عن قول أو فعل لا يراد ذكره ، سواء أكانت بالتكرار أو بالمعطف ،
بنيت على فتح الجزأين .

باب الراء

رُبَّتْ :

هي «رُبَّ» وقد لحقتها التاء مفتوحة ، وليس لي أن أحمل التاء على
التأنيث ، بل هي تاء زيدت في «رُبَّتْ» و«رُبَّتْ» ونحوهما فقالوا : «رُبَّتْ» و«رُبَّتْ» .
أقول : لم نقف على «رُبَّتْ» هذه في نص حديث إلا أن يكون شعراً يضطر فيه
الشاعر ، وهذا قليل نادر .

ومثل «رُبَّتْ» «رُبَّتْ» التي زيدت فيها «ما» ، وهذه أيضاً من الكلم
الذي لا نقف عليه في العربية الحديثة ولكننا نجد في الشاهد :

ماويِّ يا رُبَّتْما غارة شعواء كاللذعة بالميسم
أقول أيضاً : لعل هذه التاء قد سعى إليها الشاعر القديم ، والشاعر القديم
أحد صنّاع العربية ، وفيه سطوة ، يفرض ما يقول فيكون لغة .

رجع :

فعل ماض بمعنى «صار» ، وهو يعمل عمل «صار» ، جاء في الحديث
الشريف :

(٤٩) شرح المفصل ٣/١٤٧ ، ٨/٤٥ .

«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

أقول: والفعل «رجع» في عربيتنا الحاضرة لا يتجاوز الرجوع، فهو فعل تام لازم، يقال: «رجع فلان إلى داره». ومثل «رَجَعَ» هذه «عاد» التي ذهب استعمالها فعلاً ناسخاً وبقيت بمعنى «العود» فيقال: «عاد فلان من مكتبه».

ردّ :

فعل ماض من أفعال التحويل، بمعنى «صَيَّرَ» ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، نحو قول الشاعر:

فردّ شعورهن السود بيضاً وردّ وجوههنّ البيض سوداً (٥٠)

أقول: ويتعذر عليك أن ترى شيئاً من هذا في العربية المعاصرة، ولو كان شيء منه فذاك لدى الصفوة أهل التفاصح.

رقون :

جمع «رِقة» وهي الفضة، من الكلم الذي ألحق بجمع المذكر السالم. انظر: «حرون».

باب الزاي

زَعَمَ :

فعل ناسخ مثل «ظنّ» يفيد الرجحان، ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، قال أوس الحنفي:

زَعَمْتَنِي شَيْخاً وَلَسْتُ بِشَيْخٍ إِنَّمَا الشَّيْخُ مِنْ يَدِيبِ دَيْبِيَا (٥١)

أقول: إن استعمال «زعم» فعلاً ناسخاً لا يُرى في العربية الحديثة إلا على

(٥٠) شرح ابن عقيل ٤٢/٢.

(٥١) شرح ابن عقيل وسائر كتب النحو القديم.

الندرة، ولكنه معروف في استعماله الآخر الذي تليه فيه جملة اسمية مصدرية
بـ «أَنَّ» نحو قول كثير:

وقد زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بعدها ومن ذا الذي يا عَزُّ لا يَتَغَيَّرُ (٥٢)
ومثل هذا كثير في العربية الحديثة.

زُكِمَ :

فعل ماضٍ ملازم للبناء للمفعول، وما بعده فاعل له، نحو: زُكِمَ
الرجلُ.

أقول: وكان المعربون في عصرنا ابتعدوا عن كثير من هذه الأفعال التي أتت
على بناء المفعول، وهم تارة يتجاوزونها، كما في «زُكِمَ» إلى عبارة أخرى
كان يقولوا: فلان مزكوم، وهو الشائع الكثير مبتعدين عن «زُكِمَ فلان».

زُهِيَ :

وهو فعل مثل «زُكِمَ» السابق في البناء للمفعول.

والمعربون في عصرنا بعيدون عنه إلى صورة أخرى إلا أهل العلم من الأدباء
واللغويين.

باب السين

ساء :

فعل ماضٍ للذم مثل «بئس» في استعماله وأحكامه نحو: ساء الرجل
فلان الكذاب.

قالوا: ومثل هذا كل فعل ثلاثي بُني على «فَعُل» للمدح أو الذم نحو: شرف
الرجل محمد...

(٥٢) شذور الذهب ص ٣٥٩.

أقول: وليس لنا في العربية المعاصرة شيء من هذا، بل إن الفعل «ساء» لا يتعد عن معناه سواء أصاب الدم أم لم يُصب، يقال: ساء عمل السارق.

إن الذي ذكره النحويون من إفادة «ساء» للذم واستعمالها استعمال «بئس»، وكذلك ما بني من الأفعال على «فُعِل» في إفادة المدح والذم، شيء لا نراه إلا في كتب النحو، وفي أمثلتهم المصنوعة.

ومن المفيد أن أعرض لطائفة من الآيات الكريمة التي ورد فيها الفعل «ساء» منصرفاً إلى معناه بعيداً عن الجمل النحوية المصنوعة المثبتة في كتب النحو، ودونك الآيات:

«إِنَّهٗ كَانَ فَاجِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا» ٢٢ سورة النساء.

«مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ» ٦٦ سورة المائدة

«سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» ١٧٧ سورة الأعراف.

«أَيُّمَسِكُهُ عَلَيَّ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» ٥٩ سورة النحل.

«وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ» ١٧٣ سورة الشعراء.

أقول: لم يرد شيء يشبه أمثلة النحويين في هذه الآيات. ولعلمهم ذهبوا إلى إفادة الذم في «ساء» وأنها مثل «بئس» مما ورد من قوله تعالى:

«إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا» ٦٦ سورة الفرقان، وهذا في الكلام على «النار». ثم وجد النحاة حاجتهم بصورة تعيينهم في قوله تعالى:

«بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا» ٢٩ سورة الكهف.

أقول: حتى هذه الآية لم يرد فيها استعمال «ساء» على غرار أمثلة النحويين المصنوعة، وإن جاءت معطوفة على جملة «بئس» (٥٣).

(٥٣) وقالوا في «عَلِمَ وَجَهَلَ وَسَمِعَ» أنها تحول إلى أسلوب المدح والذم مع بقائها على أبنيتها ومثلوا لها بقولهم: عَلِمَ الرجل زيدًا، وَجَهَلَ الرجل أبو لهب، وَسَمِعَ الرجل خالدًا، أقول: وكله مصنوع لم يؤيده نص قديم.

سَحَرَ :

ظرف زمان منصوب على الظرفية، غير متصرف، وإذا حُلِّي بالأداة تصرف، نحو: خرجتُ ليلة أمسِ سَحَرَ. وهي ممنوعة من الصرف إذا أريد بها سَحَرَ يومٍ بعينه لشبه العلمية والعدل. وإذا لم يُرد بها سحر يومٍ بعينه، فهي نكرة، ومنونة، قال تعالى: «إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا» ٣٤، ٣٥ سورة القمر.

أقول: على أن «السحر» معروف في العربية الحديثة، ولكن الكلمة لا تستعمل على هذا النوع من الظرفية الزمانية.

سَعَدَيْكَ :

أي إسعاداً بعد إسعاد، انظر «حَذَارَيْكَ».

سَقِيًّا لَكَ :

مصدر، منصوب على أنه مفعول مطلق، والكلمة من ألفاظ الدعاء، ولمتازلة الماء في حياة العرب الأقدمين في مواطن تفتقر إلى الماء كان الماء أحب شيءٍ لهم، وكان «الغيث» رحمة لهم. ومنه جاء «الغوث» وهو الإغاثة والعون على دفع شدة.

أقول: ولما كانت الحاجة إلى الماء في عصرنا الذي توفرت فيه مصادر المياه، غير قائمة لم يكن لنا أن نحفظ بهذه الأساليب في التحية والدعاء.

سمع :

فعل ماض، ولكن النحاة ذكروا أنه يحول إلى المدح مثل «علم» كما حوّل «جَهَل» إلى الذم واستعملوا هذه الأفعال بأمثلة مصنوعة فقالوا في «سَمِعَ»: سَمِعَ الرجل خالدًا. من غير أن يبدلوا بناءه إلى «فَعَلَ» كما في «شَرَفَ».

أقول: وهذا مرفوض لأنه لم يرد في نص قديم. وهذه الأفعال على استعمالها

المقيد بمعانيها في العربية الحديثة.

باب الشين

شَتَان :

اسم فعل ماض مبني على الفتح بمعنى افترق. تزداد بعدها «ما» كثيراً وتكون أحياناً موصولة وقد ترد من غير «ما».

قال الشاعر:

جازيتموني بالوصال قطيعةً شَتَانٌ بين صنيعكم وصنيعي (٥٤)
و «ما» هنا محذوفة وهي موصولة.

أقول: ولم تستعمل «شَتَان» في العربية الحديثة إلا على حذف «ما» هذه زائدة أو موصولة.

شُدِه :

فعل ماض ملازم للبناء للمجهول، وما بعده فاعل.
أقول: وهذا من القليل النادر في العربية الحديثة، وربما تحولوا عنه إلى اسم المفعول «مشدوه».

شَغَر بَغْر :

حال مركبة مبنية على فتح الجزأين، بمعنى منتشرين: تقول: تركت القوم شَغَر بَغْر.
انظر: «حيث بيث».
أقول: وهذا من الكلم القديم الذي لا يقال في العربية المعاصرة.

(٥٤) شذور الذهب ص ٤٠٦.

باب الصاد

صَقَبَكَ :

ظرف مكان غير متصرف، بمعنى «قربك» يقال: الكتابُ صَقَبَكَ.
وهذا مما لم يُرَ في العربية الحديثة، وإن كان الفعل «صاقَبَ» معروفاً
مستعملاً.

باب الضاد

ضَحْوَةٌ :

ظرف زمان منصوب، يمنع من الصرف إن دلَّ على وقت «ضحوة»
ليوم معلوم، والمانع من الصرف أنه علم جنس مختوم بالتاء، فإن لم يقصد
به ضحوة يوم معين صُرفَ، تقول: لقيته ضحوة.
أقول: «الضحوة» من الكلم المعروف في العربية الحديثة، ولكنها لا
تستعمل للظرفية على النحو الذي عرفناه في كتب النحو.

باب الطاء

طُرّاً :

حال مؤكدة لصاحبها، نحو جاء القوم طُرّاً.
أقول: لم يستعمل هذا في العربية الحديثة.

طَفِيقٌ :

فعل ماض من أفعال الشروع، ناقص يأتي منه مضارع فقط يرفع
الاسم، وخبره جملة فعلية فعلها مضارع غير متصل بـ «أن»، نحو قوله
تعالى:

«وَطَفِيقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ» ٢٢ سورة الأعراف.

أقول: ولم يُرَ هذا الفعل في عربية حديثة، وفي شرع وأخذ وقام ونحوها ما
يعني عنه.

ثم إنني لم أفق على مضارع له، وإن ذكره النحاة.

باب الظاء

ظُبُون :

جمع «ظُبَّة»، وهي حدّ السيف، مما ألحق بجمع المذكر السالم.
أقول: هو جمع عزيز في العربية القديمة، وأكثر منه جمع التكسير «ظُبِي». وليس لنا «ظُبُون» في عربيتنا الحديثة.

باب العين

عاد :

انظر: «رَجَع».

عَتَمَة :

ظرف زمان منصوب، غير منون لعلمية الجنس والتأنيث، وهي الدالة على «عَتَمَة» بعينها. فإن لم تدلّ على وقت معين صُرِفَتْ.

عِرْزُون :

جمع «عِرْزَة» وهي الطائفة، مما ألحق بجمع المذكر السالم، قال تعالى:

«عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ» ٣٧ سورة المعارج.

عِضُون :

جمع «عِضَة» بمعنى متفرقين، مما ألحق بجمع المذكر السالم، قال تعالى:

«الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» ٩١ سورة الحجر.

عَلُّ :

ظرف مكان، بمعنى «فوق»، ولا تستعمل إلا مجرورة بحرف الجر

«من» وغير مضافة لفظاً وتبني على الضم إن كانت معرفة، وهو دلالتها على علو مخصوص. والمضاف إليه يحذف وينوى معناه لا لفظه، ومنه قول الفرزدق:

ولقد سَدَدْتُ عليك كلَّ ثِيبةٍ وأتيتُ فوق بني كليبٍ من عُلِّ (٥٥)

أي من فوقهم. وتعرب إن أريد بها النكرة أي دلالتها على مطلق علو، ويحذف المضاف إليه ولم يُنَوِّ لفظه ولا معناه فتكون مجرورة بـ «من» مع التنوين أو من دونه، قال امرؤ القيس:

مِكْرٌ مِقْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ معاً كجلمود صخر حطه السيل من عُلِّ (٥٦)

أقول: و«عُلِّ» هذه مما لم يُرَ في العربية الحديثة.

عليك :

اسم فعل أمر مبني، منقول عن جار ومجرور، قال الشاعر:

عليك نفسك فتش عن معايها ونخل عن عثرات الناس للناس (٥٧)

أقول: وليس في العربية الحديثة شيء من «عليك» بهذا الاستعمال إلا ما يكون عند المتفصحين.

وكأنني ألمح في هذه المواد التي تدعى أسماء أفعال منقولة عن الجار والمجرور أو الظرف أنها أسلوب من القول في الإيجاز، وهذا يعني أنه يصح تقدير فعل أمر قبل هذه المواد، ولكنهم اجتزأوا بهذه المواد إيجازاً عن طولها، فالتقدير في «عليك نفسك» «الزم عليك نفسك» وفي «دونك الكتاب» «خذ الكتاب دونك» وفي «إليك عني» «ابتعد إليك عني».

(٥٥) شذور الذهب ص ١٠٧.

(٥٦) المصدر السابق.

(٥٧) قائله أبو نواس، الديوان ٢٩٥ (ط العمومية ١٨٩٨).

عَلِيُّونَ :

اسم جمع «عَلِيّ» لأعلى الجنة، أو معانٍ أخرى أشير إليها في كتب التفسير، وهو مما ألحق بجمع المذكر السالم نحو قوله تعالى: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ» ١٨ - ١٩ سورة المطففين.

باب الغين

غُدُوَّةٌ :

تدل على أول زمان مبهم، ظرف منصوب، وجاءت شذوذاً بعد «لذن» منصوبة على التمييز، قال أبو سفيان بن حرب: وما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الكلب منهم لذن غُدُوَّةٌ حتى دَنَتْ لغروب (٥٨) وهذا كله مما لم يبق لدى المعربين في العربية المعاصرة.

غَلُوَّةٌ :

ظرف منصوب على الظرفية المكانية، تقول: سرتُ غَلُوَّةً. وهذا أيضاً من الكلم المنسي الذي لا وجود له في العربية المعاصرة.

باب الفاء

فُلٌّ :

بمعنى «رجل» ولا تجيء إلا في النداء، تقول: يا فُلٌّ، أي يا رجل، وجاءت في الشعر في غير النداء: قال أبو النجم العجلي: تَضِلُّ منه إبلي بالهَوْجَلِ في لُجَّةِ أَمْسِكُ فلاناً عن فُلِّ (٥٩) أقول: وليس لنا في العربية الحديثة إلا «فلان» وتُسْتَعْمَلُ في النداء وغيره.

(٥٨) الدرر اللوامع للشنقيطي ١/١٨٥.

(٥٩) لسان العرب (فلن).

باب القاف

قَعَدَ :

فعل ماضٍ مثل «صار» معنى وعملاً نحو: قعد المخلص نادراً.
وتأتي للشروع مثل «بدأ» نحو: قعد الطالب يتقدم.
أقول: وكلاهما مما لا يعرف في العربية المعاصرة.

قُلُون :

بكسر القاف وضمها جمع «قُلَّة» وهي عود يلعب به الأطفال، من خشبة يجعل في وسطها حبل، مما ألحق بجمع المذكر السالم.
أقول: لم يبق شيء من هذا في العربية الحديثة.

باب الكاف

كَأَيْنَ ، كَأَيِّ :

من كنايات العدد، مركبة من كاف التشبيه و«أي» وفيها لغات: كَأَيْنَ، وكَائِنَ، وكَتْنِ، وتعرب إعراب «كم» الخبرية، مبنية وتلزم صدر الكلام، وتفتقر إلى تمييز مجرور بـ«من»، نحو: «وكَأَيْنَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرًا» ١٤٦ سورة آل عمران.

وقال الشاعر:

وكائن تَرَى من صامتٍ لك معجِبٌ زيادته أو نقصه في التكلُّمِ (٦٠)
أقول: وهذا ما لم يُر في العربية المعاصرة.

كُتِّعَ :

من أفاظ التوكيد المعنوي، نحو جاءت النسوة كُلُّهُنَّ كُتِّعَ. انظر: «بُصَع».

(٦٠) شرح المفصل ٤/١٣٥.

أقول: وهذا أيضاً من الكلم المنسي الذي لا نراه في العربية المعاصرة.
كثُرَ ما :

فعل ماضٍ، اتصلت به «ما» الزائدة أو المصدرية، وكأنه يقابل
«قلما».

أقول: وهذا مما خلت منه عربيتنا المعاصرة.

كَرَبَ :

من أفعال المقاربة، غير متصرف، يلزم صيغة الماضي، يدل على
قرب وقوع الخبر، وخبره جملة فعلية فعلها مضارع مجرد من «أن».

أقول: وكان المعريين وجدوا في «كاد» و «أوشك» ما يغني عن كرب.

أقول أيضاً: كان على النحاة أن يجدوا في الفعل «يريد» ضرباً من المقاربة
يندرج في هذا الباب وذلك في قوله تعالى: «فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ
يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ» ٧٧ سورة الكهف.

وكذلك الفعل «هَمَّ» في قوله تعالى: «إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا»
١٢٢ سورة آل عمران.

كَفَّةَ كَفَّةً :

حال مركبة مبنية على فتح الجزأين بمعنى «مواجهاً» نحو: لقيته كَفَّةً
كَفَّةً.

أقول: وهذه من الكلم الذي ضاع ولم نجده في لغتنا المعاصرة.

باب اللام

لُؤْمَانُ :

بمعنى عظيم اللؤم، وهو من الألفاظ التي لا تستعمل إلا في النداء.

لات :

من الأدوات النافية مشبهة بـ «ليس» وتعمل عملها، ويشترط في عملها أن يكون معمولها اسمي زمان وقد يحذف أحدهما، والغالب الخبر، نحو قول الشاعر:

تَدِيمُ البُعَاةِ ولاتٌ سَاعَةٌ منْدَمٍ والبغْيُ مرْتَعٌ مَبْتَغِيهِ وخِيمٌ (٦١)
أقول: وهذا مما لا نجده في عريية العصر، وأدوات النفي كثيرة أغنت عنه.

لاجرَم :

انظر: «جرَم».

لا يكون :

من أدوات الاستثناء بمنزلة «إلا» نحو قولهم: حضر الإخوان لا يكون زيدا.

أقول: ولم نجد في أسلوب الاستثناء في عصرنا هذه الأداة، وفي «إلا» و «سوى» و «خلا» و «عدا» وغيرها ما يسد مسدّها.

لُدُنُّ :

ظرف مبهم مبني على السكون، ولم يأت إلا مضافاً للدلالة على مبدأ الغاية الزمانية أو المكانية، ويكثر دخول الجار «من» عليه، وهي كذلك في لغة التنزيل، قال تعالى: «لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ» ٢ سورة الكهف.

وقال الشاعر:

صريع غوانٍ راقهنَّ ورُقننه لُدُنُّ شَبٌّ حتى شابَّ سوْدُ الذوائبِ (٦٢)

(٦١) شذور الذهب ص ٢٠٠.

(٦٢) معني اللبيب ص ١٥٧.

أقول: وليس في العربية المعاصرة هذا الظرف، والمربون يتحولون في هذا إلى عند، ولا ينظرون إلى خصوصية «لذن».

لِدُونِ :

جمع «لِدة» والمعنى مَنْ ولد في يوم ولادتك، وهي مما ألحق بجمع المذكر السالم.

أقول: وهذا مما لا يرى في العربية المعاصرة.

لِعَاً :

اسم فعل للدعاء، يقال: لعاً له، بمعنى سلّمه الله، ويقال أيضاً لِعَاً له، بمعنى لا سلّمه الله أو لا أقامه الله من عشرته.

أقول: وهذا من الكلم القديم الذي لا نجده في العربية الحديثة.

لَعَمْرُ :

بفتح اللام والعين، من أفاظ القسم الصريح، و«عَمْر» بمعنى الحياة، واللام لام ابتداء، و«عمر» مبتدأ، والخبر محذوف وجوباً تقديره: قسمي، و«عمر» تضاف إلى الضمير وإلى الظاهر، قال عمر بن أبي ربيعة:

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً بسبعِ رَمِينِ الجمر أم بثمانٍ (٦٣)
وقال القحيف العجلي:

إذا رَضِيَتْ عليّ بنو قُشَيْرٍ لعمر الله أعجَبَنِي رضاها (٦٤)

أقول: وهذا الضرب من القسم مما لا يرد في عربيتنا المعاصرة.

لِكَاعٍ :

صفة لمؤنث بمعنى «بليدة» مبنية على الكسر، قال الشاعر:

(٦٣) الكتاب ٣/١٧٥.

(٦٤) مغني اللبيب ص ١٤٣.

أَطْوَفُ مَا أَطْوَفُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لِكَاعِ
أَقُولُ: وَهَذَا مِمَّا بَنِيَ عَلَى «فَعَالٍ» مَبْنِياً عَلَى الْكَسْرِ عِلْماً لِأَنَّهُ أَوْسَبُ
لَهَا، وَكُلَّهُ مِمَّا لَا نَجْدُهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ.
لَمَّا:

حَرْفُ نَفْيٍ بِمَنْزِلَةِ «لَمْ» تَنْفِي الْمَضَارِعَ وَتَجْزِمُهُ وَتَقْلِبُهُ إِلَى الْمَضِيِّ، وَيَكُونُ
نَفْيِهِ مُتَّصِلاً إِلَى الْحَالِ مُتَوَقَّعاً حَدُوثَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:
فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَادْرِكْنِي وَلَمَّا أَمْرَقِ
أَقُولُ: وَهَذَا الْجَازِمُ مِمَّا لَا نَجْدُهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ، وَقَدْ جَهِلَ
الْمَعَاصِرُونَ خُصُوصِيَّةَ نَفْيِ «لَمَّا» فَتَحَوَّلُوا عَنْهَا إِلَى تَرْكِيْبِ خَاصٍ فَقَالُوا: لَمْ يَأْتِ
الْبَرِيدُ بَعْدُ.
لَوْ مَا:

حَرْفُ امْتِنَاعٍ لَوْجُودٍ وَتَحْضِيضٍ، يَشْبَهُ «لَوْلَا» فِي الْاسْتِعْمَالِ وَالشَّرْطِ.
أَقُولُ: وَلَا نَجْدُهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ.

بَابُ النُّونِ

نُتِجَ:

فَعْلٌ مَاضٍ مَلَازِمٌ لِلْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ، وَبَعْدَهُ فَاعِلٌ، كَقَوْلِهِمْ: نُتِجَتِ
الْفَرَسُ، فَهِيَ نَتُوجُ، وَليْسَ فِي الْكَلَامِ «فُعِلَ» وَهِيَ فَعُولٌ إِلَّا هَذَا.
أَقُولُ: وَليْسَ لَنَا شَيْءٌ مِنْ هَذَا فِي الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، وَقَدْ ذَهَبَ بِهَذَا
الْفَعْلُ إِلَى الْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ مَعَ زِيَادَةِ الْهَمْزَةِ «أَنْتِجَ» وَكَانَ مِنَ الْأَفْعَالِ ذَاتِ
الْحَضُورِ الْوَاقِي. إِنْ الْمَصْدَرُ «إِنْتِاجٌ» مِنَ الْمَوَادِّ الْجَدِيدَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فِي مِيَادِينِ
شَتَّى مِنَ الشُّؤْنِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

نِعْمًا :

مركبة من «نِعْمَ» و «ما» قال تعالى: «فَنِعْمًا هِيَ» ٢٧١ سورة البقرة.
أقول: وهذا التركيب من الأدوات مما لا نعرفه في العربية الحديثة.

نُومَان :

اسم بمعنى: كثير النوم، تستعمل في النداء، كقولهم: يا نُومان.
أقول: وهذا أيضاً من الكلم القديم.

باب الهاء

هَبَّ :

فعل أمر ناسخ، جامد يلزم صيغة الأمر، وليس منه ماض ولا مضارع،
بمعنى الأمر من الفعل «ظَنَّ» يفيد رجحان وقوع الخبر، ينصب مفعولين أصلهما
مبتدأ وخبر، نحو قول أبي همام:

فقلتُ: أجزني أبا مالك وإلا فهبني امرءاً هالكا (٦٥)

أقول: وهذا مما لم نجده، بهذه الشروط، في عربيتنا الحديثة. والذي في
العربية هو «هب» غير هذا. والفعل «هَبَّ» كأنه الأمر من «وَهَبَّ» ويأتي في لغة
الناس في عصرنا متبعاً بـ «أَنَّ» ثم معنوليتها.

والفعل القديم مثل «تَعَلَّمَ» بمعنى «اعلَمَ».

هذاذيك :

انظر: «حذاريك»

والمعنى: إسراعاً بعد إسراع.

أقول: وهذا أيضاً من مثنيات المصادر التي تجاوزها الاستعمال

الحديث.

(٦٥) من شواهد «الكتاب».

هُزِلَ :

فعل ماضٍ، أتى على بناء المفعول، وبعده فاعله .

أقول: والمعربون يتحولون عنه إلى اسم المفعول «مهزول»، ولم يرد الفعل في ترسلهم .

هَيَا :

حرف نداء، قال الخطيبية :

فقال: هيا رباه ضيف ولا قيرى بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحم

أقول: وليس في عربيتنا في هذا العصر شيء من استعمال هذه الأداة .

هَيْتَ :

مثلثة التاء، اسم فعل أمر مبني على الحركات الثلاث، وسمع فتح أوله وكسره، وهو بمعنى «تعال» أو «هلم» يستعمل في الأفراد والتثنية والجمع مذكراً ومؤنثاً، قال تعالى :

﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ ٢٣ سورة يوسف .

باب الواو

وا :

حرف نداء للبعيد، أو حرف ندبة ينادى بها المندوب، وهو المتوجع أو المتفجع عليه، وقد تأتي للاستغاثة . . .

أقول: وهذا مما لا نعرفه في عربيتنا وذلك لأن الندبة والاستغاثة يوصل إليهما بأساليب أخرى .

وقد تأتي «وا» اسم فعل مضارع بمعنى «أعجب» كقول الشاعر:

(٦٦) الديوان ص ٣٩٧ .

«وا بآبي أنتَ وفوكَ الأشنَبُ» (٦٧)

وهذا أيضاً عما لا تجده في عربية العصر.

وابلون :

جمع «وابل» مما ألحق بجمع المذكر السالم.

وهذا شيء قديم لا يعرف في عصرنا.

واهِ :

بالبناء على الفتح أو الكسر مع التنوين، اسم فعل بمعنى «أعجَبُ» أو «اتلهَّفُ»، نحو:

واهاً لسلمي ثم واهاً واهاً (٦٨)

أقول: وهذا مما لم يبق شيء منه في عربية عصرنا.

وراء :

ظرف مكان منصوب على الظرفية، ولكنه يبنى على الضم إذا أضيف وحذف المضاف إليه ونوي معناه، نحو:

إذا أنا لم أومنْ عليكِ ولم يكن لقاؤك إلا من وراء وراء (٦٩)

أقول: وهذا مما لم يعرض في ترسل المعاصرين.

وُشكان :

بتثنية الواو، اسم فعل ماض بمعنى «سُرِعَ» مثل «سُرعان».

أقول: كأن المعريين في عصرنا اكتفوا بـ «سرعان» عن «وُشكان» هذا.

(٦٧) مغني اللبيب ص ٣٦٩.

(٦٨) شرح الأشموني ١/ ٣٣.

(٦٩) شرح المفصل ٤/ ٨٧.

وَهَب :

فعل ماض جامد، من أفعال التحويل، بمعنى «صَيَّر»، نحو قولك: وَهَبَنِي اللهُ فِدَاكَ، أَي جَعَلَنِي وَصِيْرِي.

أقول: وهذا مما لا يعرف في العربية الحديثة، والفعل فيها بمعناه أي العطاء، يقال وَهَبْتُ دَرَهْمًا، مثل أعطى.

وَيَّ:

اسم فعل مضارع بمعنى «أعجب» قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَّى كَانَ اللهُ يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾، ٨٢ سورة القصص.

أقول: وهذه من لوازم الأدب القديم.

وَيَّب :

كلمة قالها العرب في الشتم أو التوبيخ، ثم عَمَّتْ في الدعاء بالشر مثل «وَيْل» استعمالاً وإعراباً.

وهذه مثل «وَيْح» في معنى الترحم وإظهار الشفقة، ومثل «وَيْس» دعاء في الرحمة والرفق، وجميع هذا واحد في الاستعمال والإعراب.

وكذلك «ويك» مثل «ويل» معنى وإعراباً.

وهذا كله مما لم يبق شيء منه في عربية العصر.

ويلمّه :

هي «ويل» رُكِبَتْ مع «أمه» دعاء بالشر.

وهذه أيضاً مما فني وزال.

ويّه :

ومثلها «ويهاً» للإغراء والتحريرض والحث، وهي كذلك في التذكير

والتأنيث، وهذه كمنظائرهما السابقتان مما ضاع من عربية العصر.

خاتمة :

هذا موجز من عمل معجمي أتيت فيه على الذهاب من النحو العربي القديم في عربية عصرنا.

إن جمع هذه المواد لتقدم فائدة لمن يضطلع في وضع موجز في النحو للدارس غير المختص بالعلوم اللغوية.

على أن فيه شيئاً من مشاركة في علم اللغة التاريخي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَائِعُ مُؤْتَمَرِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ فِي الدَّوْرَةِ السَّادِسَةِ وَالْخَمْسِينَ

١٩٩٠ .

للدكتور عدنان الخطيب

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السادسة والخمسين بمدينة القاهرة، في المدة الواقعة من غرة شعبان، الموافق ٢٦ من شباط (فبراير) إلى ١٥ من شعبان سنة ١٤١٠هـ. الموافق ١٢ من شباط (فبراير) سنة ١٩٩٠م.

وفيما يلي عرض موجز لما دار في المؤتمر من بحوث ومناقشات، وما انتهى إليه من مقررات وتوصيات :

أولاً : جلسة الافتتاح .

عقدت جلسة الافتتاح العلنية برئاسة الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع في قاعة المجمع الكبرى، وقد شهدها جمع من أهل الفكر والأدب

واللغة والإعلام، إضافة إلى أعضاء المجمع المصريين والوافدين، وإليك عرض كامل لما تمّ فيها.

١ - كلمة وزير التعليم في مصر

ألقى الدكتور أحمد فتحي سرور كلمة استهلها بالترحيب بالأعضاء الوافدين على مصر من الأقطار العربية أو الإسلامية، ومن سائر البلاد شرقية أو غربية، ثم قال:

«إن مؤتمر المجمع إنما هو مهرجان للغة العربية يقام كل عام، حيث تعرض فيه إنجازات المجمع من المصطلحات العلمية والفنية التي تتجاوز عدتها كل عام ألفي مصطلح . . .» إلى أن قال: «وغير ذلك مما يحفل به برنامج مؤتمر من بحوث في مختلف الشؤون اللغوية التي تصدر بشأنها قرارات هدفها تيسير قواعد اللغة العربية، وتصويب بعض الألفاظ والأساليب الشائعة التي تتهم بالخروج على ضوابط العربية».

ثم ناشد السيد الوزير المؤتمرين بوضع مقرراتهم على مدى الست والخمسين دورة، بين يدي وزارة التعليم لتنفيذ منها في تطوير مناهج اللغة العربية وكتابها المدرسي في مختلف المراحل التعليمية.

ثم ختم السيد الوزير كلمته قائلاً: «إن مجمعكم الجليل بوضعه الفريد المتميز، حيث يضم أعضاء من البلدان العربية، هو الأوحد والأقدر على معالجة قضية العاميات الفصيحة في الوطن العربي، وإبراز الصلات المشتركة بينها. . وصولاً إلى التقريب بين العامية والفصحى في كل بلد عربي . . ثم التقريب بين العاميات العربيات في إطار الفصحى . .».

٢ - كلمة رئيس المؤتمر

ثم ألقى الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المؤتمر كلمة، رحب فيها بالأعضاء الوافدين، مبيناً أن الموضوع الذي طرحه المجمع على أعضائه لهذه الدورة هو «العامي الفصحى» موضوع هام، ويتطلب تعاوناً شاملاً من

علماء الأقطار العربية كافة.

وتحدث الأستاذ الرئيس مطولاً عن اللغة الدارجة في كل من المشرق والمغرب، مؤكداً أنها في طريقها إلى التلاقي والتقارب، بل إنها صائرة إلى التوحد، مبيناً أن الفضل في ذلك يرجع إلى انتشار التعليم من جهة، وإلى وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية من جهة ثانية، وأشاد السيد الرئيس بالدور الجسيم الذي كان لوسائل الإعلام، وبما قام به أعضاء المجمع لتنشيط التقارب المنشود.

٣ - كلمة الأمين العام للمؤتمر

وألقى الدكتور شوقي ضيف بعدئذ كلمة مطولة تحت عنوان «بين المؤتمرين» أوضح فيها الأعمال التي كان المؤتمر قد أنجزها في الدورة السابقة، والأعمال التي ستعرض عليه في دورته الحالية والتي أنجزتها لجان المجمع المختلفة وأقرها المجلس فيما بين الدورتين.

ثم عدد السيد الأمين العام المطبوعات التي استطاعت إدارة المجمع إنجازها، مشيراً إلى ما هو منها قيد الإنجاز، مبيناً ما قام به المجمع من صلات بمختلف المجامع والهيئات الثقافية في مصر والأقطار العربية والدول الإسلامية والأجنبية.

وأعلن السيد الأمين العام اسمي عضوين عاملين جديدين تم انتخابهما وسيستقبلان قريباً هما، الأستاذ الأديب إبراهيم التريزي والأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد، كما أعلن أسماء الأعضاء الذين اعتذروا عن حضور هذه الدورة.

وأنهى السيد الأمين العام كلمته بالترحيب بجميع الأعضاء الذين لبوا الدعوة إلى حضور المؤتمر، ثم شكر جميع الذين حضروا جلسة الافتتاح العلنية.

٤ - كلمة الأعضاء الوافدين من الأقطار العربية

ألقى الدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من (السودان) كلمة الأعضاء الوافدين استهلها بقوله: «من حسن حظي بعد تسعة وعشرين عاما عضواً في هذا المجمع، أن أخاطبه بكلمة الأعضاء الوافدين الضيوف، ولا أعد نفسي ضيفاً، إذ أنا ابن هذه الدار وأخو إخواني فيها الأبرار».

وتحدث الدكتور الطيب عن حصيلة ذكرياته في السنين التسع والعشرين التي خلت. وقد اجتمع بكبار أعضاء المجمع الراحلين، ملمحاً إلى الاتجاهات الجديدة التي نمت في العالم العربي، فأبرزت ازدواجية متناقضة: نفور من الغرب واستعمار، مع رغبة معرّضة في تقليده، وكلف بالقومية العربية وحبها، مع نفور شديد من لغتها الفصيحة.

وضرب الدكتور الطيب أمثلة على تلك الازدواجية والأخطار التي تمثلها، غير أنه أعقب كل ذلك قائلاً: «إني متفائل... متفائل لماذا؟ متفائل لأنه قد ورد في الحديث، عن يوم يقاتل فيه المسلمون اليهود، إن الحجر يختبئ وراءه يهودي، فينطق ويقول: ... يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله(١)».

لقد رأينا تأويل ذلك في الانتفاضة الفلسطينية، إذ ينبغي ألا يؤخذ الحديث على ظاهر نصه إن كان ثم وجه لتأويله، وعسى أن يجيء ظاهر اللفظ بعد ذلك».

ثم تكلم الدكتور الطيب عن أثر الإسلام في أفريقيا، وكيف أن العربية تكون حيث يكون الإسلام، مؤكداً: «أن طريق العربية هو اللغة الفصيحة الرحبية التي ترجع إلى الأصول لأن بها تستير العقول» وختتم كلامه بالثناء الشديد على جهود مجمع القاهرة من أجل بناء لغة عربية سليمة.

(١) الحديث مروى في الصحاح. انظر المعجم المفهرس للاتحاد الأممي للمجامع العلمية. ليدن ١٩٣٦ ج ١ ص ٤٢٥.

ثانياً : المصطلحات

درس المؤتمر وناقشوا، أثناء جلساتهم اليومية، المصطلحات العلمية والفنية والاجتماعية، التي وضعتها اللجان المتخصصة وأقرها مجلس المجمع، وذلك بحضور الخبراء المتخصصين، وقد وافقوا على أغلبها بالإجماع وعلى بعضها بالأكثرية أو بعد إدخال تعديل عليها أو على شرحها.

ويبلغ مجموع المصطلحات التي عرضت على المؤتمرين ٣٩١٢ مصطلحاً موزعة بين مختلف العلوم والفنون على الشكل التالي :

٣٤٦	مصطلحاً من مصطلحات الفيزيقا
٥٤٨	مصطلحاً من مصطلحات النفط
٤١٢	مصطلحاً من مصطلحات الكيمياء والصيدلة
٣٦٢	مصطلحاً من مصطلحات العلوم القانونية (قانون العقوبات)
١٥٨	مصطلحاً من مصطلحات العلوم القانونية (القانون الدولي العام)
٨٠	مصطلحاً من مصطلحات الآثار
١٢٦	مصطلحاً من مصطلحات الجغرافيا
١٣٢٩	مصطلحاً من مصطلحات العلوم الطبية
١٠٥	مصطلحات من مصطلحات الهندسة
١٣٩	مصطلحاً في مجال التربية الرياضية
١٩٨	مصطلحاً من مصطلحات الألعاب الرياضية
٣٦	مصطلحاً من مصطلحات الحركة الأولمبية
٧٣	مصطلحاً في مجال الترويح الرياضي

٣٩١٢

ثالثاً : البحوث والدراسات

استمع المؤتمر، أثناء انعقاد المؤتمر إلى عدد من البحوث

والدراسات المتخصصة، ألقاها أعضاء وكانت غالبيتها تدور حول «العامي الفصيح»، وفيما يلي عرض موجز لما ألقى من بحوث ودراسات مسلسلة تبعا لزمّن إلقائها، مع أهم ما دار حولها من تعليقات ومناقشات:

١ - حديث عن الإنسان في القرآن الكريم

بحث ألقاه الدكتور محمد رشاد الطويبي عضو المجمع من (مصر)، بدأه بذكر ما ميّز الله به الإنسان حتى أصبح بفضل سيد المخلوقات، وأصبحت له السيطرة الكاملة على مجريات الحياة في هذا العالم المتسع الأرجاء.

ثم بيّن الباحث دلالة ما جاء في القرآن الكريم من آيات فيها ألفاظ المخاطب بها هو الإنسان مثل الناس والبشر، مؤكداً أن لفظ «إنسان» بدون أداة تعريف لم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانُهُ ظَئِرُهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (٢).

وتكلم الباحث بعدئذٍ عن شمول لفظة (إنسان) للذكر والأنثى، متعرضاً للعرف السائد عند أغلب الشعوب من تفضيل الذكر على الأنثى، مستشهداً بالآيات القرآنية المتصلة بهذا الموضوع.

وتعرض الباحث إلى الأساس العلمي للذكورة والأنوثة مؤكداً عدم نجاح جميع المحاولات للتحكم في جنس الجنين، قائلاً: بأن الأمر كله يظل في يد الخالق القدير القائل: ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَانَا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (٣).

ثم تحدث الباحث عن مراحل عمر الإنسان، ذاكراً أدوار نموه مد يكون نطفة حتى يخرج طفلاً إلى أن يصبح غلاماً مراهقاً، وهنا تكلم عن

(٢) الإسراء: ١٧: ١٣.

(٣) الشورى: ٤٢: ٤٩.

مرحلة النضج الجنسي ، وتابع حديثه عن صيرورة الإنسان كهلاً إلى أن تدركه الشيخوخة والهرم .

وختم الباحث حديثه بشرح قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْيِكُمْ﴾ (٤) ، مبيناً أن المقصود بالألسنة هو (اللغات) وبالألوان هو: (لون الجسم من بياض وسمرة وسواد . .) شارحاً قوة هذا التمييز من الوجهة العلمية .

وشكر كل من الزملاء الأساتذة: علي رجب المدني ومحمد عزيز الحبابي ومحمد متولي الشعراوي وأمين علي السيد وحسن الفاتح قريب الله ومحمد نايل أحمد وعبد الله الطيب وعبد الكريم خليفة ومحمد مهدي علام، الباحث على حديثه الممتع، وأبدى كثير منهم بعض الملاحظات الجانبية كما ألقى بعضهم شيئاً من الضوء على الفاظ وتفسيرات وردت في البحث .

٢ - العامية : عاميات والواجون حمايتها : أنماط

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع من (سورية)، قدّم له نبذة عن تاريخ اللحن في العربية وتسربه إلى نطق الخاصة، مما أفرغ علماء الدين واللغة، فهبّ الغيارى على الفصحى منهم يكتبون ويؤلفون ويحثّون خاصة المسلمين قبل عامتهم، على وجوب التقيد بضوابط اللغة، والالتزام بالسليم من اللفظ .

ثم تكلم الباحث عن عوامل النهضة العربية في القرن التاسع عشر الميلادي، وعن الدعوة التي رافقتها إلى نشر التراث العربي وظهور معجمات حديثة لغوية، والمناداة بوجوب التزام الفصحى في تعليم العلوم، وكان ذلك ردّ فعل لازدياد المطاعم الأوروبية بالبلاد العربية وتشجيع أنصار العامية لحمل لوائها والدعوة إلى اعتمادها .

(٤) الروم : ٣٠ : ٢٢

وأفرد الباحث بعدئذ نبذة خاصة بكل قطر عربي، مستعرضاً فيها المؤلفات التي عنت بموضوع الصراع بين العامية والفصحى وأمكنه الاطلاع عليها، مستخلصاً مما ورد فيها، أن العامية في كل قطر إنما هي مجموعة عاميات على النحو التالي بيانه:

١ - مَيَز مؤلف كتاب «تهذيب الألفاظ العامية» المصري (٥)، بين لهجة أهل القاهرة ولهجة أهل الإسكندرية، وبين لهجات أقاليم الوجه البحري ولهجات أقاليم الوجه القبلي.

٢ - يقول مؤلف كتاب «العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى الجزائرية (٦)»: «... الجزائرية يتمثل هيكلها اللغوي العام في هذه اللهجات الإقليمية، التي تختلف من جهة إلى جهة، بل أحياناً من قرية إلى قرية مجاورة لها».

٣ - يعرف كاتب «عاميتنا المعجمية» المغربي (٧)، العامية قائلاً: «هي اللغة التي يتكلم بها الجمهور في أي بلد عربي، ويقال لها أيضاً الدارجة، لأن القوم درجوا على التفاهم بها (٨)، وبما أنه لكل قطر عربي لغة من هذا القبيل...».

٤ - يقول مؤلف كتاب «ردّ العامي إلى الفصحى» الشامي (٩): «... وإنه لغني عن البيان أن أكثر ما ذكرته من العامي هو من اللهجة التي أسمعها كل يوم

(٥) هو الشيخ محمد علي الدسوقي المدرس بالمدارس الأميرية والكتاب طبع بمصر سنة (١٣٣١هـ - ١٩١٣م).

(٦) هو الدكتور عبد المالك مرتاض والكتاب طبع سنة ١٩٨١.

(٧) هو الزميل الراحل عبد الله كنون والمقال نشر في تطوان سنة ١٩٥٤.

(٨) مما اعترض عليه الزميل كمال بشر القول عن العامية: ويقال لها الدارجة، لأن العامية ليست دارجة علمياً، وهذا صحيح، ولكن كاتب المقال لم يكن في بحثه راغباً في التسوية بينهما.

(٩) هو الزميل الراحل أحمد رضا صاحب معجم متن اللغة والكتاب طبع في صيدا سنة ١٩٥٢.

بل كل ساعة، وهي لهجة جبل عاملة وساحل دمشق وما يليه من سفوح لبنان».

٥ - ذكر مؤلف معجم «العامي والدخيل» اللبناني (١٠) في مقدمته العاميات قائلاً إنها «متشعبة الفروع لاختلاف لهجات الناطقين بها، فما تراه عامياً في لبنان لا تجده كذلك في دمشق وسائر أجزاء سوريا، بل إن كل قرية في لبنان لها لغة عامية خاصة ولهجة يعرف بها أهلها».

٦ - يقول مؤلف كتاب «معجم اللغة العامية البغدادية» العراقي (١١): «... ولكن اللفظة العامية في بغداد غيرها في مصر والشام واليمن والمغرب، بل هي غيرها في بغداد والموصل والبصرة أحياناً بل هي في الرصافة غيرها في الكرخ».

وبعد أن عرض الباحث على المؤتمرين جملة من الكلمات التي توصف بأنها مولدة أو محدثة أو دخيلة أو عامية وهي في حقيقتها فصيحة ولكنها مهجورة لعاميتها، وكلها من المستحسن إقرار إثباتها في «المعجم العربي» مع إجازة المجمع استعمالها من قبل الطلاب أو من قبل الأدباء والكتاب إذا ما رغبوا في ذلك، قال:

«ها نحن قد عرضنا لمحات واضحة عن قصة العامية كيف نشأت إلى جانب الفصحى وكيف نمت جذورها، ثم أوردت أغصانها إلى أن طغى فيئها، وأصبحت لهجة تتحدث بها مجتمعات عديدة، وإذا بها تسيطر على مختلف الشعوب العربية، ويقوم نفر في كل شعب منها غريب الديار تارة ومن ذوي الأرحام تارة أخرى، يدعون لها ويشيدون بها وبعضهم يعمل لتحل محل الفصحى ليل نهار».

كما عرضنا وشلاً مما احتوته مؤلفات الذين حاموا حول العامية أو

(١٠) هو الشيخ رشيد عطية وقد طبع معجمه في سان باولو سنة ١٩٤٤.

(١١) هو الشيخ جلال الحنفي البغدادي وكتابه طبع في بغداد سنة ١٩٦٣.

ولجوا حماتها في العصر الحديث ، وكلهم وجد نفسه أمام عاميات تتفاوت لا بين قطر وقطر من أقطار الوطن العربي ، ولا بين بلد وبلد فحسب ، بل تتفاوت أحياناً بين حيّ وحيّ» .

ثم ختم الباحث حديثه بالكلام عن دوافع العلماء إلى الولوج في آفاق العامية ، مؤكداً أن دوافع غالبيتهم كانت الغيرة على الفصحى ، أما بواعث ركض الآخرين وراء العامية ، فهي متعددة متباينة حيناً ، مختلفة متعارضة أحياناً ، متشابكة متنافرة في بعض الأحيان ، مما يصعب معه تصنيفهم في فئات محددة ، إنما هم أنماط أشتات تتراوح بين علماء فتننتهم الحضارة الغربية فتخللوا أن التقدم الحضاري مرهون باتباع خطوات الغرب التي مشاها نفسها ، ونفر من الحاقدين على ما ترمز إليه الفصحى يحلمون بالقضاء عليها إذا ما غدت العامية لغة معترفاً بها .

وأنهى الباحث حديثه بتوزيع أنماط النوالجين حمات العامية على عشرة أصناف ، تنقص نصفهم النيات السليمة والأفكار الصحيحة .

وأثنى على البحث كل من الزملاء الأساتذة : كمال بشر ومهدي علام وإبراهيم السامرائي وعلي رجب المدني (١٢) ، ومحمود علي مكي وأحمد السعيد سليمان وعز الدين عبد الله ، ومحمد نايل أحمد (١٣) ، وأمين علي السيد ، وأبدى بعضهم ملاحظات جانبية ، وعلق آخرون ناقدين بعض ما ورد في البحث أو أغفل الباحث ذكره .

٣ - المختصرات وطريقة أدائها باللغة العربية

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبد الكريم خليفة عضو المجمع من

(١٢) أبدى الزميل الكريم تحفظاً شديداً على ما سمعه من الباحث من فتح عين كلمة (العلمانية) كلما وردت ، وكأنه يرى رأي من أدخل في الطبعة الثالثة من المعجم الوسيط (العلمانية) مكسورة العين ، وسبق لنا أن أثبتنا خطأ هذا الرأي في البحث الذي ألقيناه في مؤتمر المجمع سنة ١٩٨٧ .

(١٣) اعترض الزميل المحترم على طلب إقرار معنى لفظة (بطانة) العامي محتجاً بقرآنية الكلمة ، واعتقد أن قبول معنى (بطانة) السوء لدى الطغاة أي «حواشيهم» لا يتنافى وقرآنية الكلمة .

(الأردن)، استهله بترديد مقولة اختلاف اللغة الأدبية عن اللغة العلمية من حيث أساليب هذه ووضوح مدلولاتها وتحديد معاني مفرداتها، إلى أن قال: «وأدى تسارع الحركة العلمية منذ الحرب العالمية الثانية، إلى دخول فيض كبير من المصطلحات العلمية والتسميات بكلمات متعددة وعبارات طويلة في اللغات الأجنبية، مثل: الإنكليزية والفرنسية والألمانية والروسية. وقد رأوا في مؤسساتهم اللغوية والعلمية أن ينأوا عن تكرار هذه العبارات الطويلة، توفيراً للوقت والجهد وتيسيراً للفهم والإفهام، فلدجأوا إلى أسلوب المختصرات (Abbreviations)، وذلك بوضع أشكال معينة للتعبير عن المعنى بصورة رمزية مختزلة، وفق قواعد محددة ومتعارف عليها، فاختصروا الكلمات في حروف تكون عادة أوائل كلمات المصطلح».

وبين الباحث بعدئذٍ كيف جنحت أكثر اللغات نحو اختصار الصيغ. كما عرفته العربية فيما يسمى بالنحت، ثم استعرض المحاولات الفردية والمحاولات غير المدروسة التي شاعت في بعض الأقطار العربية مما يوجب وضع قواعد تحدد كيفية وضع «المختصرات» المقبولة عربياً تجنباً للفوضى والتناقض.

وضرب الباحث أمثلة عن الفوضى والتناقض في المختصرات التي ابتدعتها بعض المؤسسات العربية، مستخفة برونق اللغة وخصوصياتها، سالكة مسلك المختصرات التي ابتدعتها المؤسسات الدولية من أسمائها باللغة الإنكليزية.

وتابع الباحث حديثه عن شيوع أسلوب المختصرات داعياً إلى أن: «تأخذ المعجم والهيئات اللغوية العربية على عاتقها دراسة المشكلات التي تنشأ عن ذبوع استخدام المختصرات، ووضع قواعد محددة تنظم كيفية صياغتها، وإضفاء رونق العربية عليها، ونظمها في سياق الجملة العربية السليمة».

ثم ختم الباحث دعوته بذكر بعض المقترحات التي يراها تعين على

تحقيق ما يدعو إليه .

وتلقى الدكتور عبد الكريم خليفة تهاني زملائه على بحثه الجيد، وكان من المتكلمين كل من الدكتور إبراهيم مدكور والدكتور محمود الجليلي والأستاذ علي رجب المدني والدكتور أبو القاسم سعد الله والدكتور إسحق موسى الحسيني والدكتور عز الدين عبد الله والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح والدكتور شوقي ضيف، وقد أغنى كثير منهم موضوع البحث بملاحظات قيمة .

٤ - ألفاظ الحضارة بين العامي والفصح

بحث أعدّه وألقاه الأستاذ أحمد شفيق الخطيب عضو المجمع المراسل من (فلسطين)، بدأه بالإشارة إلى قدم صلته بالمجمع بصفته رئيس دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مشيداً بإنجازات المجمع الفائقة، فقد أفادته في عمله كثيراً وأخذ بنشرها .

وشكر الباحث للمجمع انتخابه عضواً عن فلسطين، ثم استهل بحثه عن ألفاظ الحضارة بذكر تعريف المعجم الوسيط لها، وانتهى إلى القول: بأن كل لفظ - في كلامنا - هو لفظ حضاري يحمل في طياته قليلاً أو كثيراً من الحضارة، تبعاً لخبرة السامع وثقافته وبيئته .

وتكلم الباحث عن صلة اللغة العربية بألفاظ الحضارة، وكيف استوعبتها في القديم، وعن قدراتها في استيعابها في العصر الحديث . وجاء الباحث بأمثلة توضح كيف استوعبت العربية ألفاظ الحضارة قديماً، ثم ذكر تاريخ أشهر معجم في اللغة الإنكليزية - ويستر الثالث الدولي الذي صدر عام ١٩٦١ - مبيناً كيف استوعب هذا المعجم وملحقاته التي تصدر تبعاً كل خمس سنوات، وهو يستوعب ألفاظ الحضارة المعاصرة جميعها، مؤكداً بأنه لم ينقل إلى العربية حتى اليوم نصف ما في ذلك المعجم الإنكليزي من ألفاظ .

ثم تحدث مطولاً عن ألفاظ الحضارة بين العامية والفصاحة، مؤيداً التوسع في الأخذ بالعامي الفصيح وبالمولّد والمحدث، والتوسع في تعريب الأعجمي والبديع دون عائق وبلا اشتراط.

وأنهى الباحث حديثه بقوله: «الألفاظ الحضارية الدخيلة السابق منها الذي هضمته العربية، والمستجد الذي تقبله اللغة بالاستخدام والشيوع والغربة السليقة، هي جزء مهم من اللغة ينعشها ويثريها، كما أن ملحقها المعرّب بنطقه لاستخدام العلماء، يجعلها قادرة على استيعاب العلوم المتطورة الحديثة، ويقربها إلى لغة العلم العالمية، ويسد الطريق على معرقلي مسيرة التعريب في مختلف مراحلها» إلى أن قال: «والغنى الصحيح، لا يتأتى إلا حين تصبح العربية وسيلة المتعلم والعالم، وإلا باستنبات العلم بيئياً عندنا، لتصبح العربية لا لغة التعليم في كافة مراحلها فقط، بل أيضاً لغة البحث العلمي والتأليف العلمي والإبداع العلمي، وهذا بحث يطول وأمل يرتجى».

وقبل حديث الأستاذ الخطيب بتقدير جمّ مع حذر شديد، وأبدي، بتعليق خاطف، الأسف لعدم سماح الوقت بالتعليق عليه، كما ذكر الدكتور محمود الجليلي، كما علق الدكتور محمد يوسف حسن قائلاً: إن هذا البحث جديرٌ منا بالاهتمام لخطورته (١٤).

٥ - الخرائط المنسوبة إلى بطليموس

بحث ألقاه الأستاذ فؤاد سيزكين عضو المجمع المراسل من (تركيا)، وقد حضر مؤتمر هذا العام متأخراً، فدخل قاعة الجلسات لأول مرة في اليوم المحدد لإلقاء حديثه الملمع إليه في جدول الأعمال.

بدأ الباحث موضوعه الهام محاولاً إيضاح دور الراهب البيزنطي

(١٤) قامت مكتبة لبنان في بيروت بطباعة البحث طباعة متقنة وأهدته إلى المهتمين بالموضوع.

بلانيوديس مكسيموس (١٥)، في صنع خرائط العالم الجغرافية، ونسبتها إلى عمل (بطليموس صاحب المجسطى (١٦)، بحجة أنه نقلها عن كتاب العالم المذكور، مغفلاً أي إشارة إلى فضل العرب والمسلمين في إبداع الخرائط الجغرافية التي تفوق ما صنعه بطليموس دقة وقرباً من الحقيقة (١٧).

وعندما انتهى الباحث من كلامه، حاول بعض الزملاء مناقشته في بعض ما ذكره، وفي مقدمة هؤلاء كان الدكاترة: محمود الجليلي وعبد الله الطيب والسعيد أحمد سليمان وشوقي ضيف، غير أنه اعتذر لاضطراره إلى ترك الجلسة، وبالفعل انسحب من قاعة الاجتماع، دون أن يترك نسخة عن محاضراته.. إن كان سبق له أن أعدها - على أنه كان يحمل أثناء حديثه كتابه الموسوم «مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم» (١٨).

وهكذا اضطرت هيئة تحرير ضبوط الجلسات إلى إغفال ذكر البحث برمته، وأنه أُلقي في الجلسة الرابعة المنعقدة بتاريخ الثالث من آذار (مارس) وكانت برياسة الدكتور ناصر الدين الأسد.

-
- (١٥) عاش الراهب بلانيوس مدة بين سنتي ١٢٦٠ - ١٣٣٠ ميلادية، وكان عالماً باللغة الإغريقية القديمة وله فيها مؤلفات متعددة، وتجد شيئاً من ترجمته في الموسوعة العربية الميسرة - القاهرة ١٩٦٥ - واسمه باللاتينية Planude Maximos
- (١٦) عالم يوناني ولد وتوفي بمصر بعد سنة ١٦١ للميلاد. وقد ذكر أمين المعلوف صاحب المعجم الفلكي في تعريفه بكتاب المجسطى Almagest ما يلي:
- كتاب في الفلك ألفه بطليموس ونقله العرب إلى لغتهم، والميم في بطليموس قبل الياء فيقال بطلميوس أو بطلميوس لا بطليموس. والمجسطى بكسر الطاء فلا يقال: المجسطى بل المجسطى (تحقيق نلينو) القاهرة ١٩٣٥.
- (١٧) انظر تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ترجمة صلاح عثمان هاشم - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٥
- (١٨) الكتاب من منشورات سلسلة تاريخ العلوم العربية والإسلامية تأليف فؤاد سزكين طبع فرانكفورت (ألمانيا الغربية) سنة ١٩٨٧.

٦ - من الشعراء المغمورين : خارجة بن فليح الممللي

بحث أعدّه وألقاه الأستاذ عبد العزيز الرفاعي عضو المجمع المراسل من (العربية السعودية) استهله بقوله: «خارجة بن فليح الممللي شاعر حجازي مجيد، عاش في القرن الثاني للهجرة، لم تتحدث عنه كثيراً كتب الأدب الشهيرة . . وقد رأيت في شعر هذا الشاعر سمات من الجودة أغرتني أن أتبع أخباره ما استطعت . . مؤملاً أن تكون هذه بداية بحث أستكمله أو يستكمله غيري . .» .

ثم ذكر الباحث أن أقدم من ذكر الشاعر هو (الزبير بن بكار) في كتابه (جمهرة نسب قريش وأخبارها) وقد حقق بعضه الأستاذ محمود شاكر، وذهبت الأيام ببعضه الآخر.

وجمع الباحث أخبار خارجة من كتب اطلع عليها فيها البيت أو عدة أبيات منسوبة إليه، أو معلقاً على كلمة أو لفظ جاء في بيت من شعر خارجة .

وكان الباحث ارتضى ما ذكره ابن الجراح في كتاب الورقة، من أن الشاعر هو: خارجة بن فليح الممللي . مولى أسلم، حجازي، شاعر مجيد، كثير الشعر، وأن ملل التي ينسب إليها الشاعر موضع بين مكة وبثرب لا اسم رجل أو قبيلة .

وتحدث الباحث بعدئذٍ عن تصحيف نسبة خارجة في بعض المصادر، وعن عصره وأخباره ومكانته الشعرية وساق الرواية التالية:

«أخبرني أحمد بن يحيى النحوي قال: أخبرني عبد الله بن شبيب قال: حدثني محمد بن إسماعيل قال: جئت عبد العزيز بن عمران الرهوي يوماً، فلما كنت عند خوخته سمعته يقول: عليّ أيمان البيعة إن لم يكن أشعر الناس . فدخلت عليه، فقلت: من هذا؟ فقال: خارجة الممللي . فقلت: حين يقول ماذا؟ قال حين يقول:

تخايلها طرفُ السمولعاشق هفا هفوة ثم استفاق فأكذبها

ومن قوله :

فهم نياط القلب إذ نثرت به بنات الهوى في الصدر أن يتقبضا

ومن قوله :

ما تَدُلُّكَ الشمس إلا حذو منكبه
في غايَةٍ تحتها الهامات والقُصُرُ
آل الزبير نجوم يستضاء بهم
إذا دجى الليل من ظلمائه زَهَرُوا
قوم إذا شومسوا جدَّ الشَّماسُ بهم
ذات العناد، وإن ياسرَتهم يسروا
خُصَّ المديحَ أبا بكرٍ ووالدَهُ
وعُمَّهُمُ منك إن غابوا وإن حضروا

ثم جاء الباحث بما عثر عليه، في مختلف المصادر التي اطلع عليها،
من شعر خارجة مرتباً إياه على حروف المعجم .

وشكر للباحث ما أتخف به المؤتمرين من بحث وشعر، كل من رئيس
الجلسة والزملاء الدكتور أحمد السعيد سليمان والدكتور شوقي ضيف .

٧ - ما هجر في العربية الفصيحة واحتفظت به العامية

بحث أعدّه وألقاه الدكتور إبراهيم السامرائي عضو المجمع من
(العراق) جاء فيه بمعجم للعامي الفصيح في لهجات العراقيين، أدرجه على
حروف الهجاء واستهله بهذه المقدمة :

«هذا باب خاص من العامية، وخصوصيته تتأتى من كونه عامياً دارجاً
تخلو منه العربية الفصيحة المعاصرة، إلا أنه كان فصيحاً في عربية القرون
الماضية . وهذا يعني أن اللفظ قد تدنى في مستواه ودرجته فصار عامياً لا
يلتزم به المعربون في كلامهم وكتاباتهم .

ولا بدّ من الإشارة إلى أن تحوّل الفصحح إلى العامي، وخلو الفصيحة المعاصرة منه يرجع إلى أسباب منها:

١ - إن الفصحح القديم مما قلّت الحاجة إليه، وذلك لأنه يتعلق بدلالة بعدت عن اهتمام المعريين منها.

٢ - أو أنها مما زالت من حيّز الفصحح فقبتت في العامية، وأن غيرها يسدّ مسدّها.

٣ - أو أنها كانت لغة خاصة في بيئة معينة، فلم يكن لها من الشمول وهي فصيحة، فتحوّلت لخصوصيتها إلى عامية، ثم اكتسبت في عاميتها بناءً جديداً، أو قلّ عرض لها شيء من القلب والإبدال، وزيد في أحرفها أو نقص حتى ابتعدت بذلك كله عن سمتها الفصحح.

وأردف الباحث يقول: «إن هذه العامية ذات الأصول الفصيحة مما استقرتته في عامية أهل العراق، وإني لوائق أن في كل بلد من بلدان العربية مادة لغوية عامية أصولها فصيحة، أو أنها تحوّلت لسبب ما إلى العامية، وهذا يختلف في كل بلد عنه في البلد الآخر».

ثم عرض الباحث على المؤتمرين معجمه، نقطف منه الكلمات التالية:

١ - أب و

إن الفعل أبى يأبى قد عُرف في الفصحح، وما زال فيها معروفاً مستعملاً، غير أن العامية ذهبت فيه إلى المزيد (تأبى) على (تفعل) وهو في عامية أهل العراق بمعنى (امتنع) مع خصوصية دلالية، وهي أن الذي (يتأبى) هو ممتنع كاره، ومن هنا كان الامتناع عن السلب أو قلّ الشرّ.

وبناء الفعل لا تعرفه العربية الفصيحة.

٢ - ب ح ث ر

في فصيح العربية: بثر الشيء: بحثه ويُدّده كبعثه.
أقول: وليس في الفصيحة المعاصرة هذا الفعل، ولكنه واضح في استعمال العامة بدلالته نفسها.

٣ - ب ش ر

جاء في فصيح العربية: أبشرت الأرض إذا أخرجت نباتها، وبشّرة الأرض: ما ظهر من نباتها.

أقول: وليس شيء من هذا في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نجد في لغة عامة العراقيين من أهل القرى: بَشَّرَت النخلة أو الشجرة: أي أعطت باكورتها من التمر والتمر.

٤ - ج ل ب

جاء في معجمات اللغة (الجَلْب) بفتحين، بمعنى ما جُلب من خيل وإبل ومتاع، وهذا ما لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نعرفه في عامية أهل العراق، وعندهم الجَلْب: لما يجلب من البقر والغنم والإبل للذبح.

وختم الباحث حديثه بقوله: «هذا موجز ما انتهى إليه حفظي واستقرائي وبحثي في لغات العراقيين العامية. وأنا واثق أن لدى أهل الأمصار الأخرى شيئاً نظير هذا».

وشكر للباحث جهوده في وضع المعجم المنوه عنه، كل من الزملاء الأساتذة: السعيد أحمد سليمان وشوقي ضيف وعبد الله بن خميس مع تعليقاتهم على بعض الكلمات التي وردت في البحث.

٨ - تراجم أدبية من مخطوط مجهول

(تاريخ عبد الحميد بك)

بحث أعدّه وألقاه الأستاذ أبو القاسم سعد الله عضو المجمع المراسل من (الجزائر).

ذكر الباحث بأنه يحقق كتاباً في التراجم يظن بأنه لم ينشر بعد، وأنه اختار منه نماذج من الشخصيات الأدبية التي ترجم لها فيه. وأن عنوان الكتاب مبتور ومجهول، وأنه وجد أحمد تيمور (باشا) يترجم في كتابه (أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، لمؤلف كتاب (تاريخ أعيان القرن الثالث عشر وبعض الثاني عشر) ويسميه (عبد الحميد نافع بك) (١٩).

وكانت أول ترجمة ذكرها الباحث ترجمة المؤلف لوالده واسمه خليل ابن مصطفى آغا، وكان المؤلف يطلق عليه لقب (الأمير خليل أفندي) وهو من مواليد بلدة (قوالة) اصطحبه محمد علي باشا مدة وكانت بينهما مصاهرة، ولما تولى محمد علي خديوية مصر لحقت به عشيرته وفيها خليل هذا، وفي مصر تولى مناصب كثيرة، منها محافظات كل من: رشيد والغربية والبحيرة وبنى سويف والدقهلية.

ثم وصف الباحث للمؤتمرين المخطوط وما حواه من تراجم رجال ونساء القرن الثالث عشر، مؤكداً أنه ما زال مسوداً غير كامل وغير مرتب وفيه تشطيب كثير، وهو يحتوي على حوالي مائة ترجمة متفاوتة في تفصيلاتها.

وعدّد الباحث بعدئذٍ بعض أسماء المترجم لهم ومنهم: أحمد راشد المصري وأحمد المسيري وعلي الصيرفي ومحمد أمين الزلي ومحمد كاشف البحاري ومحمود نوار الإسكندري ومصطفى أبو الفضل.

(١٩) يتعجب زميلنا الباحث قائلاً: ولا ندري من أين أضيفت كلمة (نافع) لاسم عبد الحميد، دامت لم ترد في المخطوط! وأقول: وفيّ العجب ما دام المخطوط الذي وقع عليه مبتور ومجهولاً - على حد تعبيره - وما دامت ترجمة أحمد تيمور للمؤلف تنطبق عليه تمام الانطباق!

وختم الباحث حديثه قائلاً: «نحن عاملون على تحقيق هذا المخطوط الخصب في معلوماته المتنوع في شخصياته، رغم عدم استيعابه وإحاطته، لوفاة صاحبه في شبابه وقبل إتمامه . . .» (٢٠).

وشكر الرئيس للمحاضر جهوده في البحث والتحقيق، وكذلك الدكتور شوقي ضيف، وكان مما علق به الدكتور السعيد أحمد سليمان أن النسبة إلى مدينة قولة هي (قللي).

٩ - حفظوا اللغة في عصر الأمية

وأضاعوها في عصر العلم

بحث أعدّه وألقاه الشيخ عبدالله بن خميس عضو المجمع المراسل من (العربية السعودية).

(٢٠) من اطلعنا على الترجمة التي أثبتها أحمد تيمور باشا لعبد الحميد نافع في الصفحة ٢٠٤ من كتابه الذي أشار إليه الزميل في بحثه، لاحظنا أنها تحتوي على مداخل كثيرة كان على الزميل المحترم ولوجها قبل البدء بالتحقيق، ما دام المخطوط الذي وقع عليه كان مبتورا وغير كامل ويظن أنه المسودة التي كان المؤلف يعمل فيها، ومن تلك المداخل ما يلي:

أولاً: إن ما ذكره تيمور باشا من أن التاريخ الذي ألفه عبد الحميد نافع كان قد بيع بعد وفاته مع ما بيع من كتبه، وأنه موجود في (ليدن) بهولندا، يوجب على من يريد تحقيق الكتاب أن يبدأ بالبحث عن مصير تلك النسخة التي بيعت بعد وفاة المؤلف، وأن يعمل على استنساخها.

ثانياً: إن ما ذكره تيمور باشا من أن عبد الحميد نافع اشتغل بالموسيقى وله فيها رسالة، يوجب على من يريد تحقيق مؤلف لعبد الحميد الاتصال بمن يهتم بتاريخ الموسيقى في مصر لمعرفة مصير تلك الرسالة، لعل هذا الاتصال يفيد.

ثالثاً: ذكر تيمور باشا أن الشيخ أحمد الفحماوي جمع في رسالة كبيرة ما كان يجري في ندوة عبد الحميد بينه وبين صديقه الحميم الشاعر إبراهيم طاهر من طرائف أدبية، ومن غريب المصادفات أن تيمور باشا ترجم للفحماوي هذا ترجمة عجيبة فهو فلسطيني من بلدة أم الفحم، درس في الأزهر وعاش ومات في مصر، وترك ولدين أحدهما وهو كاتب ترجمة والده كان صاحب صيدلية في شبرا، ولعل في البحث عن مصير رسالة الفحماوي، وعن مصير أسرته ما ينير السبيل للزميل فيما يحققه.

رابعاً: مما ذكره تيمور باشا أيضاً أن عبد الحميد كان في حياته جمع ديوان صديقه صفوة الساعاتي، ولعل البحث عن مصير هذا الديوان فيه ما يفيد.

بدأ الباحث كلامه بوصف العرب في عصرهم الجاهلي عصر الأمية والبعث عن الثقافة والعلوم بأنهم كانوا «أشد حرصاً على لغتهم وأعظم غيرة عليها من أن تغمز أو تخدش أو ينال منها» لأنهم «كانوا ينطقونها سليقة ويتحدثون بها فطرة ويستعملونها طبعاً» إلى أن قال: «وكانت عاميتهم - إن كان هناك عامية - لا تبعد عن فصحاهم ولا تنأى عن لسانهم الصحيح الفصيح».

ثم تحدث عن السليقة كيف «بدأت تضمز وبدأت الفطرة تتحول إلى خليط من عامية لم يعد يفرق المتتبع لهذه اللغة وأساليها بين شتى اللهجات» إلى أن قال: «ونحن الآن في عصر اشتدت فيه حماية الأمم للغاتها. . . وأرادوا لها السيادة والريادة. . . بينما لغتنا تعيش وضعاً لا تحسد عليه من التفكك والتذبذب والانحطاط. تعيش عامية طاغية يستعملها المدرس والممثل والمدرسة والشارع وربما المذيع. . .».

وقارن المتحدث بعدئذ بين ما كان يلقاه اللاحق قديماً من الإنكار، وبين سيادة العامية في عصرنا، داعياً إلى العناية بالفصحى وجعل القرآن ركيزة في تعليم الصغار وأهاب بمجمع اللغة أن يبادر إلى تحمل المسؤولية والعمل على رد العامية إلى الفصحى.

وشكر الرئيس وثلة من الزملاء للباحث غيرته على الفصحى وبيانه الصريح.

١٠- بين العلم والأدب عندنا

برزخ لا يبغيان

بحث أعدّه وألقاه الدكتور أحمد سليم سعيدان عضو المجمع المراسل من (الأردن).

بدأ الباحث حديثه بعرض صورة من تضافر العلم والأدب في العالم المتقدم قائلاً: «بأن العلم والأدب توأمان للفكر الإنساني طبيعتهما وطبعهما

أن يكونا متضامنين متكافلين، يسند كل منهما أخاه ويغذيه، سلاحهما الكلمة المكتوبة أو المسموعة، وهدفهما العمل من أجل مستقبل أفضل، لنا وللإنسانية جمعاء».

وتحدث الباحث عن نهضة الغرب الفكرية وكيف كان العلم ركنا هاما من أركانها، كما كان همّ الدول المتقدمة أن تقيم تفاعلا قويا مستديما بين العلم والناس وبين العلم والأدب، وكيف أن المواطن في العالم المتقدم يعتز بماضيه كما يعتز بحاضره لأنه يمدّه بالثقة بالنفس، فيعمل على تحقيق أمجاد تضاف إلى ما حقق آباؤه وما يحقق زملاؤه.

وبعد أن عرض الباحث حالة الأقطار العربية المعاصرة، ختم بحثه قائلا: «علينا بالإضافة إلى تيسير نشر العلم بين العلميين والإنسانيين على السواء، خلق الجو المناسب لأن ينمو العلم ويشيع ويصبح طابع حياتنا والموجه الفعال لتفكيرنا وتصوراتنا.»

وتلقى الباحث الشكر على بحثه من الرئيس وعدد من زملائه المؤتمرين.

١١- اللغة العربية

بين المشافهة والتحرير

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عضو المجمع المراسل من (الجزائر).

بدأ الباحث حديثه بتعليل إعجاب المثقف العربي بالاهتمام الكبير الذي يوليه اللغويون الغربيون بلغة المشافهة وقلة اعتدادهم بلغة التحرير، مؤكداً أن ذلك الاهتمام ناتج عن ردّ فعل عنيف ضد الأجيال السابقة من النحويين والمربين الذين كانت لا تهمهم إلا اللغة المحررة.

ثم تساءل الباحث عن الموقف الذي يجب أن يقفه العلماء العرب إزاء النظريات اللغوية الغربية؟ مؤكداً أنه لن يتم أي تغيير جذري للوضع الراهن

ما لم يعالج هذا الوضع بالبحوث العلمية الدقيقة المنتظمة والوسائل التكنولوجية المفعول، وأن هذا ما سيتعرض له في بحثه.

ثم أخذ الباحث، وهو من أكبر المشتغلين باللسانيات في الوطن العربي - يعرض المشاكل التي يثيرها علم اللسان الحديث واحدة واحدة مثل التصدي للأخطاء اللغوية وعدم نجاعته إزالة الأخطاء، ومثل اتهام اللغة الدارجة بأنها ليست من الفصحى في شيء.

ثم ساوى الباحث في البغض بين نزعتين: قبول الخطأ الشائع والتعسف في التخطئة، وأنكر على المتمادين في الخطأ أن يحتجوا بالقول: إن الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور.

ثم تحدث الباحث عن لغة التخاطب اليومية الفصيحة العفوية ومميزاتها كاختزال المصوتات وإسقاط الحركة والتنوين في آخر الكلام، واختلاس الحركات غير الموقوف عليها وإرغام بعض الحروف، وتخفيف الهمز، وحذف وإضمار بعض الحروف أو الكلمات اختصاراً.

وختم الباحث حديثه بالدعوة إلى التعمق في الدراسة وتنظيم دورات تدريبية لإطارات التربية لتوعيتهم بخطورة الثنائية المطلقة التي تؤدي إلى الفصل المطلق النهائي بين المشافهة والتحرير بل وخطرها على مستقبل العربية وأهمية التمييز بين مستويات التعبير وتدريب الجميع على تعليم قواعد اللغة العربية، والتمييز بين مختلف أنواع الأداء التي يستلزمها المقام.

وشكر الرئيس وعدد من المؤتمرين للباحث جهوده ودعوا إلى دراسة البحث والتعمق بما جاء فيه.

١٢ - عود إلى ابن النفيس

بحث ارتجله دفاعاً عن نفسه الشاعر الأديب الدكتور الطيب حسن علي إبراهيم عضو المجمع.

عاد الباحث بالمؤتمرين إلى حديثه في الدورة السابقة للمؤتمر عن

الطبيب العربي ابن النفيس نافيا بشدة أن يكون قصد به الإساءة إلى الطبيب العربي الفذ الذي يكن له الباحث والعالم كل الإجلال والتقدير، ولكنه كمفكر عظيم كان فيه عيب الأطباء القدامى أصابوا كثيراً وأخطأوا مرات، ومن الواضح أنه لم يشرح القلب ليكون دقيقاً في وصفه ومعرفة مسير الدم فيه .

وأخذ المتحدث يترجم لزملائه وصف وليم هارفي الإنكليزي - مكتشف الدورة الدموية في اعتقاد الإنكليز - ويقارن بهذا الوصف بما قاله ابن النفيس وما في أقواله من غموض وأخطاء .

وانبرى الدكتور عبدالله الطيب للدفاع بقوة عن معلومات الأطباء العرب . ولحقه الدكتور محمود الجليلي ليدافع بشدة عن ابن النفيس وما تركه من آثار طبية قيمة . وعلّق زملاء آخرون على البحث بأن ما تركه الأطباء القدامى إنما يتناسب مع الوسائل التي استخدموها والظروف التي عاشوا فيها . وهنا وقف الدكتور محمود حافظ قائلاً: أخشى ما أخشاه أن يكون زميلنا الباحث المحترم ضحية مراجعه فأرجو منه بيان مصادر بحثه . فقام الباحث يعدد مصادر بحثه ، فإذا بها كلها إنكليزية ليس بينها لا فرنسي ولا ألماني ولا أمريكي ولا عربي ولا مصري!! (٢١) .

١٣ - القرآن الكريم وتعريب الإنسان

بحث أعدّه وألقاه الأستاذ علي رجب المدني عضو المجمع من (ليبيا) .

بدأ الباحث حديثه عن مجموعة المسلمات التي أرسى قواعدها القرآن قائلاً: «إن حكمة الله شاءت أن يختار صاحب رسالة القرآن من العرب المستعربة التي تنحدر من صلب إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وتتصل بالدم العربي من طريق زوج إسماعيل الجرهمية القحطانية

(٢١) أظن أن ما أثناه في وقائع الدورة السابقة يعني عن كل قول .

«دعلة بنت مضاض» التي أنجب منها اثني عشر ولداً من بينهم عدنان الذي ينتهي إليه نسب الرسول محمد ﷺ، ووصله بالدم المصري عن طريق الأميرة المصرية الجدة هاآجار زوج إبراهيم وأم إسماعيل عليهما السلام، وبذلك وصل خاتم رسله بعدد من الأعراق ليكون مؤهلاً للرسالة العظمى الجامعة التي تخاطب جميع الناس دون نظر إلى الأعراق والانتماءات ومهد بكل ذلك لفكرة الدمج المستهدف برسالة محمد تحت لواء قومية واسعة مشتركة هي قومية العقيدة الإيمانية التي تنحدر عن تعاليم القرآن المنزل بلسان عربي مبين».

واسترسل الباحث في حديثه ليثبت بأن اللغة العربية قد رشحها الله ضمناً لتكون لغة الإنسانية كافة مستهدفاً وحدة الشعوب الإنسانية في أمة واحدة أبنائها متأخون لا تمييز بينهم بسبب عرق أو لون، داعياً إلى نشر الفصحى بين الشعوب مقترحاً إنشاء صندوق عالمي لتعميم لغة القرآن.

ولما ختم الباحث حديثه شكر له الرئيس جهده فيه وأعلن حرية التعليق لمن أراد فتكلم الدكتور السعيد أحمد سليمان شاكرًا مؤيداً ما جاء به الباحث، ووقف الدكتور عز الدين عبدالله محتجاً على قبول إلقاء مثل هذا البحث في جلسات مؤتمر مجمع اللغة العربية وهو بحث ذو صبغة دينية، وصاح بأنه يعترض على ما ورد في البحث من اقتراح التوصية بإنشاء صندوق عالمي لنشر العربية.

قال الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع: إن المجمع لا شأن له في المسائل الدينية ولا يمكن أن يصدر توصية فيها.

١٤ - حقوق إنسان الغد

بحث أعدّه وألقاه الدكتور محمد عزيز الحبابي عضو المجمع المراسل من (المغرب).

تساءل الباحث في مطلع حديثه قائلاً: «لماذا حقوق إنسان الغد؟» ثم

أجاب بنفسه قائلاً: «الجواب جدّ يسير: أولاً: لأن حقوق إنسان اليوم غير مستوفية لشروط الأنسنة والتأنس من حيث التنظير ومن حيث التطبيق. ثانياً: لأن بنات الحضارة الراهنة وقوانينها وقيمتها ومقاصدها باءت بالفشل، فكبار المفكرين العالميين يعترفون بحصيلة الإفلاس ويبحثون، بإلحاح، عن البديل، أي عن حضارة - ما بعد - التصنيع تقوم على أسس إنسانية ومبادئ شمولية مشدّبة من مساوىء الحاضر، وعلى رأس تلك المساوىء «حقوق الإنسان» في نسبيّتها وتقلص مفعولها، وتغيّراتها وفي علاقاتها مع واجبات الإنسان».

وعرض الباحث ما يسمى بوثائق حقوق الإنسان في العالم، في فرنسا وفي الولايات المتحدة وحتى الصادرة عن الأمم المتحدة، فإذا بجميع وثيقات حقوق الإنسان المعروفة تقوم - كما يقول الباحث: على أساس توصيات، والفرق شاسع بين التوصية وبين ما ينبع من القلب وعن الضمير ليحمل خطاباً مشتركاً شمولياً.

وانتهى الباحث إلى القول: «فالحقوق الملائمة لإنسان الغد، هي التي تضمن المساواة التامة بين مجموع البشر، ولن يتم ذلك إلا إذا كانت متعالية من حيث المصدر والغاية». إلى أن قال: «إن مبدأ كهذا لن يتحقق إلا بعالمية شاملة، والإسلام بطبيعة نشأته عالمي (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (٢٢).

١٥ - التربية المثلى للشباب

في ضوء الإسلام

بحث أعدّه وألقاه الدكتور حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله عضو المجمع المراسل من (السودان).

(٢٢) سيا ٣٤ : ٢٨ .

بدأ الباحث حديثه قائلاً: «حرص الإسلام على تربية النشء من الذكور والإناث فهياً لهم، ولما يزلوا في بطون أمهاتهم، الرعاية التامة، وجعل لميلادهم فرحة في الأسرة فسّن لهم النسك أو العقيقة إعلاناً له، وأوصى باختيار أحسن الأسماء للأبناء. وشارك النبي عليه السلام في تسمية بعضهم حيث سمى ابناً لأسماء بنت أبي بكر بعبدالله بن الزبير، كما وضع إطاراً عاماً لتسمية المولودين في عصره وبعده فقال: إن أحب أسمائكم إليّ عبدالله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة، وقال: لا تسمين غلامك يساراً ولا رباحاً ولا نجيحاً ولا أفلح؛ فإنك تقول أثم هو؟ فلا يكون، فيقول: لا. أما هن أربع، فلا تزيد من عليها».

وتابع الباحث حديثه عن رعاية الإسلام للطفل وهو في مهده ثم في يفاعته إلى أن يبلغ الشباب فأوجب إكرامهم والعمل على بناء شخصياتهم، مفسحاً لهم المجال لمشاركة كبار الصحابة في حلقات البحث العلمي، موكلًا إلى النابغين منهم الإمارة والقضاء وحتى قيادة الجيوش. فكان الإسلام برعايته للشباب فتحاً إيجابياً على الإنسانية وطاقه دافعة لها نحو الرقي والكمال والرفعة. . . إلى أن قال: «لقد سمت تشريعاته الإلهية على كل تشريع فاستأصل بحكمته جذور الجرائم، ونشر ألوية العدل، وساوى في الحقوق والواجبات بين كل الأفراد، بل لقد هباً لغير المسلمين من العدل والرحمة والمساواة ما لم يكونوا يتصوّرون حدوثه في مجتمعهم الدنيوي ومن ثم كان حرص غير المسلمين على دولة الإسلام يماثل حرص المسلمين عليها».

وشكر الرئيس للباحث حسن عرضه للموضوع، كما شكر له جهوده مع تعليقات حول بعض نقاط البحث كل من الزملاء أبو القاسم سعد الله وعلي رجب المدني وعبدالله الطيب.

١٦ - بين الفصحى والعامية المصرية

بحث أعدّه وألقاه الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع.

بدأ الدكتور شوقي ضيف بالكلام عن نشوء فصحي عصرية في مصر منذ أواسط القرن التاسع عشر، فصحي وسطي بين لغة الخاصة وكلها سجع وفيها شيء من الغريب، ولغة العامة وفيها المبتذل والركيك من الأساليب. ثم تكلم عن تلك الفصحي كيف تمكنت واستقرت عن طريق الكتاب ورجال السياسة والصحافيين الكبار إلى أن نشأت الإذاعة فأخذت بدورها في الاتساع بنطاق الفصحي العصرية.

ثم عرض الباحث أسماء بعض من كتبوا في الفصحي المعاصرة، إلى أن قام مجمع اللغة العربية بدور فعال في تنشيط حركة التفصيح اللغوي، ثم أخذ يعدد ما نشأ في العامية المصرية من تحريف في الألفاظ الفصيحة، بادئاً بما يرجع منها إلى لهجات القبائل النازلة بمصر أو إلى مجيئة في بعض الصيغ القبلية، مثنيا بالتحريفات التي لا أصل لها في اللهجات العامية، منها بحثه بالتحريفات الناشئة عن إبدال بعض الحروف.

وختم الباحث حديثه بقوله: «في رأي أنه ينبغي أن تحصر كل هذه الفروق بين الفصحي العامية المصرية وبينها وبين العاميات في بلداننا العربية، ولا بأس أن تكتب فيها كتب تعليمية للناشئة حتى نسرع الخطى في رفع الحواجز بين عامياتنا وبين الفصحي، وحتى تمحي هذه الازدواجية أو الثنائية بين لغة لنا عامية نتداولها في حياتنا اليومية ولغة فصيحة نتداولها في حياتنا الأدبية والعلمية».

شكر الرئيس للباحث حديثه الوافي وأعطى الكلمة لمن يريد التعليق على البحث فعلق كل من الزملاء إسحق الحسيني ومهدي علام وعبدالله بن خميس وعبدالله الطيب وعبد الهادي التازي ومنير البعلبكي وعلي رجب المدني وكادوا يجمعون على تجييد فكرة محاصرة العامية بتفصيح مختلف العاميات واقترح الكثيرون منهم ترك موضوع العامي القصيح مفتوحاً إلى دورة المؤتمر القادمة.

١٧ - اهتمام المغاربة بالتأليف حول العامي والفصح

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع المراسل من (المغرب).

بدأ الدكتور التازي حديثه بقوله: «لم يقلّ اهتمام المغاربة عن اهتمام إخوانهم بالمشرق من الذين ألفوا أو كتبوا في موضوع «العامي والفصح». وعدّد بعض مؤلفات المشاركة وعدداً من مؤلفات المغاربة ثم قصر حديثه على مؤلف وضعه الشيخ أحمد الصبيحي السلاوي في النصف الأول من هذا القرن.

وعرّف الباحث بالشيخ الصبيحي المولود بمدينة سلا في سنة (١٣٠٠هـ - ١٨٨٢م) والمتوفى بها في سنة (١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م) ثم عدّد مؤلفاته مشيراً إلى اتصاله بأحمد زكي (باشا) وإلى الكتب التي عالجت الموضوع واسترعت انتباهه.

وأعطى الباحث المؤتمرين لمحة عن كتاب الشيخ الصبيحي مؤكداً أن الكتاب سيرى النور قريباً.

وشكر الرئيس للباحث جهوده وعلق الزملاء السعيد أحمد سليمان وعز الدين عبد الله وإبراهيم السامرائي تعليقات هامشية.

١٨ - العامي الفصح شذور من وحي هذا العنوان

بحث أعدّه وألقاه الدكتور أمين علي السيد عضو المجمع من (مصر) استهله بالقول: «من الحقائق التاريخية التي لا يجهلها أحد أن الإسلام دخل إلى مصر قبل فتح عمرو بن العاص لها، وأن تجار العرب المسلمين كانوا دعاة لدينهم قبل أن يكونوا دعاة لتجاريتهم، وأنهم كانوا يعبرون أرض مصر ليذهبوا إلى السودان، وكانوا يتركون الأثر المحمود والقدوة الصالحة في كل مكان ينزلون به، ويغلب على الظن أنهم كانوا يعرفون شيئاً من لغة الناس

الذين يتعاملون معهم ، أو أن هؤلاء الناس كانوا يعرفون شيئاً من اللغة العربية ، أو أن الترجمة والمترجمين والوسطاء كانت وسيلة التفاهم بين الفريقين ، ومما يستأنس به هنا كتاب الرسول ﷺ إلى المقوقس ورده الكريم عليه .

ومهما يكن من أمر فإن الإسلام قد انتشر في السودان عن طريق التجار المسلمين الذين وفدوا على أهله لترويج تجارتهم ، فراجت تجارتهم . وسبقها إلى الرواج دينهم الذي يتمسكون به ويحافظون على تعاليمه في كل أرض يحلون بها .

وتابع الباحث حديثه إلى أن قال : «ومن المسلم به عند كل من درس تاريخ الإسلام في مصر والسودان أن القادمين من المسلمين لم يكرهوا أحداً على أن اللغة العربية لغته ، كما أنهم لم يكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام» .

ثم تكلم الباحث عن علاقة الدين باللغة وعن الصراع بين لغتين ، وما يلحق بإحدهما أو بكليهما من ضيم ، وعن العامية التي نشأت في مصر بعد أن تعربت وعن مصادرها وأسباب الانحراف في عدد من ألفاظها ، وعن ضرورة وضع معجم يقرب المسافة بين العامية والفصحى . وعن خير الوسائل التي يراها لتحقيق المعجم المنشود .

وأنهى الباحث حديثه باقتراح أن يكون موضوع المؤتمر القادم هو موضوع هذا العام نفسه ، على أن تعد العدة لإخراج معجم كامل عنوانه «العامي الفصيح» .

وشكر الرئيس للباحث جليل اقتراحاته كما شكره عدد من الزملاء وعلق بعضهم على بعض ما ورد في البحث من آراء .

١٩ - حول العامي الفصيح

بحث أعدّه وألقاه الدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من

(السودان).

استهل الباحث حديثه بيتين من شعر أبي العلاء المعري في «سقط الزند» يودّع فيهما بغداد قال :

أودَّعُكُمْ يَا أَهْلَ بَغْدَادَ وَالْحَشَا
عَلَى زَفْرَاتٍ مَا يَنْسِينَ مِنَ اللَّذَعِ
وَمَا الْفُصْحَاءُ الصَّيْدُ وَالْبِدْوُ دَارُهَا
بِأَفْصَحَ قَوْلًا مِنْ إِمَائِكُمُ السُّوْكَعِ

وكان مما قال الباحث : «نص العلماء القدماء على أن حياة الحواضر ومخالطة بلاد العجمة كل ذلك مما يدخل على أهل اللغة اللين واللحن . وكان أهل حواضر العرب الكبرى في الجاهلية يرسلون بنينهم إلى البادية ليألفوا هواءها وماءها وتهرت أشداقهم بفصاحتها . ذكروا ذلك عن قریش وعن ملوك الحيرة ووصفوا الطائف بلين الأشعار واستثنوا المدينة . . .» إلى أن قال : «أكثر العامي الذي في المدن الآن ليس بفصيح» .

وتابع الباحث حديثه فقال : «اللغة الفصيحة والعامية شيء واحد . وكان يفرق بينهما دوي نطق الكلام . فالتناس حين يتكلمون تغلب عليهم أساليب من العجلة ، فربما بتروا الكلمات أو أدخلوا بعضها على بعض» .

وأتى الباحث بروايات وأقوال وأشعار توضح مقاله وتبين الجذور التي نشأت منها العاميات المعروفة . وأنهى حديثه بتأييد من يرى تفصيح العامي دون إجازة ما هو لحن صريح كقولهم مدراء جمع مدير وهو لحن فاسد أو قولهم أثرانا وفعل أثرى لازم أي صار ذا ثراء وقال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ (٢٣) .

(٢٣) النجم : ٥٣ : ٤٨ .

٢٠ - العامي الفصيح وحاجته إلى معجم يرده إلى أصوله

حديث أعدّه وألقاه الشيخ الدكتور محمد نايل عضو المجمع من (مصر).

بدأ الشيخ حديثه بقوله: «قد يظن بعض المثقفين من أبنائنا، حين يروننا نهتم بالعامية، وندرس أصولها، أننا نزاحم بها الفصحى وهي لغة القرآن الكريم والتراث القديم، وهذا الظن بعيد عن الحقيقة والواقع، لعدة أمور. . .» وذكر الشيخ أمرين ثم قال: «وثالثها: أننا حين نهتم بهذه العامية الفصيحة إنما نرد المغترب إلى موطنه. . . لنرد إليه اعتباره. . . على أننا نهدف من وراء ذلك أهدافاً لها قيمتها وأثرها:

أولاً: رفع الوهم القائم بين الناس: أن ما ينطقه العامة في شعوبنا خطأ كله، ترفضه الفصحى وينأى عنه الأدباء والكتّاب والمثقفون.

ثانياً: ما يؤدي إليه رفع هذا الوهم من بث الشعور في نفوس العامة بأنهم لم يبعدوا في لغتهم كثيراً عن اللغة التي كان عليها آباؤهم، وفي هذا ما فيه من رفع معنوياتهم وإيقاظ فضيلة الانتماء في أعماقهم.

ثالثاً: أن هذا الشعور بالانتماء قد يولد فيهم نزعة الطموح والتطلع إلى تقويم ألسنتهم، ومعالجة النطق بالكلمات كما ينطقها المتعلمون».

وأخذ الشيخ يسرد الأدلة على ما يتمناه من ارتفاع ملحوظ في لغة العامة بلغة وسائل الإعلام المختلفة، إلى أن ختم حديثه عن مؤلفات تفصيح لغة العامة قائلاً: «إن هذه المؤلفات تبعث في نفوسنا كثيراً من الارتياح والاطمئنان إلى أن لغة العامة لا تزال قريبة من الفصحى، وأن التغيير اليسير الذي أصاب بعض ألفاظها من اليسير تداركه، حين نعقد العزم، ويقيناً ربنا شرّ المعوقات والمشبطات».

٢١ - الإطار التاريخي لسورة «براءة»

بحث أعدّه وشافه به المؤتمرين ، دون تقديم مخطوطته ، الدكتور حسين مؤنس عضو المجمع من (مصر) .

بدأ الباحث حديثه عن «غزوة تبوك» وهي آخر غزوة اشترك فيها النبي عليه الصلاة والسلام وكانت في السنة التاسعة للهجرة عندما بلغه أن الروم يحشدون جيوشهم لقتال المسلمين ، وقد نزلت سورة «براءة» أمرة بالجهاد رافعة الأمان عن الروم غير مفتحة بالبسملة لأن فيها الأمان وقد رفعه الله عز وجل .

وأخذ الباحث بعد أن وضع المؤتمرين في الجوّ التاريخي لغزوة تبوك يبين أحكام الجهاد المفروض على المسلمين وتطورات معناه .

وشكر الرئيس للباحث جهوده في إعداد حديثه ، وما كاد يفتح باب المناقشة حتى هبّ الدكتور عز الدين عبد الله محتجاً على الرئيس لسماحه بإلقاء بحث ديني يؤصل معنى الجهاد ، وكلمة الجهاد تصمّ أسماع الناس في هذه الأيام ، وأعلن انسحابه من الجلسة احتجاجاً .

قال الرئيس : نحن لا نوجه أحداً ، يقتصر عملنا على سماع البحث ولا قرار لنا في موضوعه . ثم سمح للباحث بالردّ على زميله المعترض عليه ، وتابع المؤتمر أعمالهم .

٢٢ - العلاقات الثقافية بين القاهرة وتونس من خلال رسائل الزبيدي صاحب تاج العروس

بحث أعدّه وألقاه (دون توزيع نسخ عنه) الأستاذ أبو القاسم محمد كرو عضو المجمع المراسل (من تونس) .

كشف الباحث في حديثه عن أن السيد المرتضى الزبيدي الفقيه المحدث واللغوي الكبير صاحب تاج العروس في شرح جواهر القاموس

للفيروز آبادي عندما استقر بمصر بعد تركه اليمن في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة، أقام صلوات ودُّ مع علماء من تونس، ثم جرت بينه وبينهم مكاتبات وتبادل للرسائل.

وقد عثر الباحث علي بعض تلك الرسائل، فأحب كشف النقاب عنها لزملائه المؤتمرين تصويراً لما كان من علاقات ثقافية بين مصر وتونس في القرن الثاني عشر الهجري.

٢٣ - الترجمة وحسن الاختيار

بحث أعدّه وألقاه (دون توزيع نسخ عنه) الدكتور مجدي وهبة عضو المجمع من (مصر).

بدأ الباحث حديثه بالكلام عن أهمية الترجمة من لغة إلى لغة في نشر الثقافة والعلم، ثم تكلم عن الشروط التي يجب أن يتحلى بها المترجم وعن أهم شروطها وهو حسن اختيار ما تجب ترجمته. ثم وصف الترجمة بأنها فن، ومن مقتضى كل فن الإعداد له وامتلاك وسائله وممارسته بصدق واستقامة.

وتحدث الباحث عن حركة الترجمة في الأقطار العربية فوصفها بأنها عشوائية، لا برنامج لها ولا دراسة فيها، ولا مراقبة عليها، مؤكداً أن الأمر يدعو إلى إقامة سلطة تخطط للترجمة من العربية وإليها ووضع برنامج لها يتقيد به المترجمون والناشرون.

رابعاً : بحوث اعتذر عن عدم إلقائها

لم يتسع الوقت المخصص للعمل لسماع بحثين وزعت نسخ منهما على المؤتمرين فاعتذر عن عدم إلقائهما، والبحثان هما:

١ - جهود بعض المحدثين في العامي الفصيح :

بحث أعدّه الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع من (الأردن).

٢ - الفكر العلمي العربي وحضارة الغرب :

بحث أعدّه الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمع المراسل من (العراق).

خامساً : بحوث اضطرّ أصحابها للغياب عن المؤتمر

حالت ظروف صحية وقاهرة بين زميلين والاشتراك في المؤتمر فاعتذر عن عدم اشتراكهما وهما :

١ - الدكتور علي عبد الواحد وافي عضو المجمع من (مصر) وكان عنوان حديثه :

التزعات الاجتماعية الفطرية عند الحيوان .

٢ - الدكتور مهدي محقق عضو المجمع المراسل من (إيران) وكان عنوان حديثه :

العلاقة بين اللغة الفارسية والعربية .

سادساً : محاضرة عامة

لّى المؤتمر وجمهرة غفيرة من أهل العلم والأدب ، الدعوة العامة التي وجهت إليهم لسماع المحاضرة التي ألقاها الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع مساءً في قاعة الاحتفالات وعنوانها :

منهج طه حسين
في الدراسات الأدبية

وكانت جلسة من جلسات المؤتمر علنية افتتحها الرئيس الدكتور إبراهيم مدكور وقدم الدكتور شوقي ضيف ليلقي محاضرتة .

استهل المحاضر حديثه بقوله : «يعد طه حسين الرائد الفدّ للدراسات الأدبية العربية في القرن العشرين ، وعوامل مختلفة تضافرت في إحلاله هذه

المنزلة الرفيعة، ولكي تتضح لنا ينبغي العودة إلى تكوينه الأدبي في نشأته الأولى حين كان طالباً بالأزهر. . وكان يختلف إلى دروس الشيخ سيد المرصفي . . .» .

وتابع المحاضر كلامه عن مراحل تكوين طه حسين فذكر انتسابه سنة ١٩٠٨ إلى الجامعة المصرية الأهلية فحضر دروس أساتذتها من المستشرقين وفيهم جويدي ونالينو وسانتلانا وليتمان ، بينما ظل يستمع إلى الشيخ المرصفي في الصباح ويذهب في المساء لاستماع أولئك المستشرقين .

ورأى المحاضر أن فكر طه حسين اتجه في هذه المرحلة إلى الاعتقاد بأنه لا بد في دراسة الأدب من الأخذ بطريقة المرصفي التي تساعد على فهم النصوص الأدبية وتذوقها ثم الأخذ بطرق المستشرقين لاستنباط التاريخ الأدبي لتلك النصوص ومن أنتجها من الشعراء والكتّاب .

واستشهد المحاضر بالرسالة التي حصل بها طه حسين على درجة العالمية من الجامعة المصرية الأهلية، وكان موضوعها دراسة أبي العلاء المعري حيث أعلن في التمهيد لها أن مؤرخ الأدب الذي لا يؤمن بالمذاهب الحديثة ولا يصطنع في البحث طرائقه الطريفة . . ولا يطمئن إلى أن الحركة التاريخية جبرية ليس للاختيار فيها مكان لا يستطيع أن يوفي دراسة أبي العلاء حقها .

ثم تحدث المحاضر عن الاستعداد العلمي عند طه حسين الذي وضع للجامعة المصرية من رسالته عن أبي العلاء فقررت سنة ١٩١٤ إيفاده إلى فرنسا في بعثة حصل بموجبها على الدكتوراة في فلسفة ابن خلدون ، كما حصل بعد دراسة الإغريقية واللاتينية على دبلوم الدراسة العليا في القانون المدني الروماني .

وواصل المحاضر حديثه عن مسير طه حسين بعد تعيينه في الجامعة المصرية أستاذاً للتاريخ القديم اليوناني والروماني ، ثم أستاذاً للأدب العربي

وتاريخه، فنشره كتابه (في الشعر الجاهلي) وما أحدثه من ضجة هائلة في الأوساط الدينية والعلمية والسياسية وقيام السلطة بمصادرة الكتاب.

ثم تحدث المحاضر عن إصدار طه حسين طبعة جديدة من كتابه باسم «في الأدب الجاهلي» معدلاً بعض آرائه السابقة، مضيفاً إليه شوارد من أسس سبق له نشرها، فألف منها نسقاً واضح المعالم لمنهج في دراسة الأدب.

وفصل المحاضر الكلام عن أسس المنهج المشار إليه، ومصادر طه حسين في كل أساس منها، وعن الكتب التي كان يصدرها تطبيقاً لمنهجه، وخص كتابه «مع المتنبي» بلمحة بين فيها كيف درس المتنبي محللاً نفسيته وشخصيته وشعره، وكيف حمل عليه مراراً بحجة أنه كان متهاكاً على المنافع العاجلة وطلب المال من ممدوحيه الكثيرين، ثم كيف صب عنايته في الكتاب على شخصية المتنبي لا على شعره، وعلى جوانبه التاريخية لا على جوانب فنه.

ثم ختم الدكتور شوقي ضيف محاضراته بقوله: «إن طه حسين يعد الرائد الموجه الفذ للدراسات الأدب العربي وتاريخه ودراسات شعرائه المبدعين في القديم والحديث».

وشكر الرئيس للمحاضر طرافة موضوعه ودقة إحكامه كما شكر له جهوده نقر من المستمعين، وكان أهم تعليق على المحاضرة ما جاء به الزميل الدكتور سليمان حزين وهو خريج أول دفعة درسها طه حسين فكان حواراً مع تلامذته نمطاً جديداً يقوم على توسيع أفق الطالب دون أن يطفى على تفكيره وبذلك كان من تلامذته رواد افذاذ أمثال محمد عوض محمد ومحمد كامل حسين ومصطفى شرفة.

سابعاً : في الشعر

اشترك في دورة المؤتمر هذه، ثلة من الشعراء المجمعين، وقد سعد

المؤتمرون بالاستماع إلى ما جادت به قرائح زملائهم التالية أسماؤهم:
أولاً : شاعر الحجاز الأستاذ حسن عبدالله القرشي عضو المجمع المراسل
من (العربية السعودية) فقد ألقى قصيدته التالية :

في آفاق لغة الوحي !

هَفَا النَجْمُ، يَعْتَابُهَا	وَعَنَى الزَّمَانَ عَلَى بَابِهَا
وَدَانَ لَهَا الْمَجْدُ وَهُوَ الْعَصِي	وَأَرْخَى الْعِنَانَ لِخَطَابِهَا
تَرْفِقُ مِنْهَا الضِّيَاءُ الْبَهِيحُ	وَشَعَّعَ فِي أَفْقِ أَصْحَابِهَا
وَتَوَجَّهَ اللَّهُ - يَا لِلْجَلالِ -	بِوَحْيِي تَجَلَّى بِمُخْرَابِهَا
غَمَائِمَهَا ثَرَّةٌ بِالْحَيَاةِ	وَوَشْيِي الرِّبِيعِ بِأَهْدَابِهَا
هِيَ (الضَّادُ) مَا ظَفِرَتْ أُمَّةٌ	بِمِثْلِ جَنَاهَا، وَأَطْيَابِهَا
تَعَهَّدَهَا رَبُّهَا بِالْبَقَاءِ	فَهَلْ مُجْدِبٌ فَيَضُ إِيخْصَابِهَا؟
تَأَلَّقُ فِي صَفْحَاتِ الْخُلُودِ	فَتَنْجَابُ ثُورَةَ حُجَابِهَا
وَمَا شَفَّ عَنْ شُرْفَاتِ الْوُجُودِ	كَمِثْلِ سَنَا شَعٍّ مِنْ غَابِهَا
وَكَمْ يَحْفِرُ الصَّخْرَ صَبُّ بِهَا	لِيَحْظِيَ بِتَرَشَافِ أَكْوَابِهَا
فَمَا عَشَقُهَا غَيْرَ مَوْتٍ بِهَا	غَرَاماً لِيَتَهَنَّا بِتَرْحَابِهَا
لِيَنْقَادَ مِنْهَا النُّفُورُ الشَّمُوسُ	وَيَسْتَعَذَّبُ الْمُرُّ مِنْ صَابِهَا
وَيَنْهَمُرُ الدُّرُّ مِنْ بَحْرِهَا	وَيَحْلُو الرِّحِيقُ لِشُرَابِهَا
أَنْوَفٌ هِيَ (الضَّادُ) أَنْ تُجْتَنَى	لِغَيْرِ صَبُورٍ لِاتِّعَابِهَا
لِغَيْرِ مَلْحٍ شَدِيدِ الْمِرَاسِ	عَمِيقِ الْمَعَانَاةِ وَهَابِهَا
يَجُوبُ الدُّرُوبَ احْتِفَاءً بِهَا	لِيَسْلُكَ فِي سِمَطِ أَقْطَابِهَا
وَأَعْرَضَ عَنْهَا قَصِيرُ الْأَدَاةِ	وَمَا مِنْهُمْ مَنْ تَغْنَى بِهَا
فَمَا عَبَّاتُ بِالْأَلَى أَعْرَضُوا	وَمَا وَصَلَتْهُمْ بِأَسْبَابِهَا
بَنِي (الضَّادِ) يَا جَمْرَاتِ الْحَيَاةِ	لِأَعْدَائِهَا . . . وَلَسْلَابِهَا

وَرَدُّوا الْبَقَاةَ لِأَعْقَابِهَا
 فَهَلَّا تَجِنَ لِأَنْسَابِهَا
 حُمَاةَ (يَهُودًا) وَأَذْنَابِهَا
 سِوَى خَائِرِ النَّفْسِ هَيَابِهَا
 لَتَعْنُو لِصَوْلَةِ إِزْهَابِهَا
 وَ (مَعْتَصِمٍ) دُونَ أَنْيَابِهَا
 وَيُقْصِي الْعَرُوبَةَ عَنْ عَابِهَا
 وَطُولِ التَّنَاحِرِ أَوْدَى بِهَا
 فَجُنَّ الْهَوَانُ بِالْبَابِهَا
 لِخَاذِلِ نَفْسٍ فَأَزْرَى بِهَا؟
 لِلْهُوَ الْحَيَاةُ، وَالْعَابِهَا
 وَلَمْ تَسْتَشِفَّ لَطْفِي مَابِهَا
 وَهَامَ الْعَدُوُّ بِأَغْضَابِهَا
 وَإِنْ لَبِستَ غَيْرَ أَثْوَابِهَا
 تَرُدُّ الْكُفْمَاةَ لِأَسْرَابِهَا؟

تَغَارُ النُّجُومُ لِأَخْسَابِهَا
 وَعَزَّتْ بِجَوْهَرِ آرَابِهَا
 فَلَمْ تَسْتَرْقُ لِأَوْصَابِهَا
 حُطَامَ الْحَيَاةِ لِأَنْصَابِهَا
 فِدَى (الضَّادِ) قُرْبِي لِأَجَابِهَا
 جِنَانًا تَهَشُّ لِطُلَّابِهَا
 فَدَارُ الْبَقَاةِ لِأَرْبَابِهَا!

وَيَا شُهْبَ الْحَقِّ كَفُّوا الْأَذَى
 هُوَ الدَّمُّ نَادَى (بَنِي يَعْرَبٍ)
 عَتَا الظُّلْمُ مِنْ مِتْحَدِّي الْكِبْرَامِ
 أَسْوَدَ عَلَيْنَا وَمَا مِنْهُمْ مَو
 وَأَرْغَمَ جَوْرَ الطَّغَاةِ الْأَبَاةِ
 فَمَا مِنْ (مُتْنِي) يَسُوقُ الْحُتُوفِ
 وَمَا مِنْ (صَلَاحٍ) يَرْصُ الصَّفُوفِ
 تَفَرَّقَهَا قَادَهَا لِلْكَلالِ
 تَمَادَى الْعَدُوُّ نِكَالًا بِهَا
 وَلَا مِنْ نَصِيرٍ وَأَيْنَ النَّصِيرِ
 تَنَاسَتْ مَعَ الذُّلِّ تَارِيخِهَا
 فَلَمْ تَسْتَجِبْ لِصُرَاخِ النَّذِيرِ
 فَلَجَّ الصَّدِيقُ بِتَجْرِيحِهَا
 وَمَا هِيَ إِلَّا جَنِي التَّضْحِيحَاتِ
 فَهَلْ يَا بَنِي (الضَّادِ) مِنْ وَثْبَةٍ

وَيَا (مَجْمَعِ الضَّادِ) مِنْ صَفْوَةٍ
 عَلَتْ بِالنَّهْيِ فَوْقَ هَامِ الدَّنَى
 تَسَامَتْ عَلَيَّ تُرَّهَاتِ الزَّمَانِ
 وَقَدِّمْتَ الشُّهْدَ، كَمْ غَادَرْتَ
 وَكَمْ قَدِ أَرَاقْتَ ضِيَاءَ الْعُيُونِ
 سَتُجْزَى بِمَا بَدَلْتَ فِي غَدِ
 وَتُزْهَى بِهَا غُرْفَاتِ النَّعِيمِ

ثانيًا : الشاعر الطبيب الدكتور حسن علي إبراهيم عضو المجمع من
 (مصر) منذ سنة ١٩٧٨ ، وكان قد عود زملاءه أن يمتعهم سنويًا أثناء انعقاد
 المؤتمر برائعة من نظمه، تارة في مدح النبي عليه الصلاة والسلام ووقائع

تاريخ الإسلام في نشأته، وتارة في فصول من سيرته الذاتية وقصة حياته .
وجاء في هذه السنة يبدأ سلسلة جديدة من قصائده في تاريخ مصر وقد
افتتحها بالقصيدة التالية :

مصر (الجزء الأول)

وهي قصيدة يمجد فيها الشاعر بمصر، منذ عرف التاريخ حضارتها في
العهد الفرعوني، وبدأ الشاعر يعدد مفاخر هبة النيل مشيراً إلى الأوابد التي
أقامها عظماء فراعنتها والتي تمثل حضارة من أقدم حضارات البشر، متتبعا
خطواتها في الارتقاء متسلسلة مع الزمن .

وأنا اعتذر عن عدم نشر شيء من القصيدة، لأن هيئة التحرير لم توزع
على المؤتمرين نسخاً عنها بحجة أنها لم تتلق بعد من الشاعر صورة عنها!
ثالثاً : الشاعر الدكتور إبراهيم السامرائي عضو المجمع من (العراق)
فقد ألقى قصيدته التالية :

مع العربية ومجمع اللغة في القاهرة

رَبِعَتْ فَضِيمَ بَرَزْنِهَا وَرِقُ	وَمَضَتْ بِمَا تَشْقَى وَتَأْتَلِقُ
بِبَقِيَّةٍ مِنْ سِحْرِ يَانَعَةٍ	فَنَنْ يَشِي بِنُضَارِهِ أَلْقُ
تَرَكَتْ عَرِيضَ الرُّوْضِ ظَامِئَةً	رَوْحَاتِهِ، وَاسْتَصْرَخَ السُّورِقُ
وَدَوَى عَلَى أَعْلَاقِهَا عَبَقُ	لَمْ يَخُلْ عَنْهُ وَارِفُ أَنْبِقُ
لِغَةِ سَعَيْتُ لِمَا شَقِيْتُ لَهُ	مِنْهَا، كَأَنِّي رُحْتُ أَسْتَبِقُ
وَشَغِلْتُ مِنْهَا شُغْلَ ذِي أَرْبِ	أَضْنَاهُ فِي غَمْرَاتِهِ عَلِقُ
أَنَا بَعْضُ قَوْمٍ نَالَهُمْ نَصَبٌ	فِيَمَا سَعَوْا لِعَلَانِهَا وَشَقُّوا
أَضْنَاهُمْ الدَّرْبُ الَّذِي طَرَقُوا	وَهْدَاهُمْ الْهَدْيُ الَّذِي صَدَقُوا

* * *

بِأَثَارَةٍ فِي طَيْهَا عَبَقُ	بِأَخَالِدِينَ! وَقَدْ سَعَيْتُ لَكُمْ
طَالَعْتُهُ كَالسَّيْلِ يَدْفِقُ	أَكْبَرْتُ فِيكُمْ كُلَّ مُخْتَرِبٍ

بِالْعِلْمِ ، وَهَوَّ بِسِرِّهِ حَذِقُ
يَغْنَى بِأَيِّ هُدًى وَيَعْتَنِقُ
غَنِيَّتْ ، فَلَا خَوْفٌ وَلَا فَرْقُ
فُلُكْ ، فَلَا عَطْبُ وَلَا غَرْقُ

* * *

إِلَّا الَّتِي بَيَّانَهَا نَطَقُوا
تَلَقَى ، فَلَا تَشْفَى وَتَحْتَنِقُ
تَقْوَى بِهِ ، وَتَرَوْحُ تَرْتَفِقُ
«لِلذِّكْرِ» مِنْ نَفْحَاتِهِ نَسَقُ
بِأَجَلٍ مَا نُمْنَى وَنَفْتِرُقُ
حِكْمُ تَضِيءُ لَنَا وَتَتَسِقُ
طَبَعُ مَشَى فِي سَمَجِهِ خُلُقُ
خُلْفُ ، وَعَمَّ سَبِيلَهَا غَسَقُ
فِيمَا تَلَى مِنْ خَطْبِهَا طُرُقُ
وَمَشَتْ بِنَا هَدِيًّا وَنَتَفِقُ
وَتَوَزَعَتْ بِشَتَاتِنَا فَرْقُ
فَجَرَّ أَضَاءَ بِنُورِهِ أَفْقُ

* * *

وَأَرَقْتُ فِيهِ وَنَابَنِي أَرْقُ
وَأَصْدُ مَا يُومِي بِهِ رَمَقُ
لَوْلَا الْهُدَى ، قَدْ كِدْتُ أَحْتَرِقُ

* * *

مِمَّا دَجَا فِي وَعْثِهِ لَشَقُ
بِمَسِيرَةٍ قَدْ رُحْتُ أَلْتَحِقُ
وَلَأَنْتَ فِي هُدًى بِمَا نَطَقُوا
وَلَذَاكَ أَوْفَرُ مُنَّةٍ رَزَقُوا

وَوَجَدْتُ فِيكُمْ كَلَّ مُدْرِعُ
وَقَبَسْتُ مِنْ «شَيْخِ» سَمَاحَةَ مَنْ
وَلَأَنْتُمْ قَدَرٌ لِبَارِعَةٍ
أَسْرَى بِكُمْ فِي كَلِّ مُظْلَمَةٍ

أَنَا بَعْضُ جَمْعٍ لَيْسَ يَجْمَعُهُمْ
وَأَمْضُهُمْ هَمٌّ لِمَا بَعْدُ
مِمَّا حَوَتْ مِنْ فَيْضِهَا مَدَدًا
وَضَمَانَةَ الضَّادِ الْمُنِيرِ وَمَا
وَذَخِيرَةَ كُنَّا بِحُرْمَتِهَا
وَبِمَا تَحَدَّرَ مِنْ سَمَاحَتِهَا
وَبِمَا هُدِينَا مِنْ رَحَابَتِهَا
وَسَعَتْ إِلَى أُمَّمٍ أَضْرَبَهَا
وَدَنَتْ إِلَى رَشْدٍ تَلُوخُ بِهِ
أَلَوْتُ بِنَا غِيًّا وَنَفْتِرُقُ
أَفْبَعْدَمَا ضَاقَتْ بِنَا جَيْلُ
شِمْنَا الرَّجَاءَ الْمُسْتَشِيرَ إِلَى

إِنِّي ، وَقَدْ أَدْرَكْتُ مِنْ رَشْدٍ
لَأَطِيلُ مِنْ نَفْسٍ لِعَافِيَةٍ
وَأَزِيحُ عَنِّي كُلَّ غَاشِيَةٍ

عَوْدًا إِلَى دَرْبِ تَهَيَّبَنِي
وَمَعَ الَّذِينَ بِنَاسِهِمْ وَصَلُوا
أَوْلَاءَ مَنْ شَرَفُوا بِمَا صَدَقُوا
بِلِسَانِ صِدْقٍ غَيْرِ ذِي عِوَجِ

تَلْقَاهُمْ السَّاعِينَ فِي حَرْدٍ لَلْجِدِّ، كُلُّ مُفْصِحٍ لِسِقْ
بِحَمَاسَةٍ ذَهَبَتْ بِهِمْ رَشْدًا وَلَهُمْ بِذَلِكَ مَقُولٌ ذَلِيقُ
إِنْ كَانَ ذَلِكَ فَأَنْتَ بَعْضُهُمْ وَلَأَنْتَ فِيهِمْ مُعْجَلٌ تَشِيقُ

* * *

قَسَمًا بِمَا تَمَّرْتُ مِنْ قِيمِ وَبِمَا أَنْجَلِي مِنْ هَدْيِهَا فَلَقُ
مَا كُنْتُ أَعْدِلُ عَنْ هَوَىٰ أَبَدًا لِسَلْحَرُومٍ ، لَا دَعْوَىٰ وَلَا مَلَقُ
هَمٌّ شَقِيقٌ بِهِ وَأَحْسَبُنِي أَنْ لَوْ صَبَّرْتُ لَسُزْحِرَ الْقَلَقُ
وَلِنِعْمَ مَا يَلْقَاهُ ذُو مِقَّةِ فِي سَعْيِهِ مِمَّا بِهِ يَشِيقُ

صنعاء في الأول من رَجَب سنة ١٤١٠هـ

رابعاً : الشاعر الدكتور حسين علي محفوظ، عضو المجمع المراسل من (العراق) وقد ألقى قصيدة ثلاثية المقاطع وبلغ عدد مقاطعها واحداً وأربعين نختار منها التالي وعنوانها:

٣٥ عاماً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

بدأ الشاعر يتغنى بأيام سلفت جاء فيها مصر بعد انتخابه عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية فقال :

ومن الزمان بفيض نعد وماه وأولانا جميله
جمع الأجيّة في ثرى مصر، وسقى الصبح نيله
أبداء، يلفح بالسندى أزهار مظلول الخميله

* * *

في مجسع ضمّ الأفا ضل رفقة شمّ الأنوف
جمعتهم الآداب با هرة مینورة الحروف
والقلم والضاد المبيد من يفل بارقة السيوف

* * *

صبرح نقضي في محا نيه الربيع من الفصول
تفتّر في جنباته عن نور فكرتها العقول
هذا بمقوله يجول وذا بحجته يصول

* * *

صاحبتهم، لا قيت أصد حباب الفضائل والفواضل

والمنطق الجزل الرزيب
و (العقل أجمل زينة)
* * *
من تمده السحب الحوافل
(أغنى الغنى) رأس الفضائل
* * *
لاقيت غرّ الفاضل
أطواد علم طاولت
هذا تضيّعه المشيب
* * *

وذكر الشاعر كبار الزملاء الذين التقاهم في مؤتمر المجمع السنوي،
فذكر من الراحلين، الشيخ الشيبلي الذي رشحه، والرئيس لطفى السيد،
ومن بعده الرئيس طه حسين، فالرئيس إبراهيم مذكور مد الله بحياته، إلى أن
بلغ عدد أعضاء المجمع (مائة) فقال:

سلم على (المائة الكرا
المجمعيين الأفا
شادوا الرّواق المشمخر
* * *
م) أولى المآثر والمكارم
ضل كارم من بعد كارم
يطلع الزهر النواجم
* * *
حفظوا اللسان العبقري
السلسل العذب الفرا
لغة الجدود المنجيين
* * *
أهلي ورفقتي الأجد
صحبي الأحيّة أنتم
أنتم إيّاة الشمس تحد
* * *
وظله ضاف ضليل
ت المعجب الزاهي الجميل
و «منطق العرب الأصيل»
* * *
ة حياظي الضاد المبين
أثنا قوى الحبل المتين
لذي الصبح واضحة الجين
* * *
والدهر بخال شحيح
ومنحته طرف المشيح
وغضضت عين المستميح
* * *
جاد الزمان بوصلكم
فغفرت سوء فعاله
وعفوت عن فتكاته
* * *

وذكر الشاعر بخير الأعضاء الذين التقى بهم من العراقيين والسوريين
والأردنيين والفلسطينيين واللبنانيين والليبيين والتونسيين والجزائريين
والمغاربة والسودانيين ومن أبناء الجزيرة والكويت واليمن ومن المستشرقين
وختم قائلاً:

يا مجمع اللغة العظيمة هم وأهله أهل العظام
سقى ديارك كل حي من وإبلاً صوب الغمام
وإليك مني ما بقي ست من التحيات اللطائم

* * *

ثامناً : تأبين مجمعي راحل

عقد المؤتمر بدعوة من الرئيس ووجهت إلى لفيق من العلماء والأدباء جلسة علنية مسائية (٢٤)، حضرها جمع من رجال الفكر والعلم والإعلام، لتأبين فقيه المجمع عبدالله كنون العضو العامل من (المغرب).

وفيما يلي عرض موجز لأهم ما دار في تلك الجلسة:

افتتح الرئيس الدكتور إبراهيم مذكور الجلسة بكلمة أشار فيها إلى التقاليد المجمعية التي تقضي بتأبين أعضاء المجمع العاملين من غير المصريين في جلسة علنية أثناء المؤتمر السنوي للمجمع.

ثم ذكر أن المجمع افتقد في نهاية العام الماضي أحد أعلام أعضائه العاملين من (المغرب) مشيراً إلى مكانة الفقيه العلمية في العالمين العربي والإسلامي، مقدماً أعضاء المجمع المؤننين التاليين:

أولاً : الدكتور عبد الهادي التازي: عضو المجمع المراسل من (المغرب)، الذي بدأ خطابه التأبيني بالإشارة إلى أن الدول الأوروبية كانت في مطلع هذا القرن تطمع في احتلال المغرب وقد تواطأت على اقتسام أراضيه، فلما سنحت لها الفرصة، قامت بسلب استقلاله وفرض الحماية عليه مناصفة بين فرنسا وإسبانيا، مما حمل بعض سكانه على التفكير بالهجرة منه.

(٢٤) عقدت جلسة التأبين العلنية مساء يوم الأربعاء في ١٠ من شعبان سنة ١٤١٠ الموافق ٧ من آذار (مارس) سنة ١٩٩٠.

وذكر الدكتور التازي بعدئذ أن الشيخ عبد الصمد كنون كان من الراغبين في الهجرة، وقد غادر مدينة فاس، مع أسرته وهي تحمل طفلاً في الرابعة من عمره اسمه عبدالله، قاصدين المدينة المنورة (٢٥). فلما وصلوا ميناء طنجة وهي منطقة دولية، حجزتهم عن الإبحار الحرب العالمية الأولى، فأقاموا فيها ثم استوطنوها.

وتحدث الدكتور التازي عن الطفل عبدالله وقد نشأ في طنجة، وفيها تلقى العلم وقد تمكن منه، وفيها اشتغل بالتدريس والكتابة بالصحف والمجلات، ومنها أخذ يوثق صلته مع صحفيين وأدباء في المشرق العربي.

وتابع الدكتور التازي حديثه عن الدور الذي قام به عبدالله كنون، عندما تجرأت السلطات الفرنسية في الرباط على إقصاء الملك محمد الخامس عن عرش المغرب سنة ١٩٥٣، مما حمل عبدالله كنون محتجاً على هذا الاعتداء الفرنسي الصارخ، إلى ترك طنجة، خوفاً من النفوذ الفرنسي فيها، فهرب لاجئاً إلى مدينة تطوان التي كانت تحت الحماية الإسبانية، فإذا بالحكومة الخليفة تسميه وزيراً للعدل فيها.

ثم تحدث عن عودة الملك إلى العرش وتوحيد شطري المغرب وإعلان سيادته على منطقة طنجة الدولية، كل هذا دفع الملك إلى إسناد ولاية محافظة طنجة إلى عبدالله كنون تقديراً لموقفه الرائع من الاعتداء على العرش المغربي.

(٢٥) هذا ما دونه الفقيد بموجز سيرة حياته التي قدمها إلى مجمع القاهرة عندما انتخب عضواً فيه سنة ١٩٦١، بينما كان سبق له أن ذكر في موجز ترجمته التي قدمها إلى مجمع دمشق عندما انتخب عضواً فيه سنة ١٩٥٦ أن والده كان ينوي الهجرة بأسرته إلى الشام، وهذا الاختلاف يحمل على أنه من قبيل السهو، أو يدل على أن نية والد الفقيد يومئذ كانت الهجرة بالإبحار نحو المشرق، أما الاستقرار في الحجاز أو في الشام فمتروك للظروف، يؤيد هذا التعليل ما جاء في ترجمة مطولة بعث بها الفقيد إلى مجمع دمشق ذكر فيها أن أباه وعمه قررا الهجرة إلى المشرق فوصلا طنجة للإبحار منها، فتعذر عليهما السفر فاستوطناها . . .

وعرّج الدكتور التازي بعدئذ على انتخاب عبدالله كنون سنة ١٩٦١ عضواً في مجمع القاهرة وكيف جعل تحيته للمجمع يوم استقباله جرداً كاملاً لمساهمة المغرب عبر التاريخ في دعم العربية وإغناء العلم والمساهمة في ازدهار الحضارة.

ثم سرد الدكتور التازي ما أسهم فيه عبد الله كنون في المؤتمرات السنوية للمجمع من بحوث أدبية أو لغوية أو تاريخية، معدداً مؤلفاته والكتب التي حققها والدواوين الشعرية التي نشرها، مشيراً إلى أهم المقالات التي دبّجها ونشرتها الصحف أو المجلات في كل من مصر أو سورية أو الجزائر أو المغرب مسلسلة حسب موضوعاتها مسجلاً كل ذلك في قائمة طويلة ألحقها بخطابه.

وأنتهى الدكتور التازي خطابه بقوله: «وإذا كان الأستاذ كنون درج من غير عقب، فإنه مع ذلك ترك جمهوراً كبيراً من الأبناء الروحانيين الذين يرددون صدهاءه في كل مكان، وهذه لا تقدر بثمن، ومن حسن حظ الفقيد أنه وجد إلى جانبه سيدة فضلى توفر له كل أنواع الراحة، مما كان يساعده على الانصراف إلى ما هو بصدده!

هذا إلى أبناء أخته وخاصة الأستاذ مصطفى الريسوني والأستاذ عبدالله العشاب اللذين كانا إلى جانبه باستمرار، وهما المشرفان اليوم على مكتبته التي أصبحت لأبناء الشعب» (٢٦).

ثانياً : الدكتور عدنان الخطيب : عضو المجمع من (سورية) والأمين العام لمجمع دمشق، وقد استهل خطابه بذكر المكانة الإسلامية التي احتلتها مدينة فاس بعد سقوط إشبيلية وكثرة من نبغ فيها من العلماء. مبيناً أنه كان ممن نبغ في فاس من العلماء التهامي الذي ينتهي نسبه إلى محمد الملقب بكنون بن القاسم بن أدريس بن أدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

(٢٦) كان الفقيد رحمه الله حبيب مكتبته القيمة في طنجة وفقاً على طالبي العلم والمعرفة.

وحكى الدكتور الخطيب قصة محاولة عبد الصمد بن التهامي كنون الهجرة إلى المشرق بعد أن احتلت دول أوربية بلاد المغرب، وكيف حالت الحرب العالمية دون إبحاره إلى المشرق بعد أن وصل مدينة طنجة فاستوطنها مع أسرته وكان فيها الطفل عبد الله .

وتحدث الدكتور الخطيب بعدئذ عن نشأة عبد الله كنون في طنجة وعن تحصيله العلم وتمكنه منه وعن نبوغه فيه وعن تأليفه كتاب «النبوغ المغربي»، وقد أفاض في تقرّيب أمير البيان في المشرق العربي الأمير شكيب أرسلان لهذا الكتاب، كما تحدث عن مصادرة الكتاب من قبل السلطات الفرنسية، مما زاد في قيمته وإعلاء اسم عبد الله كنون وشهرته في العالم العربي .

ثالثاً : الدكتور حسين علي محفوظ : عضو المجمع المراسل من (العراق) الذي تلا قصيدة كان قد ارتجلها عندما نُبئ بوفاة عبد الله كنون، منها الأبيات التالية :

أريحيّ اللقا أغرّ الشمائل
سلاق، محض الوداد، جمّ الفضائل
فاق وهاجة السراج الشامل
مة والفضل والذكاء دلائل
وصديقاً بالحب واللفظ حافل

كان أنموذج الفحول الأفاضل
جمع العلم والتواضع والأخ
واستطالت أشعة منه في الآ
تلك آثاره على العلم والحك
أنا ودعت منه خلاً وفيّاً

* * *

هـ، وحفّ الرضوان تلك الجنادل
بِ وروى ثراه هامى الهواطل

لفعتّه في قبره رحمة الل
وسقت تربيه الغوادي ملشاً

وختم الرئيس الجلسة بالدعاء للفقيه بالرحمة والرضوان، شاكرًا
الحضور على مشاركتهم فيها .

تاسعاً : المعجم الكبير

عُرضت على المؤتمرين المواد التي أقرها مجلس المجمع، مما أنهت لجنة المعجم الكبير تصنيفه، وهي المواد المبتدئة من أول مادة (ح و م) إلى آخر مادة (ح ش ي).

واستمع المؤتمرين إلى تقرير وشرح الدكتور مهدي علام مقرر لجنة المعجم عن إنجازات اللجنة وأسماء من اشترك في الجلسات التي عقدتها وأسماء كل من عمل معها من الموظفين الفنيين أو الإداريين، مقدماً الشكر الجزيل لجميعهم، شاكراً باسمهم الزملاء الذين ساهموا أو سيساهمون بتقديم ملاحظاتهم مكتوبة.

قدم كل من الزملاء الأساتذة: عبدالله بن خميس ومير البعلبكي وعدنان الخطيب وحمد الجاسر ملاحظاتهم، كما علق على أعمال اللجنة كل من الزملاء الأساتذة: علي رجب المدني، ومحمود الجليلي وأحمد شفيق الخطيب.

عاشراً : أعمال لجنة الأصول

عُرضت على المؤتمرين أعمال لجنة الأصول التي أقر مجلس المجمع عرضها عليه، وهي المسائل الخمس التالية:

المسألة الأولى :

إلغاء قاعدة المبتدأ المستغني عن الخبر

من النحو التعليمي للناشئة

قالت اللجنة: قسم النحاة المتأخرون المبتدأ إلى قسمين: قسم له خبر، وهو الأساسي المطرد مثل «زيد كاتب» وقسم له فاعل أو نائب فاعل يغني عن الخبر، وهو الوصف، مثل «أحاضر أخواك»؟ ورأت اللجنة - بعد دراسة متأنية - أن القسم الثاني، وهو المستغني عن الخبر - ليست له شواهد

في القرآن الكريم، ولا في الشعر الجاهلي والإسلامي واستشهد له النحاة بأربعة أبيات مجهولة القائلين، لذلك لا تصلح لكي توضع على أساسها قاعدة نحوية، فضلا عن أنها تحدث خللاً كبيراً في قواعد المبتدأ والخبر وهي تنقض قاعدة المطابقة بين المبتدأ والخبر، إفراداً وثنية وجمعا، فالمبتدأ فيها دائما مفرد، ويليه فاعله أو نائبه مفردا أو مثنى أو مجموعا، فيقال: ما مسافر الزيدان - ما مسافر الزيدون. كما يقال: ما معروف الرجلان - ما معروف الرجال، مما يدخل إخلالا واضحا على باب المبتدأ والخبر.

لذلك ترى اللجنة إلغاء قاعدة المبتدأ المستغني عن الخبر من كتب النحو التعليمي.

وقد تولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وتوضيح المقصود من قرار اللجنة، وبعد التصويت أعلن الرئيس قبول قرار اللجنة بالإجماع.

المسألة الثانية :

الفصل بين المضاف والمضاف إليه بنعت المضاف

درست اللجنة الأحوال التي يفصل فيها بين المضاف والمضاف إليه في الأساليب العربية، شعرا ونثرا، ورات في نصوص القرآن الكريم والشعر والنثر أن الفاصل بينهما قد يكون مفعولا أو ظرفا أو جارا ومجرورا أو منادى أو نعتا، والفاصل بالنعت أكثر الفصول المذكورة بين المضاف والمضاف إليه التصاقا بالمضاف، وهو بذلك أحق منها جميعا بأن يقبل استخدامه في الصيغ العصرية حين تشيع وتدور على الألسنة، في مثل:

وكيل أول الوزارة - مفتش أول اللغة العربية - أمين عام الجامعة . . .
وفي ذلك تسويغ للأمثلة المذكورة وما يمثلها.

وانتهى رأي اللجنة إلى إجازة هذه الأمثلة العصرية التي تدور في الألسنة والتي تفصل بين المضاف والمضاف إليه بالنعت قياسا على ما جاء

في النصوص الوثيقة .

وبعد أن تولى مقرر اللجنة الدكتور شوقي ضيف شرح المسألة اعترض كثير من الزملاء على قرار اللجنة وأعلنوا رفضهم له ، وكان كل من الدكاترة : يوسف عز الدين وعبد الكريم خليفة وعلي الحاج صالح ، وغيرهم من المعترضين الراضين للقرار .

وعندما طرح الرئيس المسألة على التصويت ، كانت أكثرية ضئيلة بجانب قبولها . فأعلن أنها قبلت بالأكثرية .

المسألة الثالثة :

جواز المطابقة وعدمها في اسم التفضيل المقترن بأل

درست اللجنة اسم التفضيل المقترن بأل ، ورجعت في ذلك إلى قرار المجمع ، الذي يقول بجواز جمع أفعل التفضيل المقترن بالألف واللام على الأفعال ويلحق به في ذلك المضاف إلى المعرفة ، وجواز تأنيثها على الفعلي .

كما رجعت إلى رأي النحاة القائلين بحتمية المطابقة في اسم التفضيل المعرف بأل (كالأشموني وابن عقيل والسيوطي وابن هشام والرضي . . .) والنحاة القائلين بجواز المطابقة وعدمها (كالمبرد والجزولي والزبيدي وابن يعيش والمجمع في المؤتمر الثالث والثلاثين . . .) .

ورأت اللجنة الأخذ بقرار المجمع القديم في إجازة المطابقة وعدمها ، تلبية لحاجة الاستعمال المعاصر ، وتيسيرا لقواعد اللغة ، وبخاصة عند استعمال اسم التفضيل من الليف المقرون فنقول : الهدف الأقوى ، والمرأة الأقوى ، والدولتان الأقوى ، والدول الأقوى ، شريطة ألا نعدو على الصيغ التي سُمعت فيها المطابقة ، كالعليا بدلا من الأعلى ، والعظمى بدلا من الأعظم .

وانتهت اللجنة إلى القرار التالي :

«يجوز الأفراد والمطابقة في استعمال اسم التفضيل المحلى بال». وتولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وتوضيح الغاية من قرار اللجنة، وعند انتهاء المناقشة وإجراء التصويت أعلن الرئيس قبول القرار بالإجماع.

المسألة الرابعة :

زيادة النون في «فَعَلَنَ» وما يشتق منها

درست اللجنة ما يشيع على السنة بعض الكتاب وأقلامهم من صيغ الفعل التي زيدت فيها النون، من نحو: يُعَلِّمَن، وَيُعْضُونَ، وَيُعْقِلَن، واشتقاقهم صفات منها، فيقولون: مُعَلِّمَن، وَمُعْضُونَ، وَمُعَقِّلَن.

أو يجعلونها مصدرا فيقولون: عَلَّمَ، وَعَضُونَ، وَعَقَّلَن. ورجعت اللجنة إلى ما قاله النحاة واللغويون في هذا الشأن، كما رجعت إلى ما سبق أن قرره المجمع من قبل، من إجازته النسب بالالف والنون في المصطلحات العلمية، وبعد دراسة متأنية رأت اللجنة زيادة النون في هذه الصيغ الثلاث استنادا على ما ورد في فصيح العربية.

وانتهت اللجنة إلى القرار التالي :

«ترى اللجنة قبول ما يشيع على السنة المثقفين، من نحو: علمن، وعضون، وعقلن، ومصادرهما وما يشتق منها، على أن تعد النون زائدة، ويحمل ذلك على ما ورد من أشباهه في القديم، وما ذكره النحاة من زيادتها في ذلك».

وتولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وبعد التصويت على قرار اللجنة أعلن الرئيس قبوله بالإجماع.

المسألة الخامسة :

دخول «ربما» على الجملة الاسمية والاسم المفرد

أ - درست اللجنة موضوع دخول «ربما» على الجملة الاسمية، ولاحظت أن من النحاة من يمنع ذلك، ومنهم يجيزه، وهو ما رأته اللجنة وأخذت به تيسيراً لقواعد اللغة، وتسويقاً لبعض الأساليب التي تشيع على ألسنة الكتاب والمتكلمين، في مثل قولهم: «ربما زيد في البيت»، «ربما البرد الشديد صرفه عن الخروج».

ب - كما درست اللجنة ما يجري في اللغة المعاصرة من دخول «ربما» على الاسم المفرد، مثل قولهم: «تجاهل الموقف ربما تسليماً للواقع» - «يستطيع التحكم فيها وربما التلاعب بها»، فتكون لفظاً معترضاً للدلالة على الاحتمال.

وانتهت اللجنة في ذلك إلى القرار التالي :

«يجوز دخول ربما على الجملة الاسمية، بغير تأويل، كما يجوز دخولها على الاسم المفرد فيما شاع في اللغة المعاصرة، على أن تكون لفظاً معترضاً للدلالة على الاحتمال».

تولى الدكتور شوقي ضيف مقرر اللجنة شرح المسألة وتوضيح مآل قرارها، ثم أعلن الرئيس قبول القرار لعدم وجود مخالف.

حادي عشر : اختتام المؤتمر وتوصياته

عقد المؤتمر جلستهم الختامية صباح يوم الاثنين في الخامس عشر من شعبان سنة ١٤١٠هـ الموافق للثاني عشر من آذار (مارس) سنة ١٩٩٠، واستمعوا إلى تقرير الأمين العام الدكتور شوقي ضيف عن الأعمال التي أنجزها المؤتمر في هذه الدورة، كما قرأ عليهم مختلف الاقتراحات التي قدمها أعضاء المؤتمر مع ما ارتأوه من توصيات.

وبعد تداول الرأي ومناقشة جميع الاقتراحات، أقر المؤتمر التوصيات التالية :

١ - يوصي المؤتمر أن يعنى في مرحلة التعليم الأساسي بحفظ قدر كاف من القرآن الكريم مع تفسيره في صفوف هذا التعليم، وأن تتلو الناشئة مجموعة من أجزاء القرآن موزعة على الصفوف حتى ترسخ الملكة اللغوية في نفوسهم، ويتمثلوا قيم القرآن الجمالية والسلوكية والاجتماعية.

٢ - يؤكد المؤتمر توصية الدول العربية التي لم يتم فيها تعريب جميع الإدارات والمؤسسات أن تستكمل ذلك لضرورته في التعامل مع أفراد شعوبها، ولأن ذلك جزء لا يتجزأ من عروبتها الخالدة.

٣ - يوصي المؤتمر الدول والحكومات العربية أن لا تعمل على إحياء اللهجات المحلية حتى لا تغض من العناية بالعربية لغتنا القومية والدينية، ولغة ثقافتنا على مر التاريخ ولغة هويتنا وشخصيتنا وإذا كتبت أي لهجة محلية أو جعلت صحيفة لسانا لها ينبغي أن لا تكتب بحروف سوى الحروف العربية.

٤ - يدعو المؤتمر الصومال حكومة وشعباً إلى العودة إلى الحروف العربية حتى تظل الأواصر قائمة بينها وبين شقيقاتها من البلدان العربية بحيث لا يمسه أي انفصام أو انفصال، ويهيب المؤتمر بالدول والحكومات العربية أن تعمل بشتى الوسائل على هذه العودة المنشودة.

٥ - يوصي المؤتمر ببذل الجهود العلمية لوضع معجم كبير للعامي الفصح المشترك في البلدان العربية والذي يرجع إلى أصول فصيحة، حتى تتقارب تلك البلدان بعضها من بعض وتتعاون بلغة مشتركة. ويقرر المؤتمر أن يظل هذا الموضوع مفتوحاً في المؤتمر القادم.

٦ - يدعو المؤتمر علماء العربية كُلاً في وطنه إلى محاصرة العامية وبيان الفروق الدقيقة بينها وبين الفصحى وما دخل الكلمات الفصيحة فيها من إبدالات في الحركات والحروف وتغيرات في البنية والهيئة، لعرض ذلك على الناشئة والإذاعيين حتى يتحاشوه في كتابتهم ونطقهم.

٧ - أخذ مؤتمر المجمع علماً بقرار وزراء الصحة العرب بتعريب كليات الطب في الوطن العربي وهو ما أوصى به مؤتمر المجمع مراراً، وإن مؤتمر المجمع إذ يحيى هذا القرار يوصي الحكومات العربية بإصدار التشريعات اللازمة لتعريب التعليم الجامعي والعالي في مختلف الحقول والتخصصات العلمية .

٨ - يدعو المؤتمر اتحاد المجامع اللغوية والجامعات والهيئات العلمية إلى توحيد المصطلحات في جميع العلوم، حتى تمنحني انحاء تاما البلبلة في وضع هذه المصطلحات، فلا تكون في أي بلد عربي مصطلحات في علم تغاير مصطلحاته في البلاد العربية الأخرى، وحتى يتعاون علماؤنا جميعاً في نهضة العلوم ببلادنا نهضة جماعية عربية قوينة .

٩ - يوصي المؤتمر بزيادة عدد الساعات في تدريس قواعد العربية مع العناية في النصوص بالضبط والشكل الكامل، ومع تيسير القواعد على الناشئة والاستضاءة في ذلك بما قرره مؤتمر الدورة المجمعية الخامسة والأربعين من تبسيط لتلك القواعد، ولدى المجمع كراسة توضح هذا التبسيط وترسل لمن يطلبها من وزارات التعليم في الوطن العربي .

١٠ - يوصي المؤتمر أن يعنى في التدريس للناشئة وفي جميع وسائل الإعلام وفي الإذاعتين المسموعة والمرئية ومسلسلات التلفزيون باستخدام الفصحى ومراعاة قواعدها وصياغاتها مراعاة دقيقة وينبغي إعداد المذيعين والمذيعات لغوياً بواسطة دورات تدريبية لهم تعرفهم - في دقة النطق العربي الفصيح، مع تصحيح ما يتردد في ألسنتهم من أخطاء لغوية .

١١ - يوصي المؤتمر بما دعا إليه في مؤتمرات سابقة - حفاظاً على الهوية العربية والقومية - من إصدار تشريعات تحظر كتابة اللافتات على المحال التجارية والشركات والفنادق بغير العربية كما تحظر كتابة الأسماء الأجنبية - عليها جميعاً - بحروف عربية .

١٢- يدعو المؤتمر رجال الدولة وجميع المسؤولين في الوطن العربي أن تكون خطبهم وبياناتهم الموجهة إلى الجماهير بلغة عربية سليمة، لما لذلك من تأثير عميق في نفوس الجماهير وتمثلها القويم للبيان العربي .

١٣- تبلغ هذه التوصيات للمؤتمر إلى المجامع اللغوية والعلمية والجامعات والصحف العربية وإلى وزارات التعليم والإعلام والثقافة في الوطن العربي .

وبعد هذا أعلن الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المؤتمر، ختام الدورة السادسة والخمسين، شاكراً للمؤتمرين جهودهم، متمنياً للمسافرين منهم السلامة، آملاً اللقاء بهم جميعاً في الدورة القادمة بمشيئة الله .

صورة حيا في الشعر الجاهلي

د. أنور أبو سويلم
جامعة مؤتة

رَبَطَ بَعْضُ الْمُؤرِّخِينَ الْعَرَبِ الْقَدَمَاءِ الْأَحْدَاثَ السِّيَاسِيَّةَ وَالْاجْتِمَاعِيَّةَ بِمِشَاعِرِ الْإِنْسَانِ وَأَفْكَارِهِ وَطُمُوحَاتِهِ، فَزَدُّوا الْأَشْعَارَ وَالْحُطْبَ وَالْأَمْثَالَ الَّتِي قِيلَتْ فِي الْمُنَاسِبَاتِ وَالْأَحْدَاثِ السِّتَارِيخِيَّةِ، وَتَنَبَّهُوا إِلَى أَهْمِيَّةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَنْفَعِلُ بِالْحَدَثِ وَيَحْسُهُ وَيَتَأَثَّرُ بِهِ؛ فَسَجَّلُوا كَثِيرًا مِنْ حِكْمِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَمِشَاعِرِهِمْ شِعْرًا وَنَثْرًا، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤرِّخِينَ اتَّخَذُوا مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْأَمْثَالَ وَالْقَصَصِ وَثَائِقَ يُمْكِنُ بِنِهَايَةِ أَنْ يُقْنَعُوا الْقَارِئَ بِصِحَّةِ الْخَبَرِ، لِأَنَّ الشَّعْرَ اتَّخَذَ دَلِيلًا عَلَى الْخَبَرِ وَشَاهِدًا عَلَيْهِ يُسَاقُ مَعَهُ لِيُؤَكِّدَهُ. وَمِنْ هَذِهِ الزَّوَايَةِ كَثُرَ النَّحْلُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْقَدَمَاءِ، وَحَمَلَتْ رُؤَاةَ الْأَخْبَارِ غُنَاءً كَثِيرًا مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي يَزِيدُ الْخَبَرَ ضَعْفًا أَكْثَرَ مِمَّا يَزِيدُهُ صَدَقًا وَإِشْرَاقًا وَإِحْسَاسًا، وَغَابَ دَوْرُ الْإِنْسَانِ فِي صِنَاعَةِ التَّارِيخِ. وَهَذِهِ أَوَّلُ عَقَبَةٍ تَوَاجَهَ مَنْ يَبْحَثُ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الشَّعْرِ وَالْمُوروثِ الثَّقَافِيِّ الْقَدِيمِ؛ لِأَنَّ الشَّعْرَ أحيانًا فِي كِتَابِ التَّارِيخِ تَرْجُمَةٌ حَرْفِيَّةٌ مُصْطَنَعَةٌ لِلرُّوَايَةِ التَّارِيخِيَّةِ.

والعقبه الثانية: أن الموروث الثقافي عند العرب مزيج من التاريخ والمعتقدات الدينية والخرافية والقصص، والأمثال والأساطير، والخرافات، والملاحم الشعبية، ومن خلال ذلك يبرز الشعر خافتاً باهتاً مُجْتَرَأً. وكثير من الأحداث والأساطير والقصص لم يُدَوَّنْ إِلَّا فِي فِتْرَةٍ مُتَأَخَّرَةٍ، وَلَقِيَ مِنَ الْمُؤرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ الْإِهْمَالَ وَالنَّقْدَ، وَكَانَتْ الْأَحْدَاثُ - غَالِبًا - تَخْضَعُ لِمَنْطِقِ الْمُفَسِّرِينَ وَقِيَمِهِمْ خِدْمَةً لِكِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ، مُهْتَمِّينَ بِالْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ مِنْ مُجَمَّلِ الْأَحْدَاثِ. وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُؤَكِّدَ أَنَّ الصُّورَةَ الْقَدِيمَةَ لِلْقَصَصِ التَّارِيخِيِّ هِيَ نَفْسُهَا الصُّورَةَ الَّتِي رَوَاهَا الْمُؤرِّخُونَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْقَرْنِ

الثاني الهجري والقرون التالية؛ فقد أسقط منها ما يتناقى وقيم الدين الإسلامي الحنيف وما يتعارض ومبادئه، وبقي من تراث الإنسان الجاهلي قليل من الأساطير والخرافات تكشف عن إنسان مشوه لا ثقافة لديه ولا حضارة، فوسم بالجهالة، ووسم بالانحطاط، ونعت بالأمية.

وجاء القرآن الكريم يتحدث إلى القوم عن عادٍ وثمود والأمم الماضية، وما ألفوا من ثقافات وما وعوا من حضارات، ولم تكن طرفة أخبار الأمم القديمة مقصودة لذاتها، ولم يأت القرآن الكريم ليضيف معلومات جديدة إلى تاريخ العرب، وإنما كان الهدف العظة والعبرة والتدبر، ولو جاءهم بأخبار لم يسمعوها ولم يعرفوها لأنصرفت عنايتهم إلى دحضها ومناقشتها وإنكارها، ولم نسمع أن وثنيي العرب ناقشوا الرسول - ﷺ - في مدى صحة الأخبار القرآنية؛ لأنهم يعرفونها بصورة مطابقة أو قريبة من التصوير القرآني لها، ولديهم - في مواضع معينة - معلومات أكثر تفصيلاً مما جاء في الذكر الحكيم.

ولا شك أن موروثاتهم عن الأمم القديمة لم تكن تأريخاً محضاً، وكانت أشعارهم عندما يتحدثون عن الأمم السالفة يختلط فيها التاريخ بالخيال والمعتقدات الخرافية والأساطير والرؤى الشعرية. وهذه مهمة الشاعر الحقيقية كما يرى أرسطو(١): «صانع حكايات وخرافات أكثر منه صانع أشعار». . . والشاعر الجاهلي كان يرتد كثيراً إلى الموروثات الثقافية والحضارية فيعيد صياغتها، ويعبر من خلالها عن رؤاه وتصوراته للحياة والكون والوجود.

ونحن نؤمن بأن الشاعر الجاهلي كان يعد من صفوة المجتمع، وأنه كان - أحياناً - حكيم القبيلة ومثقفها، وكاهنها، وأنفذاً إحساساً، وأقدرها

(١) أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣م، ص ٢١.

على نقل مشاعره وتجاربه وثقافته ومعلوماته وتحويل المادة التراثية إلى مادة أدبية؛ لذلك كان البَحْثُ عن صورة عاد في الشعر الجاهلي مُقَدِّمَةً صالحةً لبحثٍ أَشْمَلَ وأوسع في علاقة الشعر الجاهلي بالموروثات الثقافية، وله أهمية خاصة؛ لأنه يكشف عن المُكوِّنات الثقافية للأمة العربية من ناحية، ومن ناحية أخرى يكشف عن ثقافة الإنسان الجاهلي وطرائق تفكيره عندما يَرْتَدُّ إلى الحضارة التي مرَّت بها الأمم القديمة، ويدفع من جانب آخر شكوك بعض المستشرقين والباحثين في حقيقة وجود (عاد) التي عَدَّها بعضهم في زُمْرة الأَقْوام الخُرَافِيَّة التي اِبْتَدَعَتْهَا مخيلة الرواة.

اضطَلَحَ المُوَرِّخون على تسمية «عاد وثمود وطسم وجديس» العرب البائدة، ولعلَّ هذه التسمية جاءت من الآية الكريمة (٢). ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ وكانت (عاد الأولى) في زعمهم من أعظم الأمم بَطْشًا وقوة، وهم المُشار إليهم في الذكر الحكيم. أمَّا عاد الأخيرة فهم بنو تميم وينزلون برمال عالج (٣).

وكان أمرُ عادٍ عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كَشُهْرَةِ إبراهيم وقومه كما يقول الطَّبْرِي (٤). لذلك بقوا في ذاكرة أهل الأَخْبَار؛ لأنَّهم - كما يقول جواد علي (٥) - عاشوا بعد ميلاد السيِّد المسيح، ونبههم هود عليه السَّلَام.

وسكنت عاد الأولى في الأحقاف بين حضرموت واليمن، وقيل: في

(٢) سورة النجم، الآية ٥٠ - ٥١.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب، الدار المصرية للتأليف (د. ت) مادة (علاج).

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الطبري، المطبعة الحسينية ١٣٢٦هـ، ج ١ ص ٢٢٢.

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م، ج ١، ص ٣٠٠.

موضع بئر (إرم) في منطقة حسمى بين أيلة وسيناء(٦)، وزعم المؤرخون أنَّ (إرم) المذكورة في القرآن الكريم(٧): ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ مدينة من عهد عاد بين عَدَن وحضرموت، وقيل: هي دمشق أو الإسكندرية(٨). ويُفهم من القرآن الكريم أنَّ مساكن (عاد) بالأحقاف، قال تعالى(٩): ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ والأحقاف: الرَّمْلُ بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشَّحْر، وقيل: رمال بأعيانها في أسفل حضرموت(١٠). وينسبون إلى عاد ولداً اسمه «شَدَاد» نَسَجُوا حوله قَصَصاً خيالية(١١).

وإذا عُدْنَا إلى الشَّعر الجاهلي لتَنَلَّمَس موروثات العرب الثقافية عن قوم عاد فسنعدها متشعبة كثيرة، تبرز فيها الحقيقة بالأسطورة، والواقع بالخيال، وللشعراء رموزٌ ورؤى شعرية فيما يُروى عن الأقدمين تصدر عن صورٍ موحدة، وأنماطٍ من التَّفكير مُتشابهة.

(١)

تَحْيَل الجاهليون عاداً أمةً قديمة جداً، بل هي أقدم الأمم، فقالوا في أمثالهم(١٢): «أَقْدَمُ من عاد» ودخلت «عاد» في الحسِّ اللُّغوي العربي لتُمَثِّل القَدَمَ وبعْدَ العَهْدِ، وتَطَاوُلَ الأَمَدِ، فيقولون: «عَادِيٌّ» و«إِرْمِيٌّ» عندما

(٦) ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م، ج ١ ص ١٩٦.

(٧) سورة الفجر، الآية ٦-٧.

(٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ج ١ ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٩) سورة الأحقاف، آية ٢١.

(١٠) ابن منظور، اللسان، مادة (حقف).

(١١) قصة شداد بن عاد، لمؤلف مجهول، مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٤٩٣٢/٩ مجاميع.

(١٢) القالي، كتاب أفعال من كذا، حققه: محمد بن عاشور، تونس، ١٩٧٠م ص ٧٤.

يَنْسَبُونَ شَيْئاً إِلَى الْقِدَمِ، كَالْأَشْجَارِ الضَّخْمَةِ، وَالْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ، وَالْأَبَارِ
العظيمة، قال الشاعر: (١٣)

وَكَمْ نَادَيْتُهُ فِي قَعْرِ سَاجٍ بِعَادِيٍّ الْبِئَارِ فَمَا أَجَابَا
وقال آخر: (١٤):

دَعَوْنَاهُ مِنْ عَادِيَّةٍ نَضَبَ مَأْوَاهَا وَهَدَمَ جَالِيَهَا اخْتِلَافُ عُضُورِ
وجعل عمرو بن معد يكرب «السَّاعِدَ» عادياً طويلاً مفاصل الأصابع،
قال (١٥):

لَهُ هَامَةٌ مَا تَأْكُلُ الْبَيْضُ أُمَّهَا وَأَشْبَاحُ عَادِيٍّ طَوِيلِ الرُّوَابِجِ
والبَيْتُ الْعَادِيُّ: الْقَدِيمُ الَّذِي لَا يُعْرَفُ بَانِيهِ، وَكَأَنَّهُ مِنْ مُخْلَفَاتِ قَوْمِ
عَادٍ، وَالْعَرَبُ يَرْمُزُونَ بِالْبُيُوتِ إِلَى الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَأَثَرِ وَالرَّفْعَةِ وَالشَّرَفِ،
قال أبو البرج، القاسم بن حنبل: (١٦)

فَأَمَّا بَيْتُكُمْ إِنْ عُدَّ بَيْتٌ فَطَالَ السَّمْكُ وَاتَّسَعَ الْفِنَاءُ
وَأَمَّا أَسُّهُ فَعَلَى قَدِيمٍ مِنْ الْعَادِيِّ إِنْ ذُكِرَ الْبِنَاءُ
وقال عامر المحاربي (١٧):

(١٣) الألويسي، محمود شكري (ت ١٣٤٢ هـ)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، حققه:
محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) ج ٣ ص ٣.

(١٤) المصدر السابق، ج ٣ ص ٤.

(١٥) عمرو بن معد يكرب الزبيدي، الديوان، تحقيق: مطاع الطرايبشي، طبعة مجمع اللغة
العربية، دمشق ١٩٧٤ م، ص ٥١، وانظر قول كثير وبه قلب عادية وكُرُور» لسان العرب،
مادة (عود).

(١٦) المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ): شرح ديوان الحماسة، حققه: أحمد
أمين وعبد السلام هارون، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣ م، ج ٤،
ص ١٦٥٩.

(١٧) المفضل الضبي (١٧٨ هـ): المفضليات، حققه أحمد شاكر، دار المعارف ١٩٧٩ م ص
٣٢٠.

وَنُرْسِي إِلَى جُرْثُومَةٍ أُدْرِكْتُ لَنَا حَدِيثًا وَعَادِيًّا مِنَ الْمَجْدِ خِضْرًا

وبذلك فَسَّرُوا قول الحارث بن حِلْزَةَ اليشكري (١٨):

إِرْمِي بِمِثْلِهِ جَالَتْ الْجِزْنُ فَأَبَتْ لِحَضْمِهَا الْأَجْلَاءُ

نسبة إلى إرم عاد، أي: مُلْكُهُ قديمٌ كان على عهد عاد إرم، وقال بعضهم: كأنَّ هذا الممدوح من إرم عاد في الجلم، كما قال الأغلب العجلي (١٩):

جَاءُوا بِشَيْخِيهِمْ وَجِئْنَا بِالْأَصْمِ شَيْخٌ لَنَا كَانَ عَلَى عَهْدِ إِرَمِ

وقال آخرون: ذهب إلى أن جسمه وقوته يُشْبِهَانِ أجسام عادٍ وشِدَّتْهُمُ (٢٠).

وَيَدْعُونَ أَنَّ سُوفَهُمْ وَدُرُوعَهُمْ وَتُرُوسَهُمْ قَدِيمَةٌ عَادِيَّةٌ، كناية عن مَجْدِهِمُ الْمُؤْتَلِّ، وبأسهم القديم، وأنهم وَرِثُوا الْعِزَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالتَّضْحِيَةَ عن أجدادهم القدماء، قال راشد بن شهاب اليشكري (٢١):

لِعَادِيَّةٍ مِنَ الرَّمَّاحِ اسْتَعْرَتْهَا وَكَانَ بِكُمْ فَقْرٌ إِلَى الْغَدْرِ أَوْ عَدَمِ

وهذا المعنى مكرر في أشعارهم (٢٢):

(١٨) الأنباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨ هـ): شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م، ص ٤٩٢.

(١٩) المصدر السابق، وحماسة ابن الشجري ص ٣٧. وهذا الرجز ينسب إلى عباس الأصم الرُّعْلِي فارس بني سليم في الجاهلية. انظر: ديوان الخنساء بشرح نعلب، حققه: أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن ١٩٨٨م ص ٣٧٧.

(٢٠) المصدر السابق ص ٤٩٣.

(٢١) المفضل بن محمد الضبي (ت ١٧٨ هـ): المفضليات، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر ١٩٧٩م ص ٣٠٩.

(٢٢) انظر: ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي، تحقيق: مطاع الطرابيشي، طبعة دمشق ١٩٧٤م، ص ٩٣.

قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

وسيفي كان من عهد ابن ضدَّ تَخَيَّرَهُ الْفَتَى مِنْ قَوْمِ عَادٍ
وقال الحصين بن الحُمَامِ :

مُضَعَّفَةَ السَّرْدِ عَسَادِيَّةً وَعَضْبُ الْمَضَارِبِ مِفْصَالَهَا
وقال زهير بن أبي سلمى :

وآخرين تَرَى الْمَسَادِيَّ عُدَّتُهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مَا قَدْ أَوْرَثَتْ إِزْمُ
وكان للحجارة العاديَّة القديمة أهمية بالغة، فقد عبَّد العربُ الأنصابَ
العاديَّة وأقسَموا بها،

قال المهلهل بن ربيعة(٢٣) :

كَلًّا وَأَنْصَابٍ لَنَا عَادِيَّةٍ مَعْبُودَةٍ قَدْ قُطِعَتْ تَقْطِيعًا
ووصف زهير بن أبي سلمى طريقاً قديماً فقال(٢٤) :

وَأَبْيَضَ عَادِيٌّ تَلُوخٌ مُتُونُهُ عَلَى الْبِيدِ كَالسَّيْحِ الْيَمَانِيِّ الْمُبْلَجِ
ووصف امرؤ القيس إبل رجل بـ «إرَمِيَّات»(٢٥) :

رَبُّهَا أَوْضَعُ جَرْمٍ وَاحِدًا فِي لِقَاحِ إِرَمِيَّاتٍ رُقْدٍ(٢٦)

== شعراء النصرانية قبل الإسلام، جمع: لويس شيخو، دار المشرق، بيروت

١٩٦٧م، ص ٧٣٤ وديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار

الآفاق، بيروت ١٩٨٢، ص ١٢٣. الماذني: الدروع اللينة.

(٢٣) شعراء النصرانية قبل الإسلام، ص ١٧٢.

(٢٤) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ٢٣٧.

(٢٥) امرؤ القيس بن حجر (ت ٥٤٠م): الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار

المعارف بمصر ١٩٦٤م، ص ٢١٥.

(٢٦) أَوْضَعُ جَرْمٍ: أَبْخَلَ مَنْ فِي الْحَيِّ، اللَّقَاحُ: النوق التي أتى عليها من حملها شهران أو

ثلاثة، الرُقُود: التي تملأ من ألبانها الأرفاد، وهي الأقداح.

وقالوا: الإبل العَيْدِيَّة نَجَائِبٌ معروفةٌ مَنْسوبةٌ إلى عاد،

قال رذاذ الكلبي (٢٧):

ظَلَّتْ تَجُوبُ بِهَا الْبِلْدَانَ نَاجِيَةً عَيْدِيَّةٌ أُرْهِنَتْ فِيهَا الدَّنَائِيرُ
وَإِذَا وَصَفُوا شَيْئًا بِالْخَلَاءِ وَالْقَفَارِ قَالُوا: «مَا بِهِ مِنْ إِرْمٍ وَأِرْمٍ».

قال المرقش الأكبر (٢٨):

أَمَسَتْ خَلَاءٌ بَعْدَ سُكَايْنِهَا مُقْفِرَةٌ مَا إِنْ بِهَا مِنْ إِرْمٍ.

وقال زهير بن أبي سلمى (٢٩):

دَارَ لِأَسْمَاءَ بِالْغَمْرَيْنِ مَائِلَةٌ كَالْوَحْيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أِرْمٌ
قال ابن سيده: (٣٠) الإِرمُ والأِرمُ: الحِجَارَةُ، والأِرامُ: الأَعْلَامُ،
وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهَا أَعْلَامَ (عَاد)

وقال اللحياني: أَرَمِيٌّ وَإِرْمِيٌّ، والأُرُومُ: الأَعْلَامُ، وقيل: هي قُبُورُ
عَادٍ. وَعَمَّ بِهِ أَبُو عبيدة، فقال: هي الأَعْلَامُ.

ومن إِرْمٍ اشْتَقُوا «الأُرُومَةَ» وهي أَصْلُ الشَّجَرَةِ، الراسخ القديم
المُؤَثَّلُ، وتَعْنِي الشَّرْفَ القَدِيمَ، والمآثر والحَسَبُ، قال أبو جندب
الهُدَلِي (٣١):

أَوْلَيْتُكَ نَاصِرِيٌّ وَهُمْ أُرُومِيٌّ وَبَعْضُ القَوْمِ لَيْسَ بِسَنِيِ أُرُومٍ.

(٢٧) ابن منظور: اللسان، مادة (عود).

(٢٨) المفضل الضبي، المفضليات ص ٢٢٩.

(٢٩) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ١١٦.

(٣٠) ابن منظور: اللسان، مادة (أرم).

(٣١) المصدر السابق، مادة (أرم).

وقال الأعشى (٣٢):

ما فَوْقَ بَيْتِكَ مِنْ بَيْتٍ عَلِمْتُ بِهِ وفي أُرُومَتِهِ ما مَنَّبَتُ العُودِ

وقال زهير (٣٣):

لَهُ في الذَّاهِبِينَ أُرُومٌ صِدْقٍ وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أُرُومٌ

ويتردد في الشعر الجاهلي ادِّعَاؤُهُم ملكية الجبال والجمى، وموارد المياه من عهد عاد، قال أبو دؤاد الإيادي (٣٤):

أَلَا أَبْلُغُ خُرَاعَةَ أَهْلِ مَرٍّ وإِخْوَتَهُمْ كِنَانَةَ عَنِ إِيَادِ
تَرَكْنَا دَارَهُمْ لَمَّا شَرُونَا وَكُنَّا أَهْلَهَا مِنْ عَهْدِ عَادِ

وقال رجل من طىء (٣٥):

وبِالْجَبَلَيْنِ لَنَا مَعْقِلَانِ صَعَدْنَا إِلَيْهِ بِسُمْرِ الصَّعَادِ
مَلَكْنَاهُ فِي أَوْلِيَّاتِ أَرْمَاءِ نِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَمِنْ قَبْلِ عَادِ

وقال قبيصة بن جابر: (٣٦)

وتَيَّمَاءُ الَّتِي مِنْ عَهْدِ عَادِ حَمَيْسَاهَا بِأَطْرَافِ العَوَالِي

(٣٢) الأعشى الكبير، ميمون بن قيس (ت ٦٢٤هـ): الديوان، حققه: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م ص ٣٢١.

(٣٣) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص ١٥٤، وانظر ديوانه أيضاً ص ٢٣٢، ٢٨٢.

(٣٤) المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ): التبيين والإشراف، طبعة الصاوي، مصر، ص ١٧٥.

(٣٥) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ): الإكليل، تحقيق: محمد بن علي الأكواع، بغداد، ١٩٨٠م، ج ١ ص ٩٠.

(٣٦) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم، بيروت (د) ت ج ١ ص ٢٩٥.

وقال بشامة بن حزن: (٣٧)

من عهد عادٍ كان معروفاً لنا أسرُ الملوك وقتلها وقتالها
ورأى بعضُ المستشرقين أن كلمة (عاد) لم تكن أسم علم في
الأصل، بل كان يُراد بها القدم، وأن (من عهد عاد) و(عادي) يعني منذ عهد
قديم جداً، وأن المعنى هو الذي حمل الناس على وضع تلك الأساطير عن
أيام عاد، وهي أقوام خرافية لا أساس لوجودها(٣٨).

وما أوردناه من أشعار جاهلية يدحض هذا الاستنتاج وسيأتي في
مواضع من هذا البحث ما يدل على معرفة العرب بأخبار عاد وقصصهم
وأحوال معيشتهم وصفاتهم.

(٢)

جاء ذكر عاد في القرآن الكريم متصلاً بثمود في أربعة وعشرين
موضعاً، وأن ثمود خلفتهم في مساكنهم الرفهة وبنائهم الشامخ، وقصورهم
المنحوتة في الجبال، وما تمتعوا به من رعد العيش في جنات وعيون،

(٣٧) أبو تمام، ديوان الحماسة ج ١ ص ١٥٠.

وانظر قول الطرماح من شعراء العصر الأموي:

لنا الجبلان من أزمان عادٍ ومجتمع الألاء والعصاه
وقول آخر:

نمئذ عليه من يمين وأشمل بحور له من عهد عادٍ وتبعاه

لسان العرب، مادة (عود)

وقبيلة سويد بن أبي كاهل الشكري غلبت قوم عاد ومن جاء بعدهم: قال:

غلبت عاداً ومن بعدهم وأبت بعد فليس تُتضع

انظر: شعراء النصرانية، ص ٤٣٢.

(٣٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ص ٣٠٨.

وزرور ونخل فرهين، وما كان من جُحودهم لآيات ربِّهم وكفرهم بنبي الله
(هود)، وأن الله عذبهم بريحٍ صرصرٍ عاتية (٣٩).

وفي القرآن الكريم ثلاث سور تتصل بـ (عاد): (هُود) و (لُقْمَان) و
(الأحقاف). وفي ذاكرة الإخباريين أساطير ومبالغات لا يقبلها العقل فيما
يتصل بثراء عاد وما أوتوا من نعيم، روي أن شداد بن عاد كان قوياً جباراً
سَمِعَ بوصف الجنة فأراد بناء مدينة تفوقها حسناً وجمالاً، فجمع ما في
الأرض من ذهب وفضة ودرّ وياقوت، فابتنى مدينة (إرم) باليمن لكنه لم
يتمتع بها لكفره بنبوة هود، إذ أهلكه الله وسحقه (٤٠).

ويبدو أن حكاية شداد بن عاد قد نسجت من أخيلة القصاص
والمفسرين المسلمين في القرن الثاني الهجري معتمدين على ما جاء في
القرآن الكريم وأخبار الجاهليين عن ثراء عاد وبطشهم وشموخ بنيانهم.

وفي الشعر الجاهلي إشارات قليلة إلى «أصناع» عاد وهي حُصون
وقصور منحوتة في الجبال، لكن هذه الأصناع لم تدفع عنهم المنية ولم تقهم
غوائل الدهر والمصير المحتوم.

وعندما يعرضون لحتمية الموت وتفاهة ما يختصمون عليه، ويطش
الدهر يتعزّون بمصائر من قبلهم من الأمم القديمة ذات البأس والشدة،
وبمصير عاد «ذوي النعم» و «أصحاب الأصناع» و «أصحاب الملك» لكن
المال والملك والقوة لا تدوم، ولا تدفع المنية عن البشر. قال عمرو بن

(٣٩) انظر القرآن الكريم: سورة الأعراف، آية ٦٥، ٧٤، التوبة آية ٧٠، هود آية ٥٠، ٥٩،
٦٠، إبراهيم آية ٩، الحج، آية ٤٢، الشعراء، آية ١٢٣، ص آية ١٢، غافر آية ٣١،
فصلت، آية ١٣، ١٥، الأحقاف، آية ٢١، ق آية ١٣، الذاريات آية ٤١، القمر آية ١٨،
الحاقة آية ٤-٦، الفجر آية ٦، الفرقان، آية ٣٨، العنكبوت، آية ٣٨، النجم، آية ٥٠.

(٤٠) انظر قصة شداد بن عاد، مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٤٩٣٢/٩ مجامع.

قميئة: (٤١)

قد كَانَ من عَسَانَ قَبْلَكَ أُمُّ
فتَوَجُّوا مُلْكَاً لَهُم هِمَمٌ
لا تَحْسِبَنَّ الدَّهْرَ مُخْلِداً كُمْ
لو دَامَ دَامَ لَتُبْعَ وَذَوِي آلِ
لَاكَ ومن نَصَرَ ذُوو نَعَمٍ
فَفَنُّوا فَنَاءً أَوَائِلِ الأُمَمِ
أو دَائِماً لَكُمْ ولم يَدُمِ
أَصْنَاعِ من عَادٍ ومن إِرَمِ

وضرب عمرو بن معد يكرب الزبيدي المثل بملوك اليمن وعاد وما كانوا عليه من نعيم ومُلْك وجبروت؛ لكنهم بادوا وتحول ملكهم إلى مَنْ جاء بعدهم. قال لقيس بن المكشوح عندما تهَدَّده: (٤٢)

أَتُوْعِدُنِي كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنِ
وكَائِنِ كَانَ قَبْلَكَ من نَعِيمِ
قَدِيمِ عَهْدُهُ من عَهْدِ عَادِ
فَأَمْسَى أَهْلُهُ بَادُوا وَأَمْسَى
بِأَفْضَلِ عَيْشَةٍ أو ذُو نُوَّاسِ (٤٣)
وَمُلْكَ ثَابِتِ فِي النَّاسِ رَاسِي
عَظِيمِ قَاهِرِ الجَبَرُوتِ قَنَاسِي
يُحَوَّلُ من أَنَاسِ فِي أَنَاسِ

ويرى سليمان بن ربيعة الثعلبي أن الحياة لا لذة فيها ولا نعيم، ما دام الدهر يتحكم في أعمار البشر، وما دامت أمم عظيمة لم تُخَلد وزال عنها ملكها ونعيمها، قال: (٤٤)

مَا لَذَّةُ العَيْشِ وَالْفَتَى للدَّهْرِ (م) والدَّهْرُ ذُو فُنُونِ

(٤١) عمرو بن قميئة، الديوان، حققه: حسن كامل الصيرفي، طبعة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٦٥، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٤٢) عمرو بن معد يكرب الزبيدي، شعره، حققه: مطاع الطرابيشي، دمشق ١٩٧٤م ص ١١٧ - ١١٨.

(٤٣) ذُو رُعَيْنِ: أحد ملوك اليمن، ورُعَيْنِ حِصْنُهُ، ذُو نُوَّاسِ: صاحب الأخدود.

(٤٤) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٨م ج ١ ص ١٩٥.

أَهْلَكَ طَسْمًا وَقَبْلَ طَسْمٍ أَهْلَكَ عَادًا وَذَا جُدُونِ
 وَأَهْلَ جَاشٍ وَمَأْرِبَ بَعْدَ (م) حَيِّ لُقْمَانَ وَالتَّفُونِ (٤٥)،
 وَالْيُسْرَ لِلْعُسْرِ وَالتَّغْنِي لِلْفَقْرِ وَالْحَيِّ لِلْمُنُونِ

(٣)

وقد أشار القرآن الكريم إلى هلاك عاد بالريح ، قال تعالى : (٤٦) ﴿وَأَمَّا
 عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ أما الشعراء الجاهليون فنسبوا هلاك عاد
 إلى «الزمن» و«الحادثات» و«ربب الدهر» و«العول» :

قال الأعشى : (٤٧)

أَلَمْ تَرَوْا إِرْمًا وَعَادًا أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
 بَادُوا فَلَمَّا أَنْ تَادُوا قَفَى عَلَى إِثْرِهِمْ قُدَارُ

وقال زهير : (٤٨)

أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَاقِيَا وَلَا خَالِدًا إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ تَبَعًا وَأَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وَعَادِيَا

وقال عدي بن غطيف الكلبي : (٤٩)

أَهْلَكَنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَعَا وَالْدَّهْرُ يَعْدُو عَلَى الْفَتَى جَذَعَا
 كَمَا سَطَا بِالْأَرَامِ عَادٌ وَبِالِ حَجْرٍ فَأَرْكِي لِتَبَعٍ تَبَعَا

(٤٥) التفون : بنو تقي بن عاد، اللسان ، مادة (تقن) .

(٤٦) الحاققة ، آية ٦ .

(٤٧) الأعشى ، الديوان ص ٣٣١ .

(٤٨) زهير بن أبي سلمى ، الديوان ص ٢٠٩ .

(٤٩) الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ج ٧ ص ٢٥٦ .

وقال رجل من عبس: (٥٠)

ليس أمرؤ خالداً والموت يطلبه هاتيك أجساد عادٍ أصبحت جيفاً

وقال أبو وجرة السعدي: (٥١)

صيّت عليكم حاصبي فتركتكم كأصرام عادٍ حين جللها الرمّد

وقال رشيد بن رميض العنبري (٥٢):

«مَنْ يَلْقَنِي يُودِ كَمَا أُودِتْ إِرْمٌ».

وقال متمم بن نويرة: (٥٣)

ولقد علمت ولا محالة أنني أفنين عاداً ثم آل محرق
للمحادثات فهل تريني أجزع ذهبوا فلم أدركهم ودعتهم
فتركتهم بلداً وما قد جمعوا غول أتوها والطريق المهيع

(٥٠) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٨٨.

(٥١) ابن منظور، اللسان، مادة (رمد).

(٥٢) أبو تمام: ديوان الحماسة بشرح التبريزي، دار القلم، بيروت (د. ت) ج ١ ص ١٣٣.

وهذا البيت منسوب إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي،

انظر: ديوانه، ص ١٧٢.

وانظر أيضاً قول الأفوه الأودي:

فينا معاشر لم يبئنا لقومهم وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا
كانوا كمثل لقيم في عشيرته إذ أهلكت بالذي قد سدّى لها عاد
أو بعده كقذار حين تابعه على الغواية أقوام فقد بادوا

عبد العزيز الميمني: الطرائف الأدبية، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت) ص ٩.

وهذا المعنى مكرر في الشعر الجاهلي، كقول الفند الزماني:

«لقيت تغلب كعصبة من عاد» وقول الأسود بن يعفر:

«وأسيابه أهلكن عاداً وأنزلت...» انظر: شعراء النصرانية ص ٢٤٣، ٤٨٤.

(٥٣) المفضل الضبي، المفضليات ص ٥٣.

واستغل خدّاش بن زهير عمليّة إبادة عادٍ في تصوير إبادة مُرّة والقبائل
المُعادية، واستنقَطَب في هذا التصوير دلالات الألفاظ بنحوٍ يحدّد تماماً رؤيته
الشعرية لهذا الحدّث التاريخي الهائل، قال: (٥٤)

عَدَدْتُمْ عَظْفَتَيْنِ وَلَمْ تَعُدُّوا وَقَائِحٌ قَدْ تَرَكْنَكُمْ حَصِيدًا
تَرَكْنَا عَامِرِيَهُمْ مِثْلَ عَادٍ وَمُرَّةٌ أَهْلِكُوا إِلَّا الشَّرِيدًا

ويحوّل عدّي بن زيد العبادي فكرة الفناء الذي أصاب الأمم القديمة
إلى الحانٍ جنائزيةٍ يُعزّي بها البشرية فيما يُشبه المرثاة الإنسانية لكل إنسان
يُغي الحياة والبقاء خلافاً لِسنة الحياة. قال: (٥٥)

أَيْنَ أَهْلِ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ثُمَّ عَادَ وَمَنْ بَعْدِهِمْ ثُمُودُ
أَيْنَ آبَائِنَا وَأَيْنَ بَنُوهُمْ أَيْنَ آبَائِهِمْ وَأَيْنَ الْجُدُودُ
سَلَكُوا مِنْهَجَ الْمَنَايَا فَبَادُوا وَأَرَانَا قَدْ كَانَ مِنَّا وَرُودُ

وقال عدي أيضاً: (٥٦)

أَبَا شَرِيحٍ فَلَا تَحْزُنْكَ عِشْرَتُنَا فَالْمُرَّةُ رَهْنٌ لَرَيْبِ الدَّهْرِ وَالْحُمَمِ
إِنَّ الْأَسَى قَبْلَنَا جَمٌّ وَنَعْلَمُهُ فيما أُدِيلُ مِنَ الْأَجْدَادِ وَالْأَمَمِ
مَنْهُمْ رَأَيْتُ عِيَانًا أَوْ تُخْبِرُهُ وما تُحَدِّثُ عَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ
وَدُونَ ذَلِكَ كَسَمِّ مَلِكٍ وَمَغْبِطَةٍ بَادُوا وَكَانُوا كَفِيِّ الظِّلِّ وَالْحُلْمِ

ولم يردّ في الشعر الجاهلي إبادة عادٍ بالريح إلا في قصيدة لعبيد بن

(٥٤) خدّاش بن زهير العامري، شعره، صنعة: يحيى الجبوري، طبعة مجمع اللغة العربية
بدمشق ١٩٨٦م ص ٤٥.

(٥٥) عدي بن زيد العبادي، الديوان، حققه: محمد جبار المعيد، دار الجمهورية، بغداد
١٩٦٥م، ص ١٢٢.

(٥٦) عدي بن زيد العبادي، الديوان ص ١٧٠.

الأبرص، قال فيها: (٥٧)

وَخَيْرَنِي ذُو الْبُؤْسِ فِي يَوْمِ بُؤْسِهِ خِصَالاً أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَوُ
كَمَا خَيْرْتُ عَادَ مِنْ الدَّهْرِ مَرَّةً سَحَائِبَ مَا فِيهَا لِذِي خَيْرَةٍ أَنْتُ
سَحَائِبَ رِيحٍ لَمْ تُوَكَّلْ بِبِلْدَةٍ فَتَشْرُكُهَا كَأَنَّهَا لَيْلَةُ الطَّلُقِ (٥٨)

ولا شك أن هذه الأبيات صدىً للموروث الشعبي في قصة هلاك عاد، إذ يروى في حكاية الاستسقاء أن الله أنشأ سحاب ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء، ونودي قيل عاد: اختر لنفسك ولقومك. فاختار السحابة السوداء لأنها أكثر مطراً، فلما رآوها قالوا: هذا عارض ممطرنا، فأخذتهم صاعقة العذاب ودمرتهم الريح الصرصر تدميراً. ولا أستبعد النحل في هذه الأبيات التي لم أجد لها نظيراً في الشعر الجاهلي.

وفسر علماء المسلمين الريح الصرصر العاتية المذكورة في الذكر الحكيم، فقال التبريزي (٥٩): من الرياح الدبور، وهي المذكورة في القرآن، وعنه رحمته، قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» وفي ذلك يقول أبو شجاع:

إِنَّ الرِّيَّاحَ السَّدَارِيَّاتِ أَرْبَعُ مِنْهَا النُّعَامَى وَالصَّبَا وَالزُّعْزُعُ
ثُمَّ الدَّبُورُ مَرُّهَا لَا يَنْفَعُ قَدْ أَهْلِكَتْ عَادَ بِهَا وَتُبَّعُ

(٤)

ومن (عاد) شهر لقمان الحكيم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم،

(٥٧) عبيد بن الأبرص، الديوان، حققه: حسين نصار، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٨٨.

(٥٨) الأنتق: الإعجاب والسرور، الطلق: سير الليل لورد الغب وهو أن يكون بين الإبل والماء ليلتان وبعده القرب.

(٥٩) التيفاشي، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، حققه: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠، ص ٣١٠.

وَسُمِّيَتْ سُورَةٌ بِاسْمِهِ، وَوَصَّفَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِالْحِكْمَةِ، وَلَهُ وَصَايَا فِي ابْنِهِ ذَائِعَةٌ مَشْهُورَةٌ (٦٠). وَضَرَبَ الْعَرَبُ بِحِكْمَتِهِ الْمَثْلَ (٦١). وَقَالُوا إِنَّهُ عُمَرُ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ وَسِتِّينَ، فَكَانَ عُمَرُ مَضْرُوبَ الْأَمْثَالِ (٦٢).

وَيَذْكُرُ أَهْلُ الْأَخْبَارِ (٦٣) أَنَّ عَادًا أَصَابَهُمْ قَحْطٌ تَتَابَعَ عَلَيْهِمْ، فَجَهَّزُوا وَقَدَّأُوا إِلَى مَكَّةَ يَسْتَسْقُونَ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ «لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ» وَآخَرُونَ، فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ نَزَلُوا بِظَاهِرِهَا عِنْدَ بَكْرِ بْنِ مَعَاوِيَةَ زَعِيمِ الْعَمَالِيقِ، وَأَقَامُوا عِنْدَهُ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَتُغْنِيهِمُ الْجِرَادَاتَانِ، وَنَسُوا مَا جَاءُوا مِنْ أَجْلِهِ. ثُمَّ خَرَجُوا يَسْتَسْقُونَ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ عَلَى قَوْمِهِمْ سَحَابًا فَاسْتَبَشَرُوا بِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ رِيحًا فِيهَا كَشْهُبُ النَّارِ سَخَرَهَا اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا، وَكَانَ تَخَلَّفَ مِنَ الْوَفْدِ «لُقْمَانَ بْنُ عَادٍ» الَّذِي لَادَ بِالْكَعْبَةِ وَتَضَرَّعَ وَسَأَلَ اللَّهَ الْخُلُودَ، فَنُودِيَ أَنْ قَدْ أُجِبتُ دَعْوَتَكَ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ، وَلَكِنْ اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ عُمَرَ سَبْعَ بَقَرَاتٍ عُفْرِ فِي جَبَلٍ وَعُغْرٍ، أَوْ عُمَرَ سَبْعَةَ أُنْثَرٍ، إِذَا مَاتَ نَسَرَ تَبِعَهُ آخِرٌ، فَاخْتَارَ النُّسُورَ، فَعَاشَ عُمَرُ طَوِيلًا، وَكَانَ آخِرُ النُّسُورِ اسْمُهُ «لُبْدٌ» مَاتَ بِمَوْتِهِ، فَضَرَبُوا بِهِ الْأَمْثَالَ (٦٤).

(٦٠) انظر: سورة لقمان، وتفسير الطبري ج ٢١ ص ٣٩.

(٦١) في المثل: «أحكَم من لقمان»: مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٢٢، وجمهرة الأمثال ج ١ ص ٤٠٥، والذرة الفاخرة ج ١ ص ١٦٢.

(٦٢) أبو حاتم السجستاني: المُعَمَّرُونَ وَالْوَصَايَا، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ص ٢.

(٦٣) القصة مختصرة بتصريف عن: الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٨ - ٤٩، والبدء والتاريخ ج ١ ص ٢٨ - ٣٠، وأخبار الزمان ص ١٠٤ ومروج الذهب ج ٢ ص ٩٢ وجمهرة أشعار العرب ج ١ ص ٢٦، والفاخر ص ٦٨ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٢٣، وعبون الأخبار ج ٤ ص ٥٩، ونهاية الأرب ج ١٣، ص ٦٠.

(٦٤) في المثل: «أتى أبْد على لُبْد» و«أعمر من لُبْد» الذرة الفاخرة ج ١ ص ٢٩٨، ومجمع الأمثال ج ٢ ص ٥١، وتمثال الأمثال ص ٢٣١، وجمهرة الأمثال ج ٢ ص ٧٥ والمستقصى في أمثال العرب ج ٢ ص ٢٥٤.

قال النابغة الذبياني (٦٥):

يا دار مية بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأبد
أمتت حلاء فأمسى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى علي لبد

فقد استغل النابغة هذه الحكاية في تصوير دمار الديار ومحولها
واندثارها، واستقطب في هذا التصوير حكاية لقمان ونسوره، وفعل الزمن
وتأثيره في الموجودات، واستطاع أن يحدد رؤاه الشعرية لفعل الدهر وسطوته
ويطشه معتمداً على الموروث الثقافي من حكاية لقمان ولبد.

وقال لييد بن ربيعة العامري (٦٦):

ولقد جرى لبد فأدرك جريه
رئب الزمان وكان غير مثقل
لما رأى لبد النور تابعت
رفع القوادم كالفقير الأعزل
من تحته لقمان يرجو نفعه
ولقد رأى لقمان أن لم ياتل (٦٧)

فالمرء يهرب من الموت لكن الموت يطارده، ويد المنون تناله أينما
اتجه، وقد أفاد الشاعر من هذه الأسطورة الشعبية ووظفها لخدمة المعنى
الذي يقصد إليه، فلبد الذي يمثل الإنسان يرى النور قبله يهوي الواحد يلو
الأخر، ولا يتعظ من غيره فيحاول الهرب من الموت المحتوم، وأين المفر
من ريب المنون الذي يطيح بكل حي. ولقمان ونسوره يقدمهم الشاعر
الجاهلي أنموذجاً لمصير البشرية: الفناء المحتوم، والموت المؤكد.

(٦٥) النابغة الذبياني، الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر
١٩٧٧م، ص ١٦.

(٦٦) لييد بن ربيعة العامري، الديوان، حققه: إحسان عباس، طبعة وزارة الإرشاد والأبناء،
الكويت ١٩٦٢م ص ٢٧٤.

(٦٧) القوادم: مقدم جناح النسر، الفقير: المكسور الفقار، الأعزل من الخيل: المائل الذنب،
لم ياتل: لم يقصر في استبقاء النور والحرص عليها، لكن القدر غلبه.

وهذه الصورة يكررها طرفة بن العبد، فيقول (٦٨) :

فَكَيْفَ يُرْجِي الْمَرْءُ دَهْرًا مُخَلِّدًا وَأَيَّامُهُ عَمَّا قَلِيلٍ تُحَاسِبُهُ
أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ تَتَابَعَتْ عَلَيْهِ النُّسُورُ ثُمَّ غَابَتْ كَوَاكِبُهُ

أما أوس بن حجر، فيرى في «لُبد» مثلاً للصدّاقة الكاذبة، والخيانة من الصديق، قال (٦٩) :

خَانَتْكَ مِنْهُ مَا عَلِمْتَ كَمَا خَانَ الْإِخَاءَ خَلِيلُهُ لُبْدُ

وَأَسْتَحَالَ نَسْرُ لُقْمَانَ لَدَى الشُّعْرَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ رِمَازًا لِلسَّلَامَةِ وَطُولِ الْعُمُرِ، وَعِنْدَمَا يَتَنَاوَلُونَ حِكَايَتَهُ فِي أَشْعَارِهِمْ يَسْتَنْدُونَ إِلَى قِيَمٍ بِلَاغِيَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِنَادِهِمْ إِلَى قِيَمٍ أُسْطُورِيَّةٍ، قَالَ سَهْلُ بْنُ أَبِي غَالِبٍ الْخَزْرَجِيُّ يَصِفُ طُولَ عَمْرِ مَعَاذِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ رَجَاءٍ (٧٠) :

إِنَّ مُعَاذَ بْنَ مُسْلِمٍ رَجُلٌ قَدْ ضَجَّ مِنْ طُولِ عُمُرِهِ الْأَبْدُ
قَدْ شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَانْتَهَلَ الدُّ (م) هَرُ وَأَثْوَابُ عُمُرِهِ جُدُّ
يَا نَسْرَ لُقْمَانَ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ تَسْحَبُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لُبْدُ

وميز بعض الإخباريين والمُفسِّرين بين لُقْمَانَ عَادٍ، ولُقْمَانَ الْحَكِيمِ الْمَذْكُورِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَزَعَمُوا أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ عَاشَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ دَاوُدَ، قَالَ الْجَاهِظُ (٧١) «وَمِنَ الْقَدَمَاءِ مِمَّنْ كَانَ يُدْكَرُ بِالْقَدْرِ وَالرِّيَاسَةِ، وَالْبَيَانِ

(٦٨) طرفة بن العبد، الديوان، حققه: لطفی الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥م، ص ١٤١.

(٦٩) أوس بن حجر، الديوان، حققه: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٦٧م ص ٢٢.

(٧٠) الجاهظ، الحيوان ج ٣ ص ٤٢٣ و ج ٦ ص ٣٢٧.

(٧١) الجاهظ، البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٤ و ٣٦٥، والبرصان والعرجان، حققه: محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٧م، ص ٢٠٢.

والخطابة، والحكمة والدهاء: لقمان بن عاد، ولقيم بن لقمان . . وكانت العرب تُعظّم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر، ولقيم بن لقمان في النبأة والقدر، وفي العِلْم والحِكم، وفي اللسان والحلم، وهذان غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقوله المُفسِّرون».

ويفهم من قول الجاحظ أن لقمان الحكيم هو نفسه لقمان عاد الموصوف بالعلْم والحكمة واللّسن والحلم والنبأة . وهذا ما أَرَجَّحُهُ، وإن كان المفسِّرون ينكرونه .

ويهمُّنا هنا أن حِكْمَةَ لقمان بقيت محفوظة في كتاب إلى مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ وفي حديث سُويد بن الصامت أنه مرَّ بالرسول ﷺ وهو يُحَدِّثُ أتباعه، فقال له: لعلَّ الذي مَعَكَ مثل الذي معي، فقال: وما الذي معك؟ قال سُويد: مجلة لُقْمَانَ (يريد كتاباً فيه حِكْمَةَ لقمان) فقال له الرسول: اعْرِضْهَا عَلَيَّ، فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ، فقال له: إنَّ هذا لكلام حَسَن، والذي معي أفضل، قرآن أنزله الله - تعالى - هو هُدًى ونور (٧٢).

وزعم وهب بن منبّه أنه قرأ من حِكْمَةِ لقمان نحواً من عشرة آلاف باب (٧٣). وقد جمع أحد العُلَمَاءِ حكمته وأمثاله وأخباره في كتاب سَمَّاهُ «أمثال لُقْمَانَ الحكيم» (٧٤) وقد أورد الجاحظ في البيان والتبيين نماذج من أمثاله وحكمه، قال

(٧٢) عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: عبد السلام هارون، البابي الحلبي، القاهرة ج ٢ ص ٦٨. والزمخشري: الفائق ج ١ ص ٢٠٦، واللسان، مادة (جلل).

(٧٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ): كتاب المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م ص ٢٥.

(٧٤) كتاب المجلة في الأمثال لأبي عبيد (ت ٢١١ هـ) ذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسه ص ٣٤١، ونشر جالان الفرنسي أمثال لقمان سنة ١٧٠٨ م ونشر أمثال لقمان الحكيم، جوزيف ديرنبورغ، لندن ١٨٥٠ م، وترجمها إلى الفرنسية دي برسفال ١٨١٨ م وشربونو ١٨٤٧ م ومارسيل سنة ١٧٩٩، ونشرها في هولندا المستشرق أربيانوس، ونشرها في ألمانيا سنة ١٨٤٣ المستشرق الألماني فرايتاج.

لابنه : أَيُّ بُنَيَّ ، إِنِّي نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ وَلَمْ أَنْدَمْ عَلَى الشُّكُوتِ (٧٥) .

وقال له : يَا بُنَيَّ . إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضُّجْرَ ، فَإِنَّكَ إِذَا كَسَيْتَ لَمْ تُؤَدَّ حَقًّا ، وَإِذَا ضَجِرْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَلَى حَقِّ (٧٦) .

وقال له : ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ : لَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا الشُّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ ، وَلَا تُعْرَفُ أَخَاكَ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ (٧٧) .

وفي الشعر الجاهلي إشارات قليلة إلى حِكْمَةِ لُقْمَانَ ، قال المسيب بن عَلس : (٧٨)

وَلَأَنْتَ أَتَيْنُ حِينَ تَنْسَطِقُ مِنْ لُقْمَانَ لِمَاعِي بِالْأَمْرِ
وقال لبيد بن ربيعة (٧٩) :

وَأُخْلَفَ قَسًّا : لَيْتَنِي وَلَوْ أَنِّي وَأَعْيَا عَلَى لُقْمَانَ حُكْمَ التَّدْبِيرِ
وقال أبو قيس بن الأسلت في مدح أبي أحيحة سعيد بن العاص (٨٠) :

وَكَانَ أَبُو أَحِيحَةَ قَدْ عَلِمْتُمْ بِمَكَّةَ غَيْرَ مُهْتَضَمٍ ذَمِيمٍ
إِذَا شَدَّ الْعَصَابَةَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَامَ إِلَى الْمَجَالِسِ وَالْحُصُومِ

(٧٥) الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ص ٢٦٩ .

(٧٦) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٤ .

(٧٧) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٦ وانظر أنموذجاً آخر في البيان والتبيين أيضاً ج ٢ ص

١٤٩ ، وروى المقرئ ، أبو عبدالله محمد بن أحمد في كتاب المختار من نوادر الأخبار ،

تحقيق : د . أنور أبو سويلم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦ م ، ص ١٢٥ - وصية مطولة

للقمان الحكيم . وانظر كذلك غرر الخصائص الواضحة للوطواط ، دار صعب ، بيروت ،

ص ٨٧ .

(٧٨) الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٩ ، وهو منسوب للأعشى ، الديوان ص ٣٥١ .

(٧٩) المصدر السابق ج ١ ص ١٨٩ . أي في تَمَنِّيهِ وقوله : لَيْتَنِي . . . وَلَوْ أَنِّي .

(٨٠) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٩٧ .

وكان البخترِيُّ غَدَاةَ جَمْعٍ يُدَافِعُهُمْ بَلْقَمَانَ الْحَكِيمِ

ويروون أَنَّ زَبَانَ بن سِيَّارِ الْفَزَارِيِّ رحل مع النابغة الذبياني
يريدُ الغَزْو، فنظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة، فتطيرُ ورجع، ومضى زَبَانُ
وعاد بالغنائم، فقال زَبَانُ في ذلك (٨١):

تُخْبِرُ طَيْرَهُ فِيهَا زِيَادٌ لَتُخْبِرَهُ وَمَا فِيهَا خَبِيرُ
أَقَامَ كَأَنَّ لُقْمَانَ بن عَادٍ أَشَارَ لَهُ بِحِكْمَتِهِ مُشِيرُ

وقد أكثر الشعراء الإسلاميون من ذكر لُقْمَانَ الْحَكِيمِ ووصاياه ولَسَنَهُ
وفصاحته وحكمته (٨٢).

وَضَرَبُوا الْمَثَلَ بِأَيْسَارِ لُقْمَانَ، قالوا: هم ثمانية رجالٍ من
العماليق(*)، ما فيهم أحدٌ إلا جَمَعَ من الصِّفَاتِ الْكَرِيمَةِ أَسْمَاهَا، فيهم
الجَلْمُ، والطُّهْرُ، والكَرْمُ. وقد اتَّخَذَهُمُ شعراء الجاهلية رمزاً لِلسَّمَّاحَةِ
وَالرِّئَاسَةِ وَالجُودِ وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِينَ، والجَلْمُ عن السُّفْهَاءِ، قال امرؤ القيس
حين نزل على خالد بن سدوس النبهاني (٨٣):

إِذَا مَا كُنْتُ مُفْتَخِرًا ففَاخِرٌ بِيَبْتِ مِثْلَ بِيَبْتِ بَنِي سَدُوسَا

(٨١) الجاحظ، الحيوان ج ٣ ص ٤٤٧.

(٨٢) قال الصَّلْتَانُ الْعَبْدِيُّ: «أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ أَوْصَى بِنِيهِ... الخ» شرح ديوان الحماسة للمرزوقي
ج ٣ ص ١٢١٠، وقال أبو دلّامة الأَسَدِيُّ «فما ولدتك مريم أم عيسى ولم يكفلك لُقْمَانَ
الحكيم» ديوانه، تحقيق: رشدي حسن، دار عمار ١٩٨٦، ص ٤٢، وقالت ابنة وثيمة بن
عثمان: «بلسان لقمان بن عادٍ وفُضِّلَ خطبته الحكيم» البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٣.

(*) وهم: بيض وحممة (حممة) وطفيل، وذفافة، ومملك (مالك) وثمانيل (ثمانيل) وفروعة (فروعة)
وعمار.

(٨٣) امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت ٥٤٠م): الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار
المعارف بمصر ١٩٦٤م ص ٣٤٤. الماء القريس: الجامد من شدة البرد.

بَيْتٍ تُبْصِرُ الرُّؤْسَاءُ فِيهِ
هُمُ أُيْسَارُ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ
فِيَامًا لَا تُنَازِعُ أَوْ جُلُوسًا
إِذَا مَا أَجْمَدَ الْمَاءِ الْقَرِيْسَا

وقال أوس بن حجر: (٨٤)

وَفَتِيَانُ صِدْقٍ لَا تَحْمُ لِحَامُهُمْ
وَأَيْسَارُ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ سَمَاحَةً
إِذَا شُبَّهَ النَّجْمُ الصُّوَارَ النَّوَافِرَا
وَجُودًا إِذَا مَا الشُّوْلُ أُمَسَتْ جَرَائِرَا

وقال طرفة بن العبد: (٨٥)

فَفِدَاءُ لِبْنِي قَيْسٍ عَلَيَّ
وَهُمُ أُيْسَارُ لُقْمَانَ إِذَا
عُغِلَّتِ الشُّتُوَةُ أَبْدَاءَ الْجُزُرِ
وَعَلَى الْأَيْسَارِ تَيْسِيرُ الْعَيْسِرِ

والى أيسار لقمان كانت إشارة النابغة الذبياني في مدح بني عسان،

قال (٨٦):

هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ
أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مُظَهَّرَةٌ
فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ فِي اللّٰوَاءِ وَالنَّعْمِ
مِنَ الْمَعَقَّةِ وَالْأَفَاتِ وَالْإِثْمِ
وَفِي الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ إِشَارَاتٌ إِلَى قَصَصِ خُرَافِيَّةٍ نَسَجَهَا خِيَالُ الْقُدَمَاءِ
عَنْ قَوْمِ عَادٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ إِلَّا بَقَايَا مَتْنَاثِرَةٌ، كَحَدِيثِهِمْ عَنْ

(٨٤) أوس بن حجر، الديوان ص ٣٣. تخم لحامهم: يذخرونها فتخم وتفسد، الصوار: قطع البقر، الشول: جماعة الإبل التي ارتفع لبنها عند الحمل أو البرد أو الجوع. وجرت الناقة: لم تنتج.

(٨٥) طرفة بن العبد، الديوان ص ٧٢.

أبداء الناقة: أشرف أعضائها، والجزر: جمع جزور وهي الناقة المجزورة أي المذبوحة.

(٨٦) النابغة الذبياني، الديوان، ص ١٠١، وانظر أيضا قول زهير بن مسعود:

كَأَنَّهُمْ عَادٌ حُلُومًا إِذَا طَاشَ مِنَ الْجَهْلِ الْقَطَارِيْبُ

ومعنى القطاريب هنا: السفهاء الجهال.

يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة. دار الرسالة، بيروت ١٩٨٢م، ص ٩٤.

ومعنى اللأواء في بيت النابغة: الشدة وسوء الحال، والمعقة: عقوق الرّحم.

«كَلْبِ طَسْمٍ» وكانوا يضربون به المثل في مكافأة المُحْسِنِ بالإساءة،
 ويزعمون أن طَسْمًا قَوْمٌ من عاد، انقرضوا، وكان لهم كلب يُحْسِنُونَ إليه،
 وَيُبَالِغُونَ فِي تَكْرِيمِهِ حَتَّى إِنَّهُمْ يَسْقُونَهُ الحَلِيبَ أَيَّامَ الجَدْبِ بينما أولادهم
 مُسْغِبِينَ، (وقد يكون هذا التكريم من قبيل الطوطمية (٨٧) عند الشعوب
 البدائية) ويزعمون أن هذا الكلب قد دَلَّ بِنِباحه العدو على مضاربِ طَسْمٍ،
 فاستباحوهم وقتلوهم.

وقد أفاد طرفة بن العبد من هذه الأسطورة في تصوير إحسانه إلى ملوك
 المناذرة ومدحه لهم، وما جرَّه هذا المدح وهذا الإحسان من شقاءٍ وبؤس
 على فاعله، قال: (٨٨)

هَمَّ عَرَانِي فَبِتُّ أَدْفَعُهُ دُونَ سُهَادٍ كَشُعْلَةَ القَبَسِ
 كُنْتُ لَنَا وَالذُّهُورِ آوِنَةٌ تَقْتُلُ حَالَ النِّعِيمِ بِالْبُؤْسِ
 كَكَلْبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ يَعْلُهُ بِالحَلِيبِ فِي الغَلَسِ
 إِنَّ شِرَارَ المُلُوكِ قَدْ عَلِمُوا طُرًّا وَأَذْنَاهُمْ مِنَ الدَّنَسِ
 عَمَرُوا وَقَابُوسُ وَابْنُ أمِّهِمَا مَنْ يَأْتِيهِمُ لِلخَنَا فَمُحْتَسِبِ

ومن بقايا أساطير عاد أن رجلاً من العمالقة اسمه «حِمَار» وقيل «عَيْر»
 كان له بنون وواد خصيب، فأصابته بنيه صاعقة فأحرقتهم، فكفر بالله،
 وقال: لا أعبد رباً أحرق بني، وكان لا يمرُّ بأرضه أحدٌ إلا دَعَاهُ إلى الكُفْرِ،
 فَإِنْ أَجَابَهُ، وَإِلَّا قَتَلَهُ (٨٩)، فضربوا بكُفْرِهِ المَثَلَ (٩٠). فَسَلَطَ اللهُ عَلَى وادِيهِ

(٨٧) الطوطمية: كلمة أيجدية من لغة هنود أمريكا، دخلت اللغة الإنجليزية، ويراد بها كائنات
 تحترمها بعض القبائل المتوحشة، ويعتقد كل فرد من أفراد القبيلة بعلاقة نسب تربطه
 بطوطمه، وقد يكون الطوطم حيواناً أو نباتاً، وهو يحمي صاحبه الذي يحترمه ويقده.

انظر: جيمس فريزر، الغصن الذهبي، الهيئة المصرية العامة، مصر ١٩٧١.

(٨٨) طرفة بن العبد، الديوان ص ١٦٥.

(٨٩) ابن منظور: لسان العرب، مادة (كفر)

(٩٠) في المثل: «أكفر من حمار» الدرر الفاخرة ج ٢ ص ٣٦٧، مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٦٨.

جمهرة الأمثال ج ٢ ص ١٧٧، ولسان العرب، مادة (كفر) و (حمر).

ناراً - والوادي في لغة أهل اليمن يقال له جَوْفٌ - فأحرقته فما بقي منه شيء ،
فضربوا به المثل في الإقفار وفي كل ما لا بقيه له (٩١) ، وهو الذي غناه امرؤ
القيس بقوله من معلقته : (٩٢)

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعْتُهُ به الذُّبُّ يَعْوِي كَالخَلِيعِ الْمُعِيلِ (٩٣)

ورسم القدماء للقمان صوراً أسطورية في عمره الذي امتد مئات
السنين ، وزعموا أنه كان يتغذى بجزور ويتعشى بجزور ، وضربوا بأكله
المثل (٩٤) . وتخلوه كبير الجثة ، قوي البنية ، منجباً ، كبير الرأس ، وضربوا
برأسه المثل (٩٥) . قال يزيد بن الصعق الكلابي : (٩٦)

إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيءُ بِزَادٍ
تَرَاهُ يَطُوفُ فِي الْأَفَاقِ حِرْصاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ

ويروون أن أخت لقمان كانت مُحَمِّقَةً (٩٧) وكذلك كان زوجها ، فقالت
لإحدى نساء لقمان : هذه ليلة طهري ، وهي ليلتك ، فدعيني أنام في
مَضْجَعِكَ ، فإن لقمان رجل منجيب ، فعسى أن يقع علي فأنجب . فوقع على
أخته فحملت بلقيم ، وفي ذلك يقول النمر بن تولب : (٩٨)

(٩١) في المثل : «أخلى من خوف حمار» الدرر الفاخرة ج ١ ص ١٨٠ ومجمع الأمثال ج ١ ص
٢٥٧ ، وجمهرة الأمثال ج ١ ص ٤٣٥ والمستقصى ج ١ ص ١٠٩ .
(٩٢) الأنباري : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٨٠ - ٨١ .
(٩٣) الخليل : المقامير ، المعيل : الكثير العيال .

(٩٤) في المثل : «أكل من لقمان» الدرر الفاخرة ج ١ ص ٧٤ ومجمع الأمثال ج ١ ص ٨٦ ،
وجمهرة الأمثال ج ١ ص ٢٠١ والمستقصى ج ١ ص ٧ .
(٩٥) نمار القلوب ص ٢٥٧ .

(٩٦) الجاحظ ، الحيوان ج ٣ ص ٦٧ والبيان والتبيين ج ١ ص ١٩٠ .
(٩٧) أي تلبد الحمقى .

(٩٨) النمر بن تولب ، شعره ، صنعة : نوري القيسي ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨ ص ١٠٦ -
١٠٧ .

لَقَيْمُ بْنُ لَقْمَانَ مِنْ أُخْتَيْهِ وَكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَأَبْنَمَا
لِيَالِي حُمُقٍ فَأَسْتَحْضَنَتْ عَلَيْهِ فَغُرِّبَهَا مُظْلِمًا
فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكِمًا

ويروى أن لقمان بن عاد قتل ابنته صُحْرًا لأنه كان تزوج عدة نساء
كلهن خنته في أنفسهن (٩٩).

وقد أفاد الشعراء من هذه الحكاية في تصوير براءتهم من ذنوب لم
يقترفوها، فكان جزاؤهم جزاء صُحْرِ ابنة لقمان، قال خفاف بن ندبة: (١٠٠).

وَعَيَّاشٌ يُدِيبُ لِي الْمَنَابِيَا وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحْرٍ
وقال عروة بن أذينة: (١٠١)

أَتَجْمَعُ تَهَامًا بَلِيلِي إِذَا نَأَتْ وَهَجْرَانَهَا ظُلْمًا كَمَا ظَلِمْتُ صُحْرُ

(٩٩) يبدو أن قصة شهرزاد وشهريار قد استندت في مضمونها إلى هذه الحكاية.

(١٠٠) الجاحظ، الحيوان ج ١ ص ٢٢ وثمار القلوب ص ٢٤٥.

(١٠١) الجاحظ، الحيوان ج ١ ص ٢٢.

الخلاصة

(١) حاول هذا البحث تلمُّس العلاقة بين الشعر الجاهلي والموروث الثقافي القديم في ضوء «قصة عاد» المذكورة في الذكر الحكيم والشعر الجاهلي. وأثبت أنَّ الشعراء العرب قد اتخذوا من عاد - اعتماداً على موروثاتهم التاريخية والأسطورية - رموزاً محدَّدة كالقَدَم، والأَصالة والمُلْك، والهَلَاك، والزَّمَن، والحِكْمَة، والجِلْم، والجَزَاء.

وقد أفاد الشعراء الجاهليون من هذه الرموز في قصائدهم، واستقطبوا معلوماتهم الأسطورية وموروثاتهم الشعبية في الصورة الشعرية.

(٢) أثبتَ هذا البحث أنَّ القصيدة الجاهلية تستوعب الحكايات الموروثة والأمثال والمأثورات الشعبية، وتعتمد «الإشارة» و«الرمز» أحياناً بدلاً من التصريح والخطاب المباشر. وتُصهَر فيها الثقافة والأساطير القديمة مع التجارب الشخصية والرؤى الشعرية.

(٣) تأثر الشعر العربي المعاصر بشعراء أوروبية الحديثة في استخدام التراث اليوناني والعالمي وما فيه من أساطير خرافية ورموز للحب والجمال والقهر والحكمة، والخير والشر... مثل: فينوس، وأفروديت، وكيوبيد، وسيزيف...

وهذا البحث يُدلِّل على أنَّ العرب في الجاهلية قد استخدموا الرموز الأسطورية والتاريخية في قصائدهم قبل شعراء أوروبية، وأنَّ ما يُظنُّ جديداً في الشعر العربي الحديث، هو في واقعِهِ ليس كذلك.

المراجع

- الألوسي، محمود شكري - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، حققه: محمد بهجة الأثري. دار الكتب العلمية، بيروت.
- أرسطو طاليس، ١٩٥٣ - فن الشعر، ترجمة: عبد الرحمن بدوي. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، ١٩٦٧م - الأصمعيات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف بمصر.
- الأعمش الكبير، ميمون بن قيس ١٩٥٠م - الديوان، حققه: محمد محمد حسين. مكتبة الآداب، مصر.
- امرؤ القيس بن حجر، ١٩٦٤م - الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر.
- الأنباري، محمد بن القاسم، ١٩٦٩ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، حققه: عبد السلام هارون. دار المعارف بمصر.
- أوس بن حجر، ١٩٦٧م - الديوان، حققه: محمد يوسف نجم. دار صادر، بيروت.
- التيفاشي، ١٩٨٠م - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس. حققه: إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- الجاحظ، عمرو بن بحر ١٩٦٨م - البيان والتبيين، حققه: عبد السلام هارون. مطبعة البابي الحلبي مصر، والحيوان، حققه عبد السلام هارون. مطبعة البابي الحلبي القاهرة. ١٩٨٧ - البرصان والعرجان، حققه. محمد مرسي الخولي. مؤسسة الرسالة، بيروت.

- جواد علي، ١٩٦٨ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين، بيروت.
- خدّاش بن زهير العامري، ١٩٨٦م - شعره، صنعة: يحيى الجبوري. مجمع اللغة العربية، دمشق.
- زهير بن أبي سلمى، ١٩٨٢م - شرح شعره، صنعة ثعلب، حققه: فخر الدين قباوة. دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الزمخشري، ١٩٦٢م - المستقصى في أمثال العرب. حيدرآباد، الدكن، الهند.
- السجستاني، أبو حاتم - المعمرون والوصايا. مطبعة البابي الحلبي، مصر.
- سحيم عبد بني الحسحاس، ١٩٦٨م - الديوان، حققه: عبد العزيز الميمني. دار الكتب المصرية، القاهرة.
- الطبري، محمد بن جرير، ١٩٧٩م - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، وطبعة المطبعة الحسينية بمصر.
- طرفة بن العبد البكري، ١٩٧٥م - الديوان، حققه: لطفي الصقال. مجمع اللغة العربية، دمشق.
- الطرمّاح بن حكيم، ١٩٦٨م - الديوان، حققه: عزة حسن. طبعة دمشق.
- عبيد بن الأبرص، ١٩٥٧م - الديوان، حققه: حسين نصار. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- عددي بن زيد العبادي، ١٩٦٥م - الديوان، حققه: محمد جبار المعبيد.

دار الجمهورية، بغداد.

- العسكري، ١٩٦٤م - جمهرة الأمثال، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة القاهرة.
- عمرو بن قميئة، ١٩٦٥م - الديوان، حققه: حسن كامل الصيرفي. معهد المخطوطات العربية، القاهرة.
- عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ١٩٧٤م - شعره، حققه: مطاع الطرابيشي. دمشق.
- فريزر، سير جيمس، ١٩٧١م - الغصن الذهبي، ترجمة: أحمد أبو زيد. الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
- القالي، أبو علي، ١٩٧٠م - أفعل من كذا، حققه: محمد الفاضل بن عاشور. تونس.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، ١٩٦٩م - المعارف، حققه: ثروت عكاشة. دار المعارف بمصر.
- لبيد بن ربيعة العامري، ١٩٦٢م - الديوان، حققه: إحسان عباس، مطبعة وزارة الإرشاد، الكويت.
- مجهول - قصة شداد بن عاد. مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة، بغداد رقم ٤٩٣٢/٩ مجاميع.
- المرزوقي، أحمد بن محمد، ١٩٦٨م - شرح ديوان الحماسة، حققه: أحمد أمين وعبد السلام هارون. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- المسعودي، علي بن الحسين - التنبيه والإشراف. مطبعة الصاوي. مصر.
- المفضل الضبي بن محمد بن يعلى، ١٩٧٩م - المفضليات، حققه:

- أحمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر .
- ابن منظور، محمد بن جلال الدين الخزرجي - لسان العرب . الدار المصرية للتأليف، القاهرة .
- الميداني، أحمد بن محمد، ١٩٥٥م - مجمع الأمثال، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السنة المحمدية، مصر .
- النابغة الذبياني، ١٩٧٧م - الديوان، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف بمصر .
- النمر بن توبل، ١٩٦٨م - شعره، صنعة: نوري القيسي . مطبعة المعارف بمصر .
- ابن هشام، عبد الملك - السيرة النبوية، حققه: عبد السلام هارون . مطبعة البابي الحلبي، مصر .
- الهمداني، الحسن بن أحمد، ١٩٨٠م - الإكليل، حققه: محمد بن علي الأكوغ . طبعة بغداد .
- ياقوت الحموي، ١٩٦٥م - معجم البلدان . دار صادر، بيروت .



ما وصل إلينا من شعر عباس بن فرناس

للدكتور صلاح جرار

نشرت في العدد الثامن والثلاثين من أعداد مجلة مجمع اللغة العربية الأردني دراسة عن عباس بن فرناس: سيرته وشعره، وقد اجتمع لدي في أثناء إعداد هذه الدراسة جملة من قصائده ومقطوعاته الشعرية، ورأيت - استكمالاً للفائدة - أن أنقب في المصادر التي عرضت لابن فرناس، بحثاً عما وصل إلينا من شعره، وسعيًا إلى لملمة شعث ما تبعث في هذه المصادر من البيت والبيتين والمقطوعة والقصيدة، لعل ذلك يساعد على توضيح خصائص هذا الشعر وسماته، ويثبت ما خلصت إليه من نتائج الدراسة السابقة عن هذا الشاعر الأندلسي.

وقد رتبت ما وقع لي من شعر ابن فرناس حسب قوافي القصائد والمقطوعات. وأسأل الله أن ينفع الباحثين وينفعنا به.

قافية الباء

(١)

قال ابن فرناس في فلاة: [الكامل]

١) موسومةً بالبُعد تحسبُ سَهْلها ألقى السماءَ بحولِهِ أطنابا

(٢) فكأنها دارٌ تقاذفُ (١) ضَحْنُها لم يجعل الباني لها أبواباً
لتخريج : الكتاني : التشبيهات، ص ١٧٧ .

قافية التاء

(٢)

عمل عباس بن فرناس الآلة المسماة المنقانة لمعرفة الأوقات،
فأحكمها ورفعها إلى الأمير محمد (٢) ونقش فيها هذه الأبيات : [الطويل]

(١) ألا إنني للدين خيرُ أداةٍ إذا غاب عنكم وقتُ كلِّ صلاةٍ
(٢) ولم تر شمسُ بالنيهار ولم تُنرْ كواكبُ ليلِ حالِكِ الظلماتِ
(٣) بيمنِ أميرِ المسلمين محمدٍ تجلّت عن الأوقاتِ كلُّ صلاةٍ

التخريج : ابن حيان : المقتبس (تحقيق د. محمود مكي)، ص ٢٨٢ -
٢٨٣ .

قافية الحاء

(٣)

ومن ذلك [المجثّ]

(١) بدلٌ لنفسيك روحاً لعل أن تستريحاً
(٢) ما زال قلبك يهوى من لا يزال شحيحاً

التخريج : الصفدي : الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٨ .

(١) تقاذف : ترامى واتسع .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، وقد أسلفنا التعريف به .

قافية الدال

(٤)

جاء في المقتبس:

«وضر الزبد بها، ثم أمر بإحضار عباس بن فرناس، فذكر له ما أنكره من هذا القسيم، وأمره بإيداله، فقال على البديهة: [الطويل]

أباريقُ في حافاتها أرَجُ الورْدِ

فأعجب ذلك الأمير، ووصل عباساً، وغني به بعد كما غيره» (٣).

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكّي)، ص ٢٨٧.

قافية الراء

(٥)

وأشده ابن فرناس الأمير محمّداً من أبيات: [الطويل]

(١) رأيتُ أميرَ المؤمنين محمّداً وفي وجهه بذرُ المحبّةِ يُثْمِرُ

التخريج: المقرّي: نفع الطيب، ٣/٣٧٥.

(٦)

ومنها صوت (٤): [الطويل]

(٣) علّق الدكتور محمود مكّي على هذا النص بقوله: «يبدو ممّا سيذكر بعد أن الأمير غني بشعر أبي الهندي غالب بن عبد القدوس، وفيه قوله:

سيغني أبا الهندي عن وطب سالم أباريق لم يعلق بها وضر الزبد
فتأذى الأمير بكلمتي «وضر الزبد» في آخر البيت مما حمّله على استدعاء عباس بن فرناس واقترح عليه تغيير هذا القسيم فغيّره الشاعر بما يرى.

(٤) من المقطوعات التي نظمها ابن فرناس في مدح الأمير محمّد لتلحنها جوارى الأمير ونغنيها، مقابل صلة بدفمها الأمير لابن فرناس (انظر: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكّي)، ص ٢٨٤ - ٢٨٥).

- (١) تحفظ من الهجران إن كنت تقدر
 يموت الفتى في حبه حين يهجر
 (٢) فأما إذا ما بان عنه حبيبه
 فلا شك فيه ذلك اليوم يقبر
 (٣) رأيت أمير المؤمنين محمداً
 وفي وجهه بذر المجرة يضر
 (٤) همام كأن الشمس تلقي شعاعها
 على الخلق منه حين يبدو ويظهر

التخريج : ابن حيان : المقتبس (تحقيق : د. محمود مكي)، ص ٢٨٦ .

(٧)

ومن شعره في صفة روضة : [الطويل]

- (١) ترى وردّها والأقحوان كأنه
 بها شفة لمياء ضاحكها نغر

التخريج : الحميدي : جذوة المقتبس، ص ٣١٨ .

الضبي : بغية الملتمس، ص ٤٣١ .

(٨)

وله شعر أوله : [السريع]

- (١) الجهل ليل ليس فيه نور
 والعلم فجر نوره مشهور
 (٢) يا ابن الخلائف كم تستر قاعد
 عني ويصديء سمعك المكسور
 (٣) وقد استبنت فساد ذاك وفي دعا
 مولاك من إصلاحه تيسير
 (٤) وأمور ملكك كلها موزونة
 قد حاطها الأحكام والتجير
 (٥) فأصبح لأصل إن هزرت فروعهُ
 يسقط عليك اللؤلؤ المنشور

التخريج : ابن حيان : المقتبس (تحقيق : د. محمود مكي)، ص ٢٨٠ .

(٩)

ولعباس بن فرناس قرن مؤمن ومناصبه في التهاجي في تهنة محمد

أيضاً(ه) من شعر حسن له : [البسيط]

- (١) ما غابت الشمس حتى أشرق القمر
(٢) يا ليلة أسفرت قبل الصباح عن ال
(٣) لتطبقن على الدنيا خلافته
(٤) ويهلك الشرك في أقصى مداخله
(٥) بذاك تخبرنا غرّ النجوم كما
- محمد فارتضاه الله والبشر
مهدي يفيديك مني السمع والبصر
سما جود لها ماء الله مطر
حتى يغيب فلا يدري له أثر
أوحى إليها بذاك الشمس والقمر

التخريج : ابن حيان : المقتبس (تحقيق : د. محمود مكي)، ص ١٢٤ .

قافية الراء

(١٠)

في سنة ٢٤٤هـ هاجم الأمير محمد طليطلة، وحارب أهلها وهدم
قنطرتها(*) «واشتد سرور الأمير محمد بحربهم عليها، فقال شاعره عباس بن
فرناس يغطه بما تهيأ له في شعر مدحه به»: [الكامل]

- (١) يا ابن الخلائف يا محمد يا
(٢) ما إن تقوم لحر بأسك في الـ
(٣) أضحت طليطلة معطلة
(٤) تركت بلا أهل تؤهلها
(٥) ما كان يُبقي الله قنطرة
- من سيفه في راحة النصر
لدينا محصنة من الدهر
من أهلها في قبضة الصقر
مهجورة الأكناف كالقبر
أضحت سبيل كئاب الكفر(٦)

(٥) عندما توفي الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٣٨هـ خلفه على إمارة الأندلس ابنه الأمير محمد وقد أنشأ مؤمن بن سعيد قصيدتين يرثي فيهما الأمير المتوفى ويهنيء الأمير محمداً بتولي الأمر من بعده (ابن حيان : المقتبس (تحقيق : د. محمود مكي)، ص ١٢١ - ١٢٤)، وفي هذه المناسبة أنشد عباس بن فرناس قصيدته هذه .

(*) ابن حيان : المقتبس (تحقيق : د. محمود مكي) ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٦) في النفع : نصبت لحمل كئاب الكفر .

التخریج : ابن حیان : المقتبس (تحقیق : د. محمود مكي)، ص ٣٠٦ -
 ٣٠٧ ووردت الأبيات الثلاثة الأخيرة في المقرئ : نفح الطيب،
 . ١٦٢/١

(١١)

وقال في مدح الأمير محمد بن عبد الرحمن لدى اعتناؤه بتفخيم
 المباني وإقامة قصر الخلافة في مدينة الرصافة (٧) : [الطويل]

- | | |
|---------------------------------------|----------------------------------|
| (١) الرصافة من | والتبر |
| (٢) | والسحر |
| (٣) وأعرافه الشم التي لاح دونها | تجوم الثريا والسماكين والغفر (٨) |
| (٤) وإذ بلغ النضر المكثر فرعها | وصوب لم يبلغ إلى الأرض في شهر |
| (٥) لها الغرف البيض التي يضحك الضحى | وتلحفها من نورها في سنا الغر |
| (٦) حنايا كأمثال الأهله ركبت | على عمد تغتد في جوهر البدر |
| (٧) كأن من الباقوت قيس رؤوسها | على كل مسنون مقيض من السدر |
| (٨) كأن قصور الأرض بعد تمامه | توؤ الذرى أخفى شخوصاً من الدر |
| (٩) وتشتير الأبصار منها إلى مدى التنز | ه بالأطيوار والوحش والزهر |
| (١٠) وأعجب من أفيائها العرر التي | يقيل بهن البرد في وغرة الحر |
| (١١) ينم بأخفى سرها غير كاتم | صداها فأخفى السر فيها من الجهر |
| (١٢) كأن الذي يخفي الحديث بنجوها | على أخفض الأصوات يشدو على وتر |

(٧) ذكر ابن حيان في المقتبس أن الأمير محمداً عندما انشأ قصر الخلافة في منية الرصافة
 واعتنى بغراستها «استدعى أقوال شعرائه في وصفها وتهنئته بما حصل له منها». «فقال في
 ذلك فحلهم المختليد عباس بن فرناس بن ورداس شاعره البديع الذي اتفقوا كلهم على أنه
 أحسن ما قيل في معناه» (ابن حيان المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٢٧ -
 . ٢٢٨)

(٨) الغفر منزل من منازل القمر ثلاثة أنجم صغار وهي في الميزان (لسان العرب).

تضيء بلا شمسٍ عليها ولا بندر
 وأنهارها البيضُ التي تحتها تجري
 موائسٍ فيها من مزاولةِ الوُفْرِ (٩)
 من الذهبِ الناري (١٢) عراجين من تمرٍ
 مصوغ الحلى شكلُ وفي الجوهرِ النضرِ
 يعود (١٣) إلى العقيان بعد (١٤) جنى البُسْرِ
 تضرعُ مُشتاقٍ إلى عاشقِ الكِبْرِ
 خدودُ عذارى في مقانعها الخُضْرُ
 محجلة غرُ

 موسى القرا (١٥) قاني الطلى أخضر الصدر
 مدبجة الكشحين والبطن والظهر
 ينسيك ترجاع اليراع بلا زمر
 نايبة النغم والنبر
 يزولان فيما تشتريه وما تشري
 هناك غرابُ الماء خفيه للأجر
 من الطير والنيسان والتمر والقُمسري
 بهالبل أملاكٍ خضارمة زهر

١٣) نؤوم الضحى ضافي العلى سجحُ السنا
 ١٤) وبأ حبذا أنباتها الخُضْرُ حولها
 ١٥) ترى الباسقاتِ الناشراتِ فروعها
 ١٦) كأن صياغاً (١٠) صاغ فوق (١١) غصونها
 ١٧) تبدلن حالاتٍ ثلاثاً لهن في
 ١٨) نشت لؤلؤاً ثم استحالت زمرداً
 ١٩) وقد يُشتهي منها شرابٌ ألد من
 ٢٠) ومن أرجاتٍ في الغصون كأنها
 ٢١) ترى حمرةً في بعض
 ٢٢) بواعث
 ٢٣) يغرّد فيها كل مختضبِ الشوى
 ٢٤) إلى كل سلتاء أضاعت خضابها
 ٢٥) إذا ما استهلّت في شجي غنائها
 ٢٦) وما شئت من هفافة قلمية الغناء إلى نايبة النغم والنبر
 ٢٧) وحابسة في ذقنها درهمين ما
 ٢٨) قد اشتملت في يلمق (١٦) وأعارها
 ٢٩) وكل بديع فيه لم يُرمئله
 ٣٠) وراثه آباءٍ تولوا خلانف

- (٩) في التشبيهات : مداولة الوُفْرِ .
 (١٠) في التشبيهات : صناعاً .
 (١١) في التشبيهات : بين .
 (١٢) في التشبيهات : البادي .
 (١٣) في التشبيهات : يؤول .
 (١٤) في التشبيهات : قبل .
 (١٥) القرا : وسط الظهر (لسان العرب : قرا) .
 (١٦) اليلمق : القباء (لسان العرب : يلمق) .

(٣١) أبى الله إلا أن يُتِمَّ بناءه الر فيع الذي تَمَّتْ به غايةُ الشكر
(٣٢) سميُّ النبي المصطفى وحميمهُ وخاتمِ مسطورِ النبوةِ في الذُكْرِ
التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٢٨ -
٢٣٤. ما عدا البيتين ٦، ٧؛ ووردت الأبيات ٦، ٧، ١٥، ١٦،
١٨، في الکتاني: التشبيهاً، ص ٧٠.

(١٢)

[قال يخاطب الأمير محمداً من قصيدة] [الطويل]

(١) ولا تنسينَّ الدفترَ المحكمَ الذي هو الغايةُ القصوى
(٢) فيا أسفي أن نال مكنونَ علمه سواك من الأملاك في غير ذا العصرِ
(٣) وزدني من الإدناء ما قد وعدتني فوعدك مضمون إلى ججج عشر
(٤) فليس محالاً أن أحلَّ محلَّةً أضيف لها قبلي المضافُ إلى شمرِ
(٥) لقد كان من في رحمةِ الله همُّ بي لهذا وما صار ابنُ شمرٍ إلى القبرِ
التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨١ -
٢٨٢.

قافية السين

(١٣)

وفيه يقول مؤمن [البيسط]:
فعدتُ تحت سماءِ لابنِ فرناسٍ فخلتُ أن رحيُّ دارت على راسي
فلما بلغ ابنُ فرناس ذلك، قال: ليس كما قال ابنُ الزانية، كان ينبغي
أن يقول: [البيسط]:
(١) فعدتُ من فوق عَرْدِ لابنِ فرناسٍ فخلتُه نائماً شبراً على راسي

التخریج : الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٦ / ٦٦٨ .

قافية الضاد

(١٤)

ومما له من المقاطيع قوله [المنسرح]:

- (١) يا مَنْ لَعِينُ خَلَّتْ من الغمضِ ومهجة أشرفت على القبض
(٢) كسلُ هوى لا يميئُ صاحبهُ فأصلُ ذاك الهوى من البغضِ

التخریج : الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٦ / ٦٦٨ .

(١٥)

وقال معاوية بن هشام الشيبسي (١٧): كان عباس بن فرناس يصنع
للأمير محمد قطعاً من رقيق الأشعار تنتظم بمدحه، وتصوغ قيانه فيها
الألحان، فيغنيه بها، فيجزل عليها صلته، منها أربعة أبيات كتبها بالذهب
على تفاحة محجولة رفع بها إليه، هي: [السريع]:

- (١) تَفَاحَةٌ مصفَرةُ البعضِ بخوفها من ألم العَضِّ
(٢) أَمْنَتْها ذاك وكتَبْتُها حُسناً بسدا من ذهبٍ محض
(٣) وَقَلْتُ فيها الحقُّ من بعد ذا - وما لقول الحقِّ من نقض -
(٤) محمَّدٌ أكرم مستخلفٍ من خلفاءِ الله في الأرضِ

قال: فاستلمح الأمير التفاحة، واستحسن الأبيات، فأمر أن يغني بها،
وأمر لعباس بأربعمائة دينار بعددها صلة. وقال: لوزادنا لزدناه.

التخریج : ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكِّي)، ص ٢٨٤ -

. ٢٨٥

(١٧) هو أبو عبد الرحمن معاوية بن هشام بن محمد بن هشام بن الوليد بن هشام بن عبد الرحمن
الداخلي المعروف بابن الشيبسي، رحل إلى المشرق حاجاً سنة ٢٧٥، وكان أديباً عالماً
وشاعراً مطبوعاً، وله تاريخ في دولة الأمويين ينقل عنه ابن حيان كثيراً. توفي سنة ٢٨٩
(ابن الأبار التكملة، ٢/ ٦٩٢).

قافية العين

(١٦)

ولما غنى ابن زرياب (١٨) بقوله في مجلس محمود بن أبي جميل عامل شذونة
أيام السلطان محمد بن عبد الرحمن :

ولو لم يشقني الظاعنون لشاقي حمامٌ تداعت في الديار وقوعُ
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى نوائح ما تجري لهن دموعُ

ذيلها عباس بن فرناس يمدح محموداً بديهةً : [الطويل]

(١) شذت بمحمود يدا حين خانها زمانٌ لأسباب الرجاء قُطوعُ
(٢) بنى لمساعي الجود والمجد قبة (١٩) إليها جميع الأجودين ركوعُ

التخريج : الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٦٩ ؛ المقري : نفح
الطيب ، ١٣٣/٣ .

قافية الفاء

(١٧)

قال يهنىء الأمير محمداً بعد إخماده ثورة طليطلة وانتصاره على
النصارى في وقعة وادي سليط سنة ٢٤٠ هـ (٢٠) : [الطويل]

(١٨) في نفح الطيب أن الذي غنى هو زرياب وليس ابنه .

(١٩) في نفح الطيب : قبلة .

(٢٠) ذكر ابن حيان أنه في سنة ٢٤٠ هـ ثار أهل طليطلة على الأمير محمد واستجاشوا بالنصارى
ضد المسلمين وأن الأمير قد تغلب عليهم واحتز رؤوس أحد عشر ألفاً منهم وقت صلاة
الظهر وجمعت الرؤوس ووقف المؤذن على قمتها ينادي للصلاة ، وقد هنأته الخطباء
وامتدحته الشعراء ، وكان من ذلك ما قاله عباس بن فرناس في قصيدته هذه (ابن حيان :
المقتبس (تحقيق : د. محمود مكِّي) ، ص ٢٩٥ - ٢٩٨) . وقدم ابن عبد ربه في كتاب
العقد (٢٢٠/٥) وابن عذاري في البيان المغرب (١١١/٢) لهذه القصيدة بالقول : وكان

- (١) ومختلف الأصوات مؤتلف الزحف
(٢) إذا أومضت فيه الصوارم خلتها
(٣) كأن ذرى الأعلام في سيلانه (٢٢)
(٤) وإن طمحت أركانه كان قطبه (٢٥)
(٥) سمى ختام الأنبياء محمد
(٦) فمن أجله يوم الثلاثاء غدوة
(٧) بكى جبلا وادي سليط فأغولا
(٨) دعاهم صريخ الحين فأجتمعوا له
(٩) يريدون إرعاب الأمير جهالة
(١٠) فما كان إلا أن رماهم ببعضها
(١١) كأن مساعير الموالي عليهم
- لهوم الفلا عبل القنابل (٢١) ملتف
بروقاً تراءى في الجهام وتستخفي
قراقير (٢٢) يم قد عجزن عن القذف (٢٤)
حجى ملك نجد (٢٦) شمائله عفا
إذا وُصف الأملأك جل عن الوصف
وقد نفض (٢٧) الإصباح جل (٢٨) عرى السجف
على التفير العبدان والعصبة الغلف
كما اجتمع الجعلان للبعير القف (٢٩)
يسعر كلاب الحرب في حشوة العصف (٣٠)
فولوا على أعقاب مهزولة (٣١) كُشف
زماميج (٣٢) حادت (٣٣) للفرانق بالنشف (٣٤)

الأمير محمد - رحمه الله - غزاه لأهل الشرك والاختلاف، وربما أوغل في بلاد العدو ستة الأشهر والأكثر بحرق وينسف، وله وقعة وادي سليط، وهي من أمهات الوقائع، ولم يعرف بالاندلس قبلها مثلها، وفيها يقول عباس بن فرناس وشعره بكفينا من صفتها . . .

- (٢١) في العقد: القبائل.
(٢٢) في البيان المغرب: ميلانه.
(٢٣) في العقد: قراقير.
(٢٤) في البيان المغرب: قراقير في يم عجزن عن القذف.
(٢٥) في البيان المغرب: وإن طمحت أركانها كان قطبها. وفي العقد: وإن طمحت أركانها كان قطبها.
(٢٦) في البيان المغرب: ندب.
(٢٧) في البيان المغرب: نفض.
(٢٨) في العقد: عقد. وفي البيان المغرب: حبل.
(٢٩) في العقد والبيان المغرب: للبعير في وقف.
(٣٠) سقط هذا البيت من العقد والبيان المغرب.
(٣١) في العقد: مهزومة.
(٣٢) في العقد والبيان المغرب: شواهين.
(٣٣) في العقد والبيان المغرب: جادت.
(٣٤) في العقد: بالسيف. وفي البيان المغرب: بالنسف.

- ١٢) بنفسى تنانين (٣٥) الوغى حين صممت إلى الجبل المشحون صفاً على صفٍ
 ١٣) يقول ابن بلوش (٣٦) لموسى (٣٧) وقد دنا (٣٨)
 ١٤) قتلناهم ألفاً وألفاً ومثلها
 ١٥) سوى ما (٣٩) طواه النهر في مسلجيه (٤٠)
 ١٦) لقد نيمت فيه غزاة نُسورنا
 ١٧) وجارت ثنايا فيه أغسير ما يد (٤٣)
 إلى الجبل المشحون صفاً على صفٍ
 أرى الموت قدامي ونحني ومن خلفي
 وألفاً وألفاً بعد ألف إلى ألف
 فأغرق فيه أو تدهده (٤١)، من جرف
 وسمعت الذؤبان قُضفاً على قُضف (٤٢)
 غداة قفلنا من نسورهم العُجف (٤٤)

التخريج: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٥/ ٢٢٠ - ٢٢١ ما عدا الأبيات ٩،
 ١٦، ١٧، ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكى)، ص
 ٢٩٨ - ٣٠١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ١١١ - ١١٢ ما
 عدا الأبيات ٩، ١٦، ١٧.

قافية القاف

(١٨)

أورد كثير من الدارسين ومحققى المصادر التي اعتمدها في هذا
 البحث، أن هنالك ترجمة لعباس بن فرناس في كتاب بتيمة الدهر في
 محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م). وبعد

- (٣٥) في العقد: تانير.
 (٣٦) في العقد: ابن بليوس، وفي البيان المغرب: ابن يوليش.
 (٣٧) لعلمه موسى بن ذي النون (انظر / ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكى) ص
 ٣٤١.
 (٣٨) في البيان المغرب: ونى.
 (٣٩) في البيان المغرب: سوى من.
 (٤٠) في العقد: مستلجه.
 (٤١) في العقد: تدادا. وفي البيان المغرب: تدادا.
 (٤٢) سقط هذا البيت من العقد والبيان المغرب.
 (٤٣) علق الدكتور محمود مكى محقق المقتبس على هذا الشطر بقوله: كذا ورد هذا الشطر في
 الأصل، وقد يكون: وحازت ثناياها على غير ما يد.
 (٤٤) سقط هذا البيت من العقد والبيان المغرب.

الرجوع إلى مختلف طبعات هذا الكتاب لم أَعثر إلا على ثلاثة أبيات ينسبها
الثعالبي لشاعر سماه «عباس بن قرماس»

وقد يبدو الأمر في البداية تصحيفاً لاسم عباس بن فرناس لا سيما أن
الأبيات الثلاثة واسم قائلها وردت في القسم المخصص لشعراء الأندلس من
كتاب اليتيمة، وأن الأبيات تحمل بعض السمات الفنية لشعر ابن فرناس مثل
استخدام الألفاظ والمصطلحات الفلكية في مجال الغزل، ومع أن احتمال
كون الأبيات الثلاثة من شعر ابن فرناس ليس بعيداً، إلا أن هنالك ما ينفي
هذا الاحتمال، وهو تصدير الثعالبي لهذه الأبيات بقوله: «أنشدني له»، وإذا
كان من غير الممكن أن ينشد عباس بن فرناس المتوفى سنة ٢٧٤هـ / ٨٨٧م
شعراً للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م، بحكم التباعد الزمني
والمكاني بينهما، فإن الجزم بنسبة الأبيات إلى ابن فرناس غير جائز. وفيما
يلي نص ما ورد في كتاب اليتيمة (٤٥):

عبّاس بن قرماس

أنشدني له [من الطويل]:

(١) وأحورَ ما يُعْفِي العيونَ من العِشْقِ
(٢) وللحُسنِ في خديهِ شمسٌ مقيمةٌ
(٣) وما العيشُ إلا ميتةُ الهَجْرِ والنوى
له كذبٌ في الجدِّ أحلى من الصِدْقِ
وبدرُ كمالٍ لا يحورُ إلى مَحْنِ
بأحورَ ما يَبْقَى هواءُ ولا يَبْقَى

(١٩)

وقال عبّاس بن فرناس في كوز: [الكامل]

(١) ومعممٍ لم يبقَ في جُثمانه
(٢) حَنِيئٌ على كسحيه من بُرحائه
إلا حُشاشةٌ مهجةٍ لم تُزْفِقِ
عَضدانٌ فهو كموثِقٍ لم يُطْلَقِ

(٤٥) الثعالبي: يتيمة الدهر، ٢/١٨.

(٣) حَلَّتْ عِمَامَةٌ رَأْسَهُ فَتَضَوَّتْ مِنْهُ مَفَارِقُهُ بِمِثْلِ الزُّنْبِقِ

التخریج : الکتانی : التشبیہات ، ص ٩٨ .

(٢٠)

وقال عباس بن فرناس في السراب : [الكامل]:

(١) يَفْلُقْنَ لَجَّةَ آلِهِ فَسَامَمَهَا حَادٍ وَأَحْرُ خَلْفَهَا لَمْ يَلْحَقِ

(٢) فَكَأَنَّ ذَا مُوسَى وَذَاكَ بِإِسْرِهِ فَرَعُونَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَنْفَرِقِ

التخریج : الکتانی : التشبیہات ، ص ١٧٧ .

قافية اللام

(٢١)

ونشأ بينه وبين مؤمن بن سعيد مهاجاة، فأفحش الاثنان، ومن قول ابن

فرناس فيه : [الطويل]:

(١) تَرَى أَثَرَ الْأَعْرَادِ فِي جُحْرِ مُؤْمِنٍ كَأَثَارِ قَضْبٍ فِي رِمَادٍ مَغْرِبَلٍ

التخریج : ابن سعيد الأندلسي : المغرب ، ١ / ٣٣٣ .

(٢٢)

وقال عباس بن فرناس في ابتلاج الصبح : [الطويل]

(١) فَبِتْنَا وَأَنْوَأَ النَّعِيمِ ابْتَدَأْنَا وَلَا غَيْرَ عَيْنِيهَا وَعَيْنِي كَالِي

(٢) إِلَى أَنْ بَدَأَ وَجْهَ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ جَبِينُ فِتَاةٍ لَاحَ بَيْنَ جِجَالِ

التخریج : الکتانی : التشبیہات ، ص ٢٧ .

قافية الميم

(٢٣)

في سنة ٢٦١هـ قام عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بثورة في قرطبة سعيًا للإمارة، فاستولى على حصن الحنش، وكان الأمير محمد يضربهم بالمنجنيقات، مما اضطر عبد الرحمن إلى طلب الأمان ورحل إلى بَطْلَيْوس (٤٦). «وأشده الرازي (*) لعباس بن فرناس الشاعر في ذكر الحرب بقلعة الحنش ومصابرتها رجام المجانيق من شعره في الأمير» (٤٧):

[البيط]:

(١) يا ابن الخلائف من مروان أنجَبَكَ ال
(٢) سَخَّرْتَ لِلْحَنْشِ الْمَرْجُومِ ذَا جَنْشِ
(٣) كَانَ أَنْفَاسُهُ مِنْ سُمِّهِ لَهْبُ
(٤) مَا قَلَعَةُ الْحَنْشِ الْمَرْجُومِ
(٥) كَالْيَمِّ تَسْمَعُ فِي حَافَاتِهِ قَصْفًا
(٦) كَأَنَّمَا بَيْنَ لُجَيْهِ وَقَدْ دَرَجَتْ
(٧) اللَّهُ مِنْ ذَلَّتِ الدُّنْيَا لَصَوْلَتِهِ

بيضُ الجهاضيم والغرُّ اللهاميمُ
كلُّ البرية..... مهزوم
فكلُّ ما مسَّ ملدوغٌ ومغشومٌ
لجحفلٍ حرَّجَتْ عنه الدياميمُ
من كلِّ أوبٍ له كالرعد هينومُ
سفينَةٌ عَطَبَتْ فِي جَوْفِهَا رُومُ
ومن له الدهرُ أعلى الفتحِ مقسومُ

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٥٧ -

٣٥٨.

(٢٤)

«وغنى أبو الحسن زريابُ يوماً بين يدي الأمير عبد الرحمن بن

(٤٦) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٤٣ - ٣٥٦.

(*) سلفت الترجمة له.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين، وهما لأبي
العتاهية: [الكامل]

قالت ظلومُ سَمِيَّةُ الظلمِ مالي رأيتك ناحلَ الجسمِ
يا مَنْ رأى قلبي فأقصده أنت الخبيرُ بموقع السهمِ

فقال عبد الرحمن: هذان البيتان منقطعان، فلو كان بينهما ما يصلهما
لكان أبدع، فصنع عبيد الله بن فرناس (٤٨) بديهاً: [الكامل].

(١) فأجبتها والدمعُ مُنَحْدِرٌ مثل الجمانِ وهي من النَّظْمِ
فاستحسنه وأمر له بجائزة.

التخريج: المقرئ: نفع الطيب، ٦١٥/٣.
(٢٥)

قال عباس بن فرناس في الطرد: [الرجز]:

(١) قد أعتدي والليلُ مركومُ الظلمِ والصُّبْحُ في ثني الظلامِ مُكْتَنَمٌ
(٢) بأغضبِ مُعَلِّمٍ أو قد عَلِمَ كأن شقَّ الشدقِ مِنْ فيه القَضْمِ
(٣) كافٌ أُجيدَ مَطْهًا في حُسْنِ ضَمِّ حتى إذا كُنَّا على ظهْرِ إِضْمِ (٤٩)
(٤) عَنَّتْ لنا أرنبُ من نحوِ سَلَمِ (٥٠) فَتَارَ منها الكلبُ كالصقْرِ الشِهْمِ
(٥) حتى إذا ما كان منها في الأُمِّ بينهما في الفوتِ مقدارُ القَدَمِ
(٦) جادت له بعطفةٍ لم تُتَّهَمِ كما اثني في رَجْعِهِ مشقُّ القَلَمِ

التخريج: الكتاني: التشبيهات، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٤٨) هكذا ورد الاسم في نفع الطيب للمقرئ، وجميع المعطيات في هذه الرواية تنطبق على
عباس بن فرناس، ولا أستبعد وقوع تصحيف في الاسم.

(٤٩) إضم اسم موضع، وهو وادٍ دون المدينة (الحميري: الروض المعطار، ص ٤٥ وفي لسان
العرب أنه جبل).

(٥٠) السلم: شجر ومفردها سلمة (لسان العرب: سلم).

قافية النون

(٢٦)

ولعباس بن فرناس في ذلك (٥١) أيضاً من كلمة: [البيسط]:

- (١) محمدٌ خيرٌ مُسْتَرَعَى ومُؤْتَمِنٌ للمسلمين جميعاً حيثُما كانوا
(٢) بنى لهم مسجداً جَلَّتْ عَجَائِبُهُ لولا السماء لما ضاهاه بُنيانُ
(٣) كذا يكون الإمامُ المرتضى أبداً أقوى صباباته تقوى وإيمانُ

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢٧)

ومنها صوت (٥٢) [المنسرح]:

- (١) يا مَنْ لِيَصَبِّ يَظَلُّ محزوننا بشادنٍ ما يزالُ مكنوننا
(٢) صِبْغَتُهُ فما ينفك من يصطفيه مفتونا
(٣) هواه السماء محزوننا

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٦.

(٢٨)

في سنة ٢٥٩هـ حقق الأمير محمد مجموعة انتصارات في طليطلة

(٥١) مناسبة هذه المقطوعة هي الزيادة التي زادها الأمير محمد بن عبد الرحمن في المسجد الجامع في قرطبة وزخرفة ذلك الجامع وصلاته فيه ومثول الشعراء بعد خروجه إلى قصره ومنهم عباس بن فرناس ومؤمن بن سعيد وغيرهما (انظر خير هذه الزيادة في المقتبس لابن حيان (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢١٩ - ٢٢٣).

(٥٢) من المقطوعات التي نظمها ابن فرناس في مدح الأمير محمد لكي تلحنها جوارى الأمير وتغنيها له مقابل صلة يدفعها الأمير لابن فرناس (ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٤ - ٢٨٥).

وظلييرة وبنبلونة(٥٣) ولعباس بن فرناس كبير الجماعة في تهنة الأمير محمد لقفولة عن غزوته هذه وذكر اقتراانه بحضور عيد الفطر من سنته قصيدة حسنة أولها(٥٤) [البسيط]:

- (١) إن القفول الذي أوفى بعيدتي
(٢) قدوم أكرم من في الأرض قاطبة
(٣) طابا كتفاحتي خدتي منعمة
(٤) معقريتي كنوني كاتب نقيطا
(٥) أو مقلتي رشأ في طرفه حور
(٦) أو كاجتماع الهوى والوصل في قرن
(٧) دل اجتماعهما في الأربعاء على
(٨) من العباشمة الغر الألى كرهوا

التخريج: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٣٨ -

٣٣٩.

(٢٩)

[وقال(٥٦): [الكامل]

- (١) قد تم ما حملتني من آلة
(٢) لو كان بطليموس ألهم صنعة
أعيا الفلاسفة الجهابذ دوني
لم ليثقل(٥٧) بجداول القانوي

(٥٣) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٢٩ - ٣٣٨.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٥٥) البابليان هما السحر والخمر وينسبان إلى بابل.

(٥٦) ذكر محمد عبد الله عنان أنه قرأ هذه الأبيات في نسخة مخطوطة من كتاب المقتبس لابن

حيان، وذكر أن ابن فرناس بعث بهذه الأبيات برفقة الآلة الغسماة ذات الحلق التي رفعها

إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم.

(٥٧) كذا في كتاب تراجم إسلامية، وتقديري أنها: يثقل.

- (٣) فإذا رأته الشمسُ في آفاقها
بعثتُ إليه بنورها الموزونِ
(٤) ومنازل القمر التي حجبت معاً
دون العيون بكلِّ طالع حين
(٥) يبدون فيها بالنهار كما بدت
بالليل في ظلماتهنَّ الجون

التخريج : عنان : تراجم إسلامية ، ص ٢٦٧ .

قافية الهاء

(٣٠)

ومن ذلك [الخفيف] :

- (١) إن تلك التي أحنُّ إليها
وعذابي وراحتي في يديها
(٢) نَظَرَ النَّاسُ فِي الْهَلَالِ لِفَطْرِ
فَتَبَدَّتْ فَأَفْطَرُوا إِذْ رَأَوْهَا
(٣) ذَاكَ فِي سَبْعَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا
فَذَنُوبُ الْعِبَادِ طُرًّا عَلَيْهَا
(٤) وَلِحِينِي بَانَتْ وَلَمْ تَشْفِ قَلْبًا
مُسْتَهَامًا يَطِيرُ شَوْقًا إِلَيْهَا

التخريج : الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٦٦٨/١٦ .

ثبت المصادر والمراجع

- ١ - ابن الأثير، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلسي (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م):
التكملة لكتاب الصلة ٢ ج، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.
- ٢ - ابن الأثير:
الحلة السراء ٢ ج، حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.
- ٣ - ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م):
نزهة الألباء في طبقات الأدباء، قام بتحقيقه الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٤ - الأوسي، الدكتور حكمة علي:
مظهران من مظاهر الأصالة المبكرة في الفكر العربي، بحث قدمه في مؤتمر الحضارة الأندلسية الذي عقد في القاهرة في شهر آذار ١٩٨٥م.
- ٥ - ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشتريني (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٨م):
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٤ أقسام في ٨ مجلدات)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٦ - ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م):
كتاب الصلة ٢ ج، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

- ٧ - الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م):
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٥ ج، شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٨ - الجرّاري، عبد الله بن العباس .
تقدّم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.
- ٩ - حميد، الدكتور بدير متولي:
قضايا أندلسية، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.
- ١٠ - الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م):
جدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.
- ١١ - الحميري، محمد بن عبد المنعم:
كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.
- ١٢ - ابن حيّان، أبو مروان حيّان بن خلف بن حيّان (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م):
- كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق الأب ملشورم .
أنطونية، باريس، ١٩٣٧م.
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه وقدم له الدكتور محمود علي مكّي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- ١٣ - ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٣م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ ج، حققه الدكتور إحسان عباس،
دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١٤ - الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي (ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م):
طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار
المعارف، مصر، ١٩٧٣م.

١٥ - ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٨م):
المغرب في حُلَى المغرب ٢ ج، حققه وعلّق عليه الدكتور شوقي ضيف،
طبعة ثانية منقّحة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

١٦ - السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت
٩١١هـ / ١٥٠٥م):

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢ ج، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٧ - شلبي، الدكتور سعد إسماعيل:
الأصول الفنيّة للشعر الأندلسي (عصر الإمارة)، دار نهضة مصر للطبع
والنشر، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٨ - الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م):
كتاب الوافي بالوفيات:

- الجزء الثالث عشر، باعثناء محمد الحجيري، دار النشر فرانز شتاينر،
فيسبادن، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- الجزء السادس عشر، باعثناء وداد القاضي، دار النشر فرانز شتاينر،
فيسبادن، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

- الجزء الثامن عشر، باعثناء أيمن فؤاد سيد، دار النشر فرانز شتاينر،
فيسبادن - شتوتغارت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٩ - الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م):

بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي،
١٩٦٧م.

٢٠ - عباس، الدكتور إحسان:

تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، طبعة ثانية منقحة
مزيدة، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ١٩٦٩م.

٢١ - ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م):
العقد الفريد ٨ ج، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، ١٣٥٩هـ/
١٩٤٠م.

٢٢ - ابن عذاري المراكشي:

كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٤ ج، تحقيق ومراجعة:
ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت.

٢٣ - عثمان، محمد عبد الله:

تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي،
القاهرة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

٢٤ - ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ (ت
٤٠٣هـ / ١٠١٢م):

تاريخ علماء الأندلس ٢ ج، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

٢٥ - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م):
البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، حققه محمد المصري، منشورات
مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/
١٩٨٧م.

٢٦ - القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٢٤هـ/
١٢٢٦م):

إنباه الرواة على أنباه النحاة ٤ ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار

الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٢٧ - الكتّاني، أبو عبد الله محمد بن الكتّاني الطيب (ت ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م): كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ١٩٦٦م.

٢٨ - الكتّبي، محمد بن شاعر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م): فوات الوفيات والذيل عليها ٥ ج، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

٢٩ - لسان الدين بن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٥م):

تاريخ إسبانيا الإسلامية أو أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفسال، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.

٣٠ - المقرئ، الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣٢م):

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٨ ج، حققه الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

٣١ - ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م):

معجم البلدان ٥ ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الوجدان الجماعي في الشعر الجاهلي

للدكتور عبدالغني زيتوني
مدرس الأدب القديم بجامعة حلب

إن مجتمع القبيلة في العصر الجاهلي، بعلاقاته ونظمه وعاداته وأعرافه، هو المجتمع الذي يولد فيه العربي، ثم ينشأ متشرباً بنظمه وعاداته وأعرافه التي تبنى على دعامة أساسية هي النسب. وحينما يفتح الفرد عينيه على ما حوله يجد أن كل امرئ في قبيلته يتغنى بانتمائه، ويعتد بأرومته، بدءاً من والده وإخوته، وانتهاءً إلى رهطه وعشيرته، فجنسيته جنسية القبيلة المنحدر منها، و«هويته» التي يحملها دائماً، في حله وترحاله، اسم قبيلته، ذلك الاسم الذي يميزه بين أفراد القبائل الأخرى، والذي يعصمه أن يتيه بينهم.

فلا غرابة بعد ذلك أن نجد الشعر الجاهلي يبرز الإنسان العربي متعصباً لقبيلته أشد التعصب، ملتحمًا بها ألصق الالتحام، لأنه يعي ويدرك أن وجوده، مرتبط بوجودها، وفناءه مقرون بفنائها. ولا أدعى لهذه العصبية، وهذا الالتحام من شعوره بوحدة النسب، أي وحدة الدم التي تربطه بأفراد

القبيلة جميعاً، والتي تجعله يحس أنه عضو في جسم القبيلة، يصيبه ما يصيب القبيلة، فيفرح لفرحها، ويحزن لحزنها، ويظعن لظعنها، وينزل لنزولها، وإذا أُغبر عليها هبّ لنجدتها، ذائداً عن حياضها، وشعاره صيحات قوية تعلن انتسابه إليها، وإذا اعتدي على فرد منها انطلق إلى الثأر من القبيلة المعتدية. وفضلاً عن ذلك كله فإنه ينقاد لسيدها، ويخضع لما تمليه عليه نظماً وأعرافها.

فالنزعة العصبية تعني تمسك العربي بنسب قبيلته تمسكاً شديداً، وخضوعه التام لشريعة القبيلة. وهذه العصبية هي التي تهب الأفراد القوة والتأزر في مواجهة الأعداء. وقد ألمح ابن خلدون إلى هذا الأمر في قوله: «ولا يصدق دفاعهم وذباؤهم إلا إذا كانوا عصبيةً وأهل نسبٍ واحدٍ، لأنهم بذلك تشتد شوكتهم، ويخشى جانبهم، إذ نعمة كل أحد على نسبه وعصبية أحم، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعمرة على ذوي أرحامهم وقرباهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر، وتعظم رهبة العدو لهم» (١).

١ - الالتزام القبلي :

لا غرو، بعد أن عرفنا مدى عصبية الفرد، أن يقف الإنسان العربي موقف الملتزم بقضايا القبيلة وحقوقها وواجباتها، لا يكاد يخرج عن هذا الالتزام. ولما كان الشاعر فرداً من أفراد القبيلة فقد اتخذ الموقف نفسه، بل إنه تحمل أعباء أكثر، لما له من أهمية في الحياة الجاهلية، لذلك حمل لواء الشعر مدافعاً عن قبيلته أشد الدفاع، ومفتخراً بماثرها وأمجادها أعظم الافتخار. وإذا كانت المهمة التي يقوم بها الشاعر، في أي مجتمع كان، هي الكشف عن العقلية المنتشرة في ذلك المجتمع، إذ يشعر بها ويعبر عنها (٢)، فإن هذه المهمة تنطبق تماماً على ما قام به الشاعر الجاهلي، فقد جعل من شعره مرآة صادقة تعكس قضايا القبيلة في حالتها الحربية والسلام، فضلاً عن وقوفه مع قبيلته، مدفوعاً بنزعة العصبية تجاهها، فإذا هو يرى أن نسبها أشرف

الأنساب، وأن شجاعتها ما بعدها شجاعة، وأن فضائلها وخلالها الحميدة تربو على ما عداها من فضائل القبائل الأخرى وخلالها.

وتلك الرؤية ليست قصراً على الشاعر وإنما يشترك فيها معظم أفراد القبيلة، وما الشاعر إلا لسان حال القبيلة، يعبر في شعره عن انفعالات أفرادها وأحاسيسهم وطموحاتهم، فيقلها إلى الآخرين، فشعره لا يعكس شعوراً ذاتياً فقط، وإنما يعكس شعور جماعته أيضاً.

وهكذا نجد في كثير من الشعر الجاهلي ذلك التعبير عن طغيان الروح الجماعية على الإنسان العربي، وقد جُلِّت هذه الروح في نزعتها العصبية التي جعلته لا يكاد يخرج عن مجتمع القبيلة والالتزام به؛ ذلك أن الفرد في القبيلة عليه أن يتبعها في أمورها كلها سواء أكانت مصيبة أم مخطئة، فما تقرر هو القرار النافذ الذي لا ينبغي لأحد أن يخرج عليه، على الرغم من ظهور فساده أحياناً. وقد عبّر عن مثل ذلك الموقف دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ حين قال (٣):

أمرتهمُ أمري بمُنْعَرَجِ اللَّوَى فلم يستينوا الرُّشْدُ إلاَّ ضحى الغدِ
فلما عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ، وقد أرى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْتِي غَيْرُ مُهْتَدِي
وما أنا إلاَّ من غَزِيَّةٍ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرُشِدُ غَزِيَّةٌ أَرُشِدِ

إذن فثمة مصير واحد لجميع أفراد القبيلة، والالتزام بها يحتم على العربي أن يكون مع قومه في السراء والضراء. وقد تحول تمسك الفرد بمصير القبيلة إلى أسطورة يتناقلها العرب جيلاً بعد جيل عن وقد عاد، حين خيروا من السماء، وكانوا ثلاثة، فاختر اثنان منهم ما يحقق آمالهما، أما الثالث، وهو قَيْلُ بْنُ عَتْرٍ، فقال: «أختر أن يُصَيِّبني ما أصاب قومي، فقيل: إنه الهلاك. قال: لا أبالي؛ لا حاجة لي في البقاء بعدهم»، فأصابه ما أصاب عاداً من العذاب فهلك» (٤).

إن من أهم مظاهر نزوع الفرد نحو قبيلته، كما يبدو من الشعر، حرصه الشديد على النسب والاعتزاز به، ولم لا؟ وهو أقوى صلة تربطه بقومه،

وتشد أواصر العصبية معهم . فلا غرابة بعد ذلك أن يطمح إلى أن يجعل نسبه في الذروة من الشرف والرفعة ، وأن يجعل الأجداد والآباء الذين ينتمون إليه في مقام السادة العظماء . ونجد صدى ذلك في قول معاوية بن مالك (٥) :

إني امرؤ من عَصْبَةٍ مشهورة حُشِدٍ لهم مَجْدٌ أَشْمٌ تَلِيدٌ
ألقوا أباهم سيداً وأعانهم كرمٌ وأعمامٌ لهم وُجُدودٌ
إذ كلُّ حيٍّ نابتٌ بأرومةٍ نَبَتَ العَصَاهِ فَمَاجِدٌ وَكَسِيدٌ
وإذا نوافقُ جُرأةً أو نجدةً كنا، سُميَّ، بها العدو نَكِيدٌ

فالشاعر يؤكد انتماءه إلى قومه الذين يشكلون عصبه قوية ملتحمة الأطراف، تشمخ متطاولة بأمجادها نحو السماء، قد رعاها الآباء والأعمام والأجداد حتى جعلوها كشجرة وارفة الظلال تنضح عبيراً فواحاً من المجد والسيادة، وتقف صامدة راسخة أمام زعزعة الرياح، لِمَا لها من قوة الأغصان وصلابة الفروع .

وعلى هذه الشاكلة ينزع سلامة بن جندل السعديُّ إلى الفخر بانتسابه إلى قومه الذين يجمعون إلى شرف المحند شجاعة في القتال، ورأياً صائباً في حل قضايا القبيلة، وإحلال الوفاق والوثام بين أفرادها (٦) :

إني امرؤ من عَصْبَةٍ سَعْدِيَّةٍ ذَرَبِي الأَسِنَّةِ كُلِّ يَوْمٍ تَلَاقِي
لا ينظرون إذا الكتيبةُ أَحْجَمَتْ نَظَرَ الجِمالِ كُرْبِينَ بالأوساقِ
يَكْفُونَ غَائِبَهُمْ وَيُقْضَى أَمْرُهُمْ في غيرِ نَقْضٍ مِنْهُمْ وَشَقَاقِ
والخيلُ تعلم من يَبْلُ نَحْوَرَهَا بدمِ كِماءِ العَنْدَمِ المَهْرَاقِ

وشبيه بذلك أيضاً فخر الأعشى بعصيته القيسية، وبشبابها الذين يفوقون الآخرين شجاعة وجمالاً، فضلاً عن اتصافهم بالأنفة والعزة والكرم (٧) .

إن اعتزاز الإنسان العربي بنسبه جعله يغلو في بعض الأحيان، فلا يرى نسبا يضاهي نسب قبيلته نبلا وشرفا، ولا يرضى أن يتناول أحد من

القبائل الأخرى، فيظن نفسه أعلى نسبا وأشرف أرومة، وما الرواية الآتية إلا صورة واضحة لذلك الغلو.

فقد ورد أن بدر بن معشر من بني مُدْرِكَةَ وقف في الجاهلية، بسوق عُكاظ، يفخر بنسبه، ويقول:

نحن بنو مُدْرِكَةَ بنِ خَنْدِيفٍ من يَطْعُنُوا في عينه لم يَطْرُفِ
ومَنْ يكونوا قَوْمَهُ يُعْطِرُفِ كأنه لُجَّةُ بَحْرِ مُسْدِيفِ

ثم مدَّ رجله، وقال: «أنا أعزُّ العربِ، فمنَّ زعم أنه أعزُّ مني فليضربها». فلم يطق الأحمَرُ بن مازن المَوازِنِي عنجهيته ورفع نسب قبيلته فوق أنساب القبائل الأخرى، فاستل سيف، وضرب رجله، فأندرها من الركبة، غير مبالٍ بحرمة الشهر الحرام وقد كاد الشريستفحل بين قبيلتي الرجلين، لولا أنهم جنحوا إلى الصلح فيما بينهم.

وقد سجل الأحمَرُ تلك الحادثة في شعره، فقال(٨):

إني وسيفي حليفا كل داهيةٍ من الدَّواهي التي بالعمد أُجْنِيها
إني نَقَمْتُ عليه الفخر حين دعا جَهْرًا وأبرز عن رجل يُعْرِيها
ضربتها أنفا إذ مدها بطراً وقلت دونكها، خُذها بما فيها
لما رأى رجله بانث بركبتها أوَمَى إلى رجله الأخرى يُفدِّيها

وتلك، لا شك، صورة للغلو الشديد في التعصب القبلي، ولم تكن هي الصورة السائدة في العصر الجاهلي؛ إذ لكل قبيلة مكانتها في مدارج النسب والشرف، تعرفها لها القبائل الأخرى وتضعها موضعها فيها. أما إذا حدث، أحياناً، إفراط من فرد ينتمي إلى قبيلة ما، فإن إفراطاً آخر يقابله من الطرف الآخر على الأغلب، وتكون عاقبته شبيهة بما حدث لساق بدر بن معشر بسوق عُكاظ.

لقد نهل الإنسان العربي من حب قبيلته حتى غدا لا يلهج إلا بذكرها، وفي كثير من الأحيان لم يكن يرى في قبيلته إلا نموذجاً مثالياً للكمال والرفعة

والسؤدد؛ فإذا هوي نحت لها تمثالا بديعا يجمع فيه أفضل الصفات الخَلْقِيَّةِ
والخُلُقِيَّةِ .

وليس أدل على ذلك الحب من معلقة عمرو بن كلثوم التي لم يدع فيها
فضيلة من الفضائل إلا جعلها لصيقة بقومه بني تغلب، ولا صفة من صفات
البطولة إلا أسبغها عليهم . ولم يكتف بذلك فقد تضخمت في نفسه تلك
الفضائل والصفات حتى فاضت في قوله (٩):

لنا الدنيا ومَنْ أضحى عليها ونبطشُ حين نبطشُ قادرينا
إذا بلغ الفِطامَ لنا صبيٌّ تخِرُّ له الجبابِرُ ساجدينا
ملأنا البرَّ حتى ضاقَ عنَّا وظهرَ البحرُ نملؤه سفينا

إن نفس الشاعر قد امتلأت بعظمة القبيلة حتى ذابت فيها ذوبانا تاما،
فلم تعد تعتبر إلا بلسانها، وغابت «أنا» الشاعر لتحل محلها «نحن» القبيلة،
وظهر ذلك واضحا في استخدام ضمائر الجمع في الأفعال والأسماء، ولم
يقتصر استخدامها على الأبيات السابقة، وإنما شمل أكثر أبيات المعلقة .
فلم يعد مستغربا، بعد أن استحوذت القبيلة على كيان الشاعر، أن نراه
يجعلها مالكة الدنيا، ومسيطرة على مَنْ فيها من القبائل .

وقد نهج الشاعر عامر المُخاربيّ نهجا مماثلا تجاه قبيلته؛ إذ جعله
التزامه نحوها ينطلق إلى رفعها إلى مكانة عالية من الشجاعة في القتال، وإلى
الدَّروَّة الشامخة من السيادة والمهابة (١٠):

أولئك قومي إن يُلذُّ بيوتهم أخو حَدَثِ يوماً فلن يتَهَضَّمَا
وكم فيهم من سيِّدِ ذي مهابةٍ يُهابُ إذا ما رائدُ الحربِ أضرمَا
لنا العِزَّةُ القَعَساءُ نَحْتِمْ العِدَى بها ثم نَسْتَعْصِي بها أن نُخْطَمَا
هُم يَطْدُونَ الأرضَ لولا هُم ارتمتُ يَمَنُ فوقها من ذي بَيانٍ وأعجمَا

إن طغيان الروح الجماعية على الشاعر والتزامه القبلي جعلاه لا يرى
في الوجود غير قبيلته، فهي المحور الذي تدور عليه حياة الآخرين، فإذا ما

زالت انتهت الحياة بمن فيها، ومن هنا نجد أن حياة الشاعر قد اندمجت في حياة القبيلة وغدت حياة واحدة، لأنه ربط ربطاً سببياً بين وجوده ووجودها، فأبى وجود ينتهي فإن الوجود الآخر ينتهي أيضاً، فهي علة الحياة وعلة الوجود ولولاها لما كانت حياة ولما كان وجود.

وهكذا أوضح لنا الشعر جلياً التزام الإنسان العربي بقبيلته؛ فقد ظهر ذلك الالتزام في خضوعه التام لها، وفي فخره بالانتماء إلى نسبها، وفي رؤيته المثالية لمآثرها وأمجادها. وسنجد أن نزعتة العصبية جعلته أيضاً ينقاد لسيدها انقياداً تاماً، ويرفع من مكانته إلى أعلى المراتب.

٢ - سيد القبيلة :

إن نزوع الفرد نحو قبيلته وميله المفرط تجاهها دفعاه إلى أن يرى في سيدها المثل الأعلى، وأن يرى في صفاته صفات فريدة تميزه من سائر الأفراد الآخرين؛ إذ إن قضايا القبيلة وواجباتها نحو أفرادها، ونحو القبائل الأخرى كثيرة ومختلفة، فكان لا بد لرئيسها أن يتحمل عبء القيام بالتوجيه والإرشاد وحمل المسؤولية أمام مجتمع القبيلة، الذي يعيش، غالباً، حياة غير مستقرة في مواجهة طبيعة قاسية، تجبره على التنقل والارتحال، وفي مواجهة أعداء أولي بأس وقوة يجبرونه على التيقظ والحذر.

وذلك كله جعل الإنسان العربي يطلب في سيده خلاصاً وشمائل كثيرة، تخوله قيادة القبيلة في تلك الحياة الشاقة. وقد أمدتنا الروايات والنصوص الشعرية بمعظم صفات الرئاسة، مما يجعلنا نكون رؤية واضحة لسيد القبيلة. فقد ورد أن أهل الجاهلية كانوا: «لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال، السخاء، والنجدة، والصبر، والعلم، والتواضع، والبيان» (١١). كما ورد: «أنه قيل لقيس بن عاصم: بم سُدَّتْ قَوْمُكَ؟ قال: يبذل الندى، وكف الأذى، ونُصِرَ المولى، وتعجيل القرى» (١٢).

وفضلاً عن تلك الصفات لا بد لسيد القبيلة من أن يتحلَّى بالعقل والرأي الصائب، وأن يكون ذا حيلة وفطنة للتخلص من المعضلات في

الحرب والسلم . كما لا بد له من أن يكون شجاعا مقداما مُلِمًا بفنون القتال وقيادة المعارك، يمتلك جسما قويا قادرا على الصبر والتحمل في الشدائد، وهذا ما وُصِفَ به عامر بن الطفيل، سيد قبيلة جعفر بن كلاب، إذ قيل عنه: «كان لا يَضِلُّ حتى يَضِلَّ النُّجْمُ، ولا يعطش حتى يعطش البعيرُ، ولا يهابُ حتى يهاب السَّيْلُ، كان، والله، خير ما يكون حين لا تظنُّ نفسُ بنفسٍ خيرا» (١٣).

وذهب قسم من الشعراء إلى أن الرأي الحكيم والشجاعة الفائقة هما أهم ما يتطلبه الفرد في قائد قبيلته ورئيسها، وآية ذلك أنه حينما علم لقيط بن يعمر الإيادي بحشد كسرى جيوشه للإغارة على قومه بعث إليهم شعرا يحذّرهم فيه، ويطلب منهم أن يتخيروا قائدا يتصف بصفات السيادة، وفي مقدمتها شجاعة القتال وحنكة التفكير (١٤):

فقلّدوا أمركم، لله ذرُّكم	رَحِبَ الدَّرَاعِ بِأمر الحرب مُضْطَلِعَا
لا مُتْرَفًا إن رَخَاء العيش ساعده	ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ به خَشَعَا
مُسَهَّدَ النومِ تَعْنِيهِ تُغْوِرُكُمْ	يَرُومُ منها إلى الأعداءِ مُطَّلِعَا
ما انفكَّ يَجْلِبُ ذَرَّ الدَّهْرِ أَشْطَرُهُ	يكون مُتَّبِعًا طَوْرًا ومُتَّبِعَا
وليس يشغله مالٌ يُثْمِرُهُ	عنكم ولا ولدٌ يَبْغِي له الرِّفْعَا
حتى استمرت على شَزْرِ مَرِيرَتُهُ	مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لا قَحْمًا ولا ضَرَعَا

فالقائد الذي يطلبه لقيط يتصف بالشجاعة ومعرفة فنون الحرب، والرأي الحكيم، والخبرة التامة بحلو الحياة ومرها، همه أمن القبيلة والمحافظة عليها، كما يفضل أن يكون قوي الجسد متين البنية، تام الرجولة، فلا هو شيخ كبير ولا هو حدث صغير.

ويبين لنا الشعر أن مهام سيد القبيلة تتعدى القيادة والتوجيه إلى تكفله، في أكثر الأحيان، بسد عوز الفقراء من أفراد قومه، وغالبا ما يكون له بيت خاص يأتون إليه فيجدون فيه ما يقضي حوائجهم، ويشبع بطونهم كما يرتاده

أيضا الأضياف وعابرو السبيل، فيلقون فيه الطعام والمأوى. ذلك أن سجية الكرم والجود والعطاء من أبرز الصفات التي ينبغي أن تكون في سيد القبيلة، وقد رأينا أن قيس بن عاصم افتخر بأنها هي التي جعلته سيد قومه. كما وجدها الأعمى أظهر خصال قيس بن معد يكرب سيد كِنْدَةَ حين مدحه، فقال (١٥):

وسعى لِكِنْدَةَ، غير سعي مَواكِلِ، قيسُ، فَضَّرَّ عدوَّها وبنى لها
وأهانَ صالحَ ماله لفقيرها وأسى، وأصلحَ بينها، وسعى لها
وترى له ضُراً على أعدائه وترى لنعمته على مَنْ نالها
أثراً من الخير المُزِينِ أهله كالغيثِ صابٍ يبلده فأسألها

وفضلاً عن ذلك فإن سيد القبيلة كان يقوم، غالباً، باحتمال الديات عن أفراد قومه، إذا لم يقدرُوا على دفعها، وقد ورد أن رئيس القبيلة إنما قيل له: «السيد المُعَمَّم» لأن كل جنابة يرتكبها رجل من عشيرته تكون معصوية برأسه، كما تعصب به العِمامة (١٦). ومعروف أن هَرَم بن سنان والحارث بن عَوف سيدي بني مُرَّة قد حملا الديات بغية إنهاء الحرب بين عيس وذبيان، مما جعل زهير بن أبي سلمى يمدح صنيعهما في معلقته، وذلك في قوله (١٧):

يميناً لنعم السيدانِ وُجدتُما على كل حالٍ من سَحيلٍ ومُبرَمٍ
تداركتما عيسا وذبيانَ بعدما تَفَانُوا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشَمٍ
وقد قلتما: إن نُدركِ السَّلَمَ واسعا بمالٍ ومعروفٍ من القولِ نَسَلَمٍ
وأصبح يُجَدَى فيهمُ من تِلادِكُم مغانِمُ شَتَّى من إفالٍ مُزَنَمٍ
تعفَى الكلومُ بالمِثِينَ فأصبحتُ يُنَجِّمُها من ليس فيها بِجُجْرِمٍ
يُنَجِّمُها قومُ لقومٍ غرامةً ولم يُسْرِيقوا بينهم مِلءَ مِحْجَمٍ

ويبدو أن كثرة تلك الأعباء المالية التي يتحملها سيد القوم كانت دافعا كبيرا حدا بالعربي أن يخصه بامتيازات وحقوق تفوق امتيازاته وحقوقه هو، ومن ذلك ما يفرد له من الغنائم، كالرباع والنشيطه والصفايا والفضول.

فأما الرباع فهو ربع الغنيمة، وأما النشيطه فإنه كان للرئيس أن ينشط،

عند قسمة المتاع، العَلَقُ النفيس فيأخذه، وأما الصفايا فهو ما يصطفيه لنفسه من الغنيمة قبل القسمة، وأما الفُضُول فهو ما فَضَّلَ عن القسمة بعد توزيع الغنائم. وقد ذكر تلك الحقوق جميعها عبد الله بن عَنَمَةَ في رثائه لِسَطَّامِ بْنِ قَيْسٍ، سيد بني شيبان (١٨):

لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ

هذا عدا عن التقدير والتجلة والاحترام التي يبدئها الإنسان العربي لسيد القبيلة، فضلا عن الطاعة والخضوع لتوجيهه وإرشاده، فقوله القول الفصل في حل النزاعات والخلافات بين أفراد القبيلة وفروعها. ولعل في قول ابن خلدون الآتي في مشايخ البدو ما يصدق كثيرا على سادة القبائل في العصر الجاهلي: «وأما أحياء البدو فيزغ بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة» (١٩).

ويبدو من الشعر أن سعي سيد القوم في حل الخلافات لا يقتصر على قبيلته نفسها، وإنما قد تأتي إليه قبائل أخرى تحكمه في خصوماتها، كما جرى لقبيلتي عبس وذبيان، حين وقع الشر بينهما وأرادتا الصلح، فطلبتا من سُبَيْعِ التَغْلِبِيِّ، وهو سيد تغلب، أن يحكم بينهما. وقد أرسل إليه سَلَمَةُ بْنُ الْحَرْثِيبِ الأَثَمَارِيِّ شعرا، يسأله فيه أن يعدل في الحكم، فلا ينحاز إلى أحد الطرفين، شأن سيد القبيلة المنصف (٢٠):

أَبْلَغُ سُبَيْعًا، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا
أَنْ بَغِيضًا وَأَنَّ إِخْوَتَهَا
نُبِّئْتُ أَنْ حَكْمُكَ بَيْنَهُمْ
إِنْ كُنْتَ ذَا خَبْرَةٍ بِشَأْنِهِمْ
وَتُنزَلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ
فَأَحْكُمْ، وَأَنْتَ الْحَكِيمُ، بَيْنَهُمْ
حَتَّى تُرَى ظَاهِرَ الْحُكُومَةِ مِثْلَ
قَدَمًا، وَأَوْفَى رَجَالِنَا ذِمًّا
ذُبْيَانٌ قَدْ ضَرَمُوا الَّذِي اضْطَرَمًّا
فَلَا يَقُولَنَّ بَشْرٌ مَا حَكَمَّا
تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَّا
حُكْمًا وَعِلْمًا وَتُحْضِرُ الْفَهْمَا
لَنْ يَعْذَمُوا الْحُكْمَ ثَابِتًا صَمًّا
لَلصُّبْحِ جَلَى نَهَارُهُ الظُّلَمَا

هذا وإن لم تُطَقْ حكومتهم فأنبذ إليهم أمورهم سلماً
ولكن لا ينبغي أن يذهب بنا الظن إلى أن الإنسان العربي كان يسلم
أموره كلها لسيد القبيلة، من دون قناعة أو فهم أو محاسبة له، وإنما كان، في
بعض الحالات كما يبين لنا الشعر، إذا شعر بأنه لا يحقق مصالح القبيلة
تماماً، أو أنه غير كفاء لقيادتها وتوجيهها، خلع عنه السيادة وجردّه من
حقوقها. وهذا ما جرى لسيد بني سليم بن قيس، فإنهم كانوا قد نصبوا
عليهم سيّداً، فلما خالفهم في بعض الأمور وثبوا عليه، وأخرجوه من
ديارهم، فقال يزيد بن الصّعق يهجوهم بفعلتهم (٢١):

وإنّ اللّهُ ذاقَ حلومَ قيسٍ فلماً ذاقَ خِفَّتَها قَلاها
رأها لا تطيعُ لها أميراً فخلأها تَرَدُّدٌ في خَلاها

ولهذا كان حرص سادة القبائل ورؤسائها على مشورة ذوي الرأي في
معظم الأمور، ولا يكاد ينفرد سيد القبيلة بأرائه، وإنما كان يشاور مجلساً يضم
أشراف قبيلته، وقد يُعَبَّرُ عنه أحياناً بالملأ (٢٢). وهذا المجلس شهد لدى قريش
تطوراً بارزاً حين أضحي له دار خاصة بمكة تعرف بدار الندوة، حيث كان
يجتمع فيها ساداتهم وكبرائهم للتشاور في أمور السلم والحرب (٢٣).

ويشير الشعر في بعض المواضع إلى أن عدم التشبث بالرأي، وجعل
الأمر شورى في القبيلة، صفتان هامتان في سيد القبيلة، لأن أي خطأ يرتكبه قد
يعرض القبيلة كلها للخطر أو الهلاك. وهذا ما جعل لقيط بن يعمر، في وصيته
لقومه، ينبههم على اختيار رئيس يتصف بهاتين الصفتين (٢٤):

ما انفكّ يحلب دَرَّ الدهرِ أشطرَهُ يكون مُتَّبِعاً طوراً ومُتَّبِعاً

كما وجد الأعشى أن من كمال سيادة قيس بن معد يكرب الكندي أنه
لا يعتدّ برأيه، وإنما يشاور أفراد قبيلته، ويجعلهم، دائماً، قريين منه لهذا
الأمر (٢٥):

فإنَّ الإلهَ حباكمُ به إذا اقتسمَ القومُ أمراً كُبارا
فإنَّ لكم قربه عِزَّةً ووَسَطَكم ملكهُ واستشارا

لقد حرص الجاهليون على السيد حرصا جعلهم يهتمون بتنصيب أبنائه سادة بعده؛ فكان إذا نبه ابن سيد القبيلة وعلا شأنه ورث رئاسة القبيلة بعد أبيه، وكانت هذه الوراثة شائعة في العصر الجاهلي، فمن ذلك أن حصن بن حذيفة أوصى ابنه كي يكون رئيسا لقومه بني فزارة، من بعده (٢٦).

وقد سجل لنا ذلك الشعر، فحينها ورث بشامة بن الغدير السيادة عن أبيه وجده افتخر بتقلده إياها وراثته، فقال (٢٧):

وجدتُ أبي فيهم وجدِّي كليهما يُطاع ويؤقُّ أمرُهُ وهُوَ مُحْتَجِي
فلم أتعَمَلْ للسيادة فيهمُ ولكن أتتني طائعا غير مُتَعَبِ

ويبدو أن سيد القبيلة كان إذا حضره الموت، ورأى ابنه جديرا بالسيادة، أوصاه بوصايا ترشده في رئاسته القادمة، وقد زُعم أن الحارث بن كعب، سيد القبيلة التي تُسمى باسمه، أوصى ابنه، فقال (٢٨):

أُبْنِيَّ إنَّ أباك يوماً هالكُ فاحفظْ أباك رئاسةً وتقلُّبا
وإذا لقيتُ كتيبةً فتقدِّمُنْ إن المَقْدَمَ لا يكون الأُخيبا
تلقى الرئاسة أو تموتُ بطعنةٍ والموتُ يأتي من نأى وتجنُّبا

لكن لا يعني ما تقدم أن سيد القبيلة كان يتلقى الرئاسة وراثته دائما، وإنما كان يُنصَّب فيها من هو كفوُّها، ومُتَّصِفٌ بصفاتِها؛ سواء أكان من بيت سيادة أم لم يكن.

وبذلك بين لنا الشعر أن الإنسان العربي كان يهيمه، قبل كل شيء، أن يكون سيد القبيلة جديراً بحمل أعباء السيادة، موضحاً أنه إذا تحقق له ذلك رفعه إلى المكانة العليا في نفسه، فدافع عنه، وخضع له، ووهبه أفضل ما فاز به من الغنائم، وجعله المثال الأعلى الذي يحتذى في الحياة.

٣ - الدفاع عن القبيلة :

إن من أهم مظاهر النزعة العصبية، كما صورها لنا الشعر، أن يقف الفرد نفسه مدافعا عن القبيلة، ولا ريب أن ظروف العيش قد هيأته لذلك، إذ جعلته حياة الصحراء فارسا يُلمّ بفنون الإغارة والقتال، فهو غالبا ما يتوقع غزواً من عدو، أو إغارة خاطفة من موتور، أو صيحة حرب في القبيلة استعدادا لهجوم على حيٍّ من أحياء القبائل الأخرى.

يبد أن بعض الشعراء ألمح إلى احتمال تخاذل أفراد من القبيلة في الدفاع عنها، وتناقلهم عن نصرتها، مما يدعو إلى غضبها عليهم وسخطها منهم. ولا شك لدينا في أن حدوث ذلك قليل، وفي حالات تكاد تكون نادرة، كمثال الذي جرى في حرب «البسوس» بين بكر وتغلب، فإن بعض أشرف بكر لم يشتركوا في المعارك الأولى، ولعلمهم رجوا أن تتصالح القبيلتان، وتعودا عن القتال إلى ما كان بينهما من ودٍّ ووثام. ومن هؤلاء الحارث بن عبّاد الذي اعتزل الحرب مع أرهاط بني الجُيم، فانبى سعد بن مالك، جد طرفة الشاعر، يحضه، ويغمز من جانبه، لوقوفه موقف الخذلان لقومه (٢٩):

يا بُوسَ للحربِ التي وَضَعْتَ أرهاطَ فاستراحوا
والحربُ لا يبقى لصا حبها التَّخِيلُ والمراخُ
إلا الفتى الصَّيَّارُ في النَّد جَدَاتِ والفرسُ الوَفَّاحُ

فالجبان الرعديد هو الذي يتخلى عن قبيلته في حربها، أما الفارس الشجاع فيهرع لنجدتها مخلقا وراءه حياة الراحة واللهور.

ولكن حتى في حالة الحارث بن عبّاد فإن النزعة العصبية عادت تدفعه إلى مشاركة القبيلة في القتال والدفاع عنها كبقية الأفراد الآخرين، وخاصة أن ابنه بُجَيْرًا كان قد قتل، وهو يسعى في الصلح لدى بني تغلب، وقد سجل موقفه الجديد في شعره حين قال (٣٠):

قَرَّبًا مَرَبِطَ النَّعَامَةِ مَنِي لَقِيحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن جِيالٍ

لم أكن من جُناتها علم الله - م - وإني بحرّها اليومَ صال
لا بُجيرٍ أغنى فتيلاً ولا رَهْطُ - م - كُليبٍ تَزَاجَروا عن ضلالِ
فالدفاع عن القبيلة وحماها من واجبات الفرد الأولى، بل هو مفخرته
الكبرى التي يعتدّ بها، وما الدفاع عن القبيلة إلا دفاع عن شخصه وشرفه
وعرضه. وقد صورَ المُتلمّسُ الضُّبَعي ذلك أبرع تصوير، في رده على شخص
زعم أن الشاعر سيتخلّى عن قبيلته ويفارقها لخلاف شجر بينه وبينها (٣١):

أُمتَقِلاً من آلِ بُهْثَةَ خِجَلْتَنِي ألا إني منهم وإن كنتُ أَيْنَمَا
ألا إني منهم وعِرضي عِرضُهم كذي الأنفِ يحمي أنفه أن يُكشَمَا

لقد بلغ الشاعر ذروة التعبير عن محاماته عن القبيلة، حين جعلها في
منزلة الأنف، وجعل الدفاع عنها كدفاع الإنسان عن أنفه، إذا خاض حرباً أو
شهد قتالاً، وإذا علمنا أن الأنف رمز الشرف والعزة والكبرياء لدى العربي
أدركنا مدى ما يبذله لصونه والحفاظ عليه.

ويتبع الدفاع عن القبيلة الدفاع عن أرضها وحماها، ذلك أن الاعتداء
عليها اعتداء على القبيلة نفسها، والذود عنها ذود عن شرفها ومكانتها بين
القبائل الأخرى. وهذا ما رآه عمرو بن يربوع الغنوي وعبر عنه في شعره،
مفتخراً بأنه زاد مع قومه عن نجد بفرسان أشداء، وخيل قوية، وسلاح
شائك (٣٢).

وفضلاً عن الدفاع عن القبيلة وحماها فإن من شأن الشاعر ذي النزعة
العصبية أن يفتخر بقوتها وشجاعة فرسانها، الذين في مقدورهم خوض المعامع
والحروب، وشنّ الغارات، وقتل الأبطال أو أسرهم، وهزيمة الأعداء
والخصوم.

وهو في هذا يعلي من هيبة القبيلة وسطوتها، ويباهي بتصوير فتكها
وسلبها ونهبها، واختراق حمى أعدائها، على نحو ما صوره لنا عمرو بن قميئة
من مشهد لغارة شنتها قبيلته نُعلبة بن عُكابة، على أعدائها، حين قال (٣٣):

وَمَلْمُومَةٌ لَا يَخْرِقُ الطَّرْفُ عَرْضَهَا
تسير وتزجي السَّمَّ تحت نحوورها
على مُقَدِّجَاتٍ وَهِنَّ عَوَابِسُ
نَبَذْنَا إِلَيْهِمْ دَعْوَةً، يَا آلَ مَالِكِ،
فَسُرْنَا عَلَيْهِمْ سَوْرَةَ ثَعْلَبِيَّةً
وَأرْمَاخُنَا يَنْهَزْنَهُمْ نَهْرَ جَمَّةٍ
فَمَا أَتَلَفَتْ أَيْدِيَهُمْ مِنْ نَفُوسِنَا
فَقَلْنَا: هِيَ التُّهْبَى وَحَلَّ حَرَامُهَا

لها كوكبٌ فَحَمَّ شَدِيدٌ وَضُوحُهَا
كريبه إلى مَنْ فَاجَأَتْهُ صُبُوحُهَا
ضَبَائِرُ مَوْتٍ لَا يُرَاحُ مُرِيحُهَا
لها إرْبَةٌ إِنْ لَمْ تَجِدْ مَنْ يُرِيحُهَا
وَأَسْيَافُنَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ نُضُوحُهَا
يعود عليهم وَرَدْنَا فَنَمِيحُهَا
وَأِنْ كَرُمْتَ فَإِنَّا لَا نُنُوحُهَا
وَكَانَتْ جَمِيَّ مَا قَبَلْنَا فَنُيْحُهَا

لقد أبان الشاعر عن أن أقوى مظاهر العصبية تبرز في أشد الظروف وأقساها، وهل يكون ذلك إلا عند القتال ومواجهة الفرد للموت في ساحة المعركة؟ وقد جُلِّيت تلك العصبية أكثر جلاء في هذه الصيحات باسم القبيلة، وكأن الفارس كان يحاول أن يحتمي بعصبية من طعنات الرماح وضربات السيوف، أو كأنه كان يريد أن يؤكد لنفسه أنه ليس وحيدا في المعركة، وإنما هو من الجماعة التي ينادي باسمها.

لقد انتشى الشاعر العربي زهواً بقوة قبيلته وعزتها ومنعتها، فكان يعلن انتصاراتها على القبائل المعادية بأشعار تلتهب حماساً، وسرعان ما تتناقلها الركبان، ويغدو صداها مدويا في أرجاء الجزيرة العربية كلها، فترهب العدو والخصم، وتفرح الصديق والحليف. وعلى شاكلة تلك الأشعار قول عامر بن الطفيل (٣٤):

صَبَّحْنَا الْحَيَّ مِنْ عَبَسٍ صُبُوحاً
وَأَبْقَيْنَا لِمُرَّةٍ يَوْمَ نَحْسٍ
فَذَلَّ الْأَبْلَحُ الْمُخْتَالُ إِنَّا
بِكَأْسٍ فِي جَوَانِبِهَا الثَّمِيلُ
وَأِخْوَتِهِمْ فَقَدْ ذَهَبَ الْغَلِيلُ
نُخَيْسُهُ وَعَزَّ بِنَا الدَّلِيلُ

وليس أبعث لفخر الفرد من انتصار قبيلته، وعودتها إلى أحيائها محملة بالغنائم تجر وراءها الأسرى، وخاصة سبايا النساء؛ إذ إن سبيهن مظهر

لمدى قوة القبيلة وسطوتها، ولمدى ضعف العدو وتخاذله، لأن القبيلة لا تتخلى عن نساؤها إلا بعد أن تهزم هزيمة منكرة، ثم إن بقاء السبايا بأيدي القبيلة المنتصرة يذكرها دائماً بفوزها، ويُقي لظى محرقاتها في قلوب أعدائها، وعارا مشينا لاصقاً بهم أمام القبائل الأخرى. ولهذا وجدنا بشر بن أبي خازم الأسدي يفخر بانتصار قومه على بني عامر وسبي نسايتهم (٣٥):

لحونا هم لحو العُصبي فأصبحوا على آية يشكو الهوان حريتها
 نبت النساء المرضعات برهوة نقرأ من هول الجنان قلوبها
 بني عامر إنا تركنا نساءكم من الشل والإيجاف تدمي عجبها
 عصاريطنا مستحقبو البيض كالدمى مضرجة بالزعفران جيوبها

فهم قد أغاروا على بني عامر فهزموهم شر هزيمة، ثم سطوا على أموالهم ومتاعهم فانتهبوها، أما نساؤهم فقد سُبيت مع رضعها، وجمعت في منخفض من الأرض، وقلوبها واجفة خائفة، تكاد تقطع من فزعها وجزعها، ثم حملت على متون الخيل مردفات خلف العبيد، وأخذت الخيل تسرع بهن، وهن يعولن ويصرخن، بعد أن كن حرائر ممتنعات في بيوتهن. لقد أذلوا بني عامر مرتين: مرة حين هزموهم في أرض المعركة، ومرة أخرى حين سبوا نساءهم مع أطفالهن، وتركوا للعبيد والأجراء أمرهن كي يحملوهن مع الغنائم والأسلاب والأمتعة.

وشبيه بذلك أيضاً ما يصوره لنا عوف بن عطية التيمي لمشهد نسوة قد أُغير عليهن فهن يتراكن فزعات جزعات قد حُسرت رؤوسهن؛ وسقطت الخمر عن وجوههن، وتهلهمت ثيابهن وذلك كله خشية السبي والعار اللذين سيلحقان بهن (٣٦).

إن اعتداد العربي بقوة قبيلته، واعتزازه بمقدرتها، وتعصبه الشديد نحوها، جعلته لا يرى قوة فوق قوتها، ولا مقدرة تفوق مقدرتها. ويبين لنا الشعر أن رؤيته هذه لا تقتصر على القبائل التي حوله فقط، وإنما تتعداها لتشمل الملوك أيضاً، فمهما كانت عظمة الملك وهيئته وسيطرته فإنها لا تنال

من مكانة القبيلة في نفسه؛ إذ هي عنده أعظم منزلة وأرقى شأنًا، لأنها تمنع أي ملك كان من أن يتناول عليها، أو أن يحاول إخضاعها.

وذلك ما رآه عامر بن جُوَيْن الطائي في قبيلته، حين شرع المنذر بن النعمان الأكبر ملك الحيرة، بتهديده وتهديد قومه، فرد عليه عامر قائلاً (٣٧):

تَعَلَّمْ، أُنَبِّئَ اللَّعْنَ، أَنْ قَنَاتِنَا تَزِيدُ عَلَيَّ عَمَزِ الثَّقَافِ نَصْعُبَا
أَتَوْعِدُنَا بِالْحَرْبِ، أُمُّكَ هَابِلٌ، رَوَيْدُكَ بَرْقَا، لَا أَبَالِكُ، خُلْبَا
إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيدَةً بِالْقَنَا وَحَامَتُ رِجَالَ الْعَوْثِ دُونِي تَحْدُبَا
أَبَيْتُ الَّتِي تَهْوَى وَأَعْظَمْتُكَ الَّتِي تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبَا

إن قوة طيء لتضاهي قوة النعمان وتفوقها، لهذا فإن وعيده لهم ما هو إلا كبرق لامع خادع لا غيث وراءه، وخاصة إذا اجتمع حياها، جديدة والغوث، وامتطى أبطالهما سهوات الخيول وأشهروا السيوف والرماح، وارتصت صفوفهم كبنيان مرصوص، فعندئذ لا يجد الملك لديهم إلا أسلحة تجلب الموت الأسود له. لقد رأى الشاعر في قبيلته درعا حصينا يمنع أشد الملوك من اختراق حماه أو زعزعة أركانه.

وقد يحسن الشاعر أن ملكاً ينوي بقبيلته شراً، وأنه يتحين سانحة للغدر بها والقضاء عليها، عند ذلك ينبري للدفاع عنها مظهراً ما تتصف به من عزة قعساء وشرف تليد ونسب عريق، وما تتميز به من قوة وشدة وبأس في المعارك والحروب، لعله بذلك يرهب الملك وينذره عاقبة غدره وخيائته. وهذا ما نراه عند الشاعر يزيد بن الخدّاق الأسدي، حين شعر أن النعمان بن المنذر يضمم العداة لقبيلته، وأنه ينوي الغدر بها والإغارة عليها، فأنشأ يخاطبه (٣٨):

نُعْمَانُ إِنَّكَ خَائِنٌ خَدِعٌ يَخْفِي ضَمِيرُكَ غَيْرَ مَا يُبْدِي
فَإِذَا بَدَا لَكَ نَحْتُ أَثْلَيْنَا فَعَلَيْكَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا حِرْدٍ
يَأْبَى لَنَا أُنَا ذُووْ أَسْفٍ وَأَصُولُنَا مِنْ مَحْتِدِ الْمَجْدِ

إِنَّ تَغْرُبَ بِالْحَرْقَاءِ أُسْرَتْنَا تَلَقُّ الْكُتَائِبَ دُونَنَا تُرْدِي
 أَحْسِبْتَنَا لِحِمَا عَلَى وَصْمٍ أَمْ خَلَّتْنَا فِي الْبَأْسِ لَا نُجْدِي
 وَفَكَّرْتُ مَعْتَلِيًّا مَخْنَتَنَا وَالْمَكْرُ مِنْكَ عِلَامَةُ الْعَمْدِ
 وَهَزَزْتَ سَيْفَكَ كِي تَحَارِبَنَا فَانظُرْ سَيْفَكَ مِنْ بِيهِ تُرْدِي

ولا يقف الأمر عند تهديد الشاعر للملوك وإنما يتعداه إلى التطاول عليهم، أحياناً، والنيل منهم؛ إما بإذلالهم كالذي نُسب إلى هشام بن خلف الكِنَانِيّ من فعلة شنعاء، تهدف إلى إهانة النعمان بن المنذر في حجه إلى مكة (٣٩). وإما بالتعدي عليهم وضربهم، كما زعم من ضرب مَعْبَد بن عُصْم التغلبيّ للملك شَرْحَبِيل الكِنْدِي بقوسه وشجّه بها، لأنه نال من قبيلته (٤٠). وإما بقتلهم كما هو مشهور عن قتل عمرو بن كلثوم للملك عمرو بن هند. وقد أشار إلى تلك الحادثة جابر بن حُنَيّ التغلبيّ في قوله (٤١):

أَلَا تَسْتَحِي مِنْهَا مَلُوكٌ وَتَتَّقِي مَحَارِمَنَا لَا يَبُوءُ الدَّمُ بِالْدَمِ
 نَعَاطِي الْمَلُوكَ السَّلْمَ مَا قَصَدُوا بِنَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمِ
 وَكَأَيُّنْ أَرَزْنَا الْمَوْتَ مِنْ ذِي تَحِيَّةٍ إِذَا مَا أَرْدَرَانَا أَوْ أَسَفَّ لِمَأْتِمِ

وهكذا صور الشعر لنا موقف الإنسان العربي من قبيلته تصويراً أبان فيه عن مدى حبه لها ومشاعره تجاهها، وقد جُلِّي ذلك في دفاعه عنها ومناجزته لأعدائها، وفي نظره إليها على أنها قوة ضاربة، لا يستطيع الملوك الأقوياء أن ينالوا منها. ويبدو أن هذه الرؤية هي التي ثبّتت الروح الجماعية والعصبية القبلية في كيانه، فجعلته أكثر التحاماً بالقبيلة وأشد نزوعاً إليها.

٤ - الحنين إلى موطن القبيلة:

لا شك في أن معظم القبائل العربية، التي توزعت في أرجاء الجزيرة العربية، كانت في حركة مستمرة وسعي دائم وراء الماء والمرعى. بيد أن تنقل القبائل وارتحالها لا يعينان أنها كانت تنأى بعيداً عن أرضها، فلا يُعرف لها موطن، ولا يُحد لها مكان، ذلك أن أغلب تلك القبائل في العصر

الجاهلي كان لها أماكن معروفة ومواقع تختص بها من دون غيرها. وحتى إذا دفعتها السنة والحاجة إلى أن تتجع بلاداً أخرى حيناً من الزمن فإنها لا تلبث أن تعود إلى أراضيها ومنازلها.

وقد حفل الشعر، في مواقع لا تحصى منه، بذكر أماكن القبائل، وكثيراً ما يكفي بذكر اسم الموضع للدلالة على القبيلة التي تقيم فيه. وكان الأحنس بن شهاب التغلبي من الشعراء الذين قرنوا عدداً من القبائل بأماكنها (٤٢).

لِكُلِّ أَناسٍ مِنْ مَعَدٍ عِمارةٌ
لُكَيْزٍ لَهَا الْبَحْرانِ وَالسَّيفُ كُلُّهُ
وَبَكْرٌ لَهَا ظَهْرُ الْعِراقِ وَإِنْ تَشَأْ
وَصارتْ تَمِيمٌ بَيْنَ قَفِّ وَرَمْلَةٍ
وَكَلْبٌ لَهَا حَبْتٌ فَرَمْلَةٌ عالجِ
وَبَهْرانٌ حَيٌّ قَدْ عَلِمنا مَكانَهُمْ
وَعارَتْ إِبادُ فِي السَّوادِ ودونِها
عَرَوْضٌ إِلِياها يَلجؤونَ وَجانِبُ
وَإِنْ يَأْتِها بِأَسُ منَ الهِنْدِ كِارِبُ
يَحِلُّ دونِها مِنَ اليمامةِ حاجِبُ
لِها مِنَ جِبالِ مِتاى وَمِذاهِبُ
إِلِيا الحِرةِ الرِّجالِ حَيْثُ تُحاربُ
لِهم شَرَكٌ حِولَ الرُّصافةِ لِاجِبُ
بِرازِيقِ عَجْمٍ تَبغِي مِنَ نُضارِبُ

وكما هو واضح في الأبيات فإن الشاعر قد خص القبائل بإمكانة رحبية، ولم يقيدتها بمواقع محددة، مما يدل على أنها، مهما تنقلت وارتحلت، تعود في نهاية المطاف إلى مواطنها. ذلك أن منازل القبيلة واضحة معروفة لا تتبدل إلا لدواعي قاهرة وأسباب قوية، كأن تغزوها قبائل كثيرة العدد أقوى منها، أو أن يصيبها القحط سنين متتابعة، فعندئذ تضطر إلى ترك ديارها للبحث عن ديار جديدة. وهذا ما حدث لإياد إذ أراحها بنو عبد القيس عن مواطنها في البحرين، ثم شتت الفرس شملها في العراق (٤٣). وقد ألمح الأحنس في البيت الأخير إلى ما أصاب إيادا من تشتت على أيدي الفرس.

ونحن بذلك إنما نحاول أن نعطي صورة عامة عن القبائل وأمكانتها لنمهد الحديث عن حنين الشعراء إلى مواطن قبائلهم التي رحلوا عنها

راضين أو مضطرين لذلك الرحيل .

فضلاً عن القبائل السابقة ومواطنها، التي وردت في شعر الأحنس، فإننا نجد، من القبائل العدنانية، قريشاً قد نزلت بمكة وما جاورها، وثقيفاً بالطائف، وهذيلاً بقرب جبال السراة بالحجاز، وكنانة بأرض تهامة . كذلك كان بنو عامر بن صعصعة يستقرون غالباً، غربي نجد، وعبس وذبيان وسائر غطفان كانوا ينزلون بنجد شرقي يثرب . كما نزلت بنجد أيضاً ضبة وتميم، وانحدر قسم منهما إلى اليمامة وهجر . وكانت معظم قبائل ربيعة تنتشر في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية، بين عُمان حتى أطراف العراق والجزيرة .

ونجد، من القبائل القحطانية، قبائل حمير باليمن وجنوبي الجزيرة العربية، ثم من القبائل التي هاجرت من الجنوب واستقرت في أنحاء مختلفة الأوس والخزرج بيثرب وما حولها، وطىء بين جبلي أجأ وسلمى، والمناذرة بالحيرة، والغساسنة ببلاد الشام . ولا يخفى أن شعر الأطلال زاخر بالإشارات إلى تلك الأمكنة، مفصلاً فيها تفصيلاً واسعاً .

ومما لا ريب فيه أن الشعر الجاهلي صور شدة تعلق الإنسان العربي بمواطن القبيلة ومرابعها، وبين فيه الشعراء أن القبيلة كلها تظل ملتصقة بأرضها التي تعدّها حمىً لها، لا تستطيع القبائل الأخرى الاعتداء عليه، حتى إذا أصابها أمر اضطرها إلى مغادرة منازلها والبعد عن ديارها فإنها تبقى تحن وتصبو إلى تلك المعاهد، ويبقى الفرد فيها مشوقاً إلى أرض القبيلة الأم، يشعر نحوها بحنين طاغ وشوق جارف .

وقد عبّر عن مثل ذلك الشعور ثعلبة بن غيلان الإياديّ أبدع تعبير، حين أثارته ذكرى مواطن قبيلته إياد في البحرين، وكانوا، كما مر بنا، قد فارقوها إلى سواد العراق، وابتعثه الشوق والحنين إلى مراتع الطفولة فيها، وتالت مشاهد الماضي على مخيلته بمختلف الصور المحيية، فاهتزت نفسه ألماً وحرقة لما آل إليه مع قبيلته من غربة دائمة، حافلة بضروب الذل

والهوان (٤٤):

تَجُنُّ إِلَى أَرْضِ الْمُعَمَّسِ نَاقَتِي وَمِنْ دُونِهَا ظَهَرَ الْجُرَيْبِ فَرَائِسُ
بِهَا قَطَعْتُ عَنَا الْوَدِيمَ نَسَاؤُنَا وَخَرَسَتْ الْأَبْنَاءَ فِيهَا الْخَوَارِسُ
إِذَا شِئْتُ غَنَّانِي الْحَمَامُ بِأَيْكَةِ وَبِئْسَ سِوَاءَ صَوْتِهَا وَالْعَرَانِسُ
فِيَا حَبْدًا أَعْلَامُ بَيْشَةَ وَاللَّوَى وَيَا حَبْدًا أَخْشَافُهَا وَالْجَوَارِسُ
أَقَامَتْ بِهَا جَسْرُ بْنُ عَمْرٍو وَأَصْبَحَتْ إِيَادُ بِهَا قَدْ ذَلَّ مِنْهَا الْمَعَاطِسُ

وقد يضطر الشاعر بمفرده إلى مفارقة القبيلة وموطنها، وتناى به الغربة بعيدا عن مراعها وبطيح به الفراق إلى أرض لا يجد فيها قريبا أو حبيبا، عند ذلك تشتد به المواجه، وتتأبه الحسرات، وتتسعَّر به الأشواق إلى رؤية المهد الأول، فتجيش النفس أسي وحسرة، وتنزع متلهفة نحو موطن القبيلة. وهذا ما أصاب زامل بن عُفَيْر الطائي الذي نأت به ديار الغربة حتى حطته عند الحارث الأكبر الغساني، فمدحه ونال عنده منزلة ومقاما كريما، لكن وطن القبيلة ظل يجذبه إليه، وظل يجد نفسه غريبا في قوم غرباء (٤٥):

أَبْلَغِ الْحَارِثَ الْمُرَدَّدَ فِي الْمَكِّ رُمَاتٍ وَالْمَجْدِ جَدًّا فَجَدًّا
أَنْسِي نَاطِرُ إِلَيْكَ وَدُونِي عَاتِقَاتُ غَاوِرَنَ قَرِيبًا وَبُعْدَا
أَزَلُّ نَازِلُ بِمَثْوَى كَرِيمٍ نَاعِمُ الْبَالِ فِي مَرَاكِ وَمُعْدَى
غَيْرَ أَنَّ الْأَوْطَانَ يَجْتَذِبُ الْمُرَّ إِ إِلَيْهَا الْهَوَى وَإِنْ عَاشَ كَدًّا
وَتَأْبِي بِالشَّمَامِ مُفِيدِي حَسْرَاتٍ يَقْدُدَنَّ قَلْبِي قَدًّا
لَيْسَ يَسْتَعِذُّ الْغَرِيبُ مَقَامَا فِي سِوَى أَرْضِهِ وَإِنْ نَالَ جَدًّا

أما المثلَّمس، فإنه، حين حرم عليه عمرو بن هند العودة إلى بلاده في أرض العراق، نازعته نفسه شوقا وتحنانا إلى موطن القبيلة، وملَّت تجواب البلدان والآفاق على متن الناقة، فإذا هي تخلع مشاعرهما على صاحبة حلها وترحالها، وتندمج معها في وحدة القلق والمعاناة، وإذا صوت النفس وصوت الناقة يغدوان صوتاً واحداً يعبر عن ألم الغربة وقسوة البعد (٤٦):

حَتَّ قَلُوصِي بِهَا وَاللَّيْلُ مُطَّرِقٌ
 أَنِّي طَرَبْتُ وَلَمْ تُلْحِي عَلَيَّ طَرَبٌ
 حَتَّ إِلَى نَخْلَةِ الْقُصُوفِ فَقَلْتُ لَهَا:
 أُمِّي شَامِيَةٌ، إِذْ لَا عِرَاقَ لَنَا،
 لَنْ تَسْلِكِي سُبُلَ الْبُونَاةِ مُنْجِدَةً
 بَعْدَ الْهُدُوِّ وَشَاقَتِهَا النَّوَاقِيسُ
 وَدُونَ إِلْفِكَ أُمَرَاتُ أَمَالِيسُ
 بَسَلُ عَلَيْكَ أَلَا تَلِكِ الدَّهَارِيسُ
 قَوْمًا نَوَدُّهُمْ إِذْ قَوْمُنَا شُوسُ
 مَا عَاشَ عَمْرُو وَمَا عُمَرَتْ قَابُوسُ

وشبيه بهذا ما أصاب دوسر بن ذهيل القريني حين فارق موطنه نجداً، وامتد زمن غربته، لكن نفسه ظلت أمينة لعهداها القديم كما ظلت ناقته تطرب كلما لقيت قلاصاً آتية من مراتعها الأولى (٤٧).

ونرى في الشعر أن المرأة لم تكن أقل تعلقاً بموطن القبيلة من الرجل، فقد عانت رامة بنت حصين الأسديّة معاناة شديدة حين شحطت بها النوى بعيداً عن ديار قومها، وألقته في قرية من الحضر. لقد اشتدت بها نوازع الحنين إلى مراتع حيها، ومراتع صباها، فطفحت نفسها بفيض من الشوق إليها، وهفت إلى النسائم الجنوبية التي تهب عليها، وشامت ببصرها إلى لمعان بروفها، وتذكرت بأسى وحسرة خضرة مراتعها وتجاوب صفير طيورها في هدأة الليل وقارنته بصياح الديكة ونقيق الضفادع التي تسمعها في غربتها، فإذا البون شاسع والفرق كبير، وإذا قلبها ينبض بحب مواطن القبيلة ومناخها وحيوانها وكل ما يمت إليها (٤٨):

أَلَامٌ عَلَيَّ نَجِدٍ وَمَنْ يَكُ ذَا هَوَى
 تَهْجُهُ الْجَنُوبُ حِينَ تَغْدُو بِشَرِّهَا
 وَمَنْ لَامَنِي فِي حَبِّ نَجِدٍ وَأَهْلُهُ
 لَعَمْرُكَ لِلْعَمْرَانِ غَمْرًا مُقَلَّدٍ
 وَخَوْراً إِذَا خَوَّسَقَتْهُ ذَهَابُهُ
 وَصَوْتُ مَكَائِي تَجَاوَبُ مَوْهِنَا
 أَحَبُّ إِلَيْنَا مَنْ فَرَارِيحِ قَرْيَةٍ
 بَنَجِدٍ يَهْجُهُ الشُّوقُ شَتَّى نَزَائِعُهُ
 يَمَانِيَةٌ وَالنَّبْرُقُ إِنْ لَاحَ لَامِعُهُ
 فَلَيْمَ عَلَيَّ مِثْلُ وَأَوْعَبَ جَادِعُهُ
 فَذُو نَجَبٍ غُلَانُهُ وَدَوَافِعُهُ
 وَأَمْرَعُ مِنْهُ تَيْبُهُ وَرِبَائِعُهُ
 مِنْ اللَّيْلِ، مَنْ يَارِقُ لَهُ فَهَوُ سَابِعُهُ
 نَزَاقِي وَمَنْ حَيَّ تَبَقُّ ضَفَادِعُهُ

وهكذا أوضح لنا الشعر عن أن تعلق الإنسان العربي بالقبيلة ارتبط بتعلقه بمواطنها وديارها، فأضحى حبه لها ممزوجاً بحبه لأرضها، ونزوعه نحوها مقروناً بنزوعه إلى منازلها، ومن ثمَّ أظهر الشعر أن دفاعه عن القبيلة يضاهي دفاعه عن موطنها، ذلك الموطن الذي يقترن في ذهنه بالقبيلة، ولا يمكنه بأية حال أن يفصل بينها وبين ديارها، لأنهما يشكلان معاً حماه الذي يبذل نفسه وماله دفاعاً عنه .

٥ - رثاء أفراد القبيلة :

إن الأشعار السابقة صورت الإنسان العربي وقد تغلغل في نفسه حب قبيلته حتى غدا هو والقبيلة كيانا واحداً، يسره فرحها، ويؤلمه حزنها. ولعل مرد ذلك يعود إلى شمول الروح الجماعية بين الأفراد وإحساسهم بالمصير المشترك، فضلاً عن شعورهم بارتباط وجودهم بوجود القبيلة وحياتهم بحياتها. وإذا كان الشعراء قد جَلَّوا ذلك في تصويرهم لتمسك الفرد بنسب القبيلة والخضوع لها ولسيدها، وللدفاع عنهما، ثم لحنينه الجارف إلى ديارها، فإن رثاءهم لقتلاها ولمن فقد من أبنائها كان مظهراً أكثر تعبيراً عما تكنه عواطف الفرد من ميل شديد تجاه قومه ونزوع قوي إليهم .

ولعل ما زاد في إظهار صورة رثاء أفراد القبيلة في الشعر أن الحياة التي عاشوها كانت غالباً عرضة لخطر الهلاك، وكان الواحد منهم يجزع جزعاً شديداً أن يسمع، بعد كل غارة يقوم بها قومه أو تقوم بها قبيلة أخرى عليهم، صوت النعي يدوي بأسماء رجال عشيرته الذين جُدِّلوا على أرض المعركة، حينئذ تتزرى نفسه حزناً، ويفعم قلبه أسى، فيحرم على نفسه اللهو واللذائذ، ويعكف على ندبهم والنواح عليهم. ولا ريب في أن نفسه تمتلئ حقداً وبغضاً وضغينة على الأعداء، تتبدى فيما يؤلي على نفسه أحياناً من الأيمان المغلظة من أنه سينتقم لقومه أشد الانتقام .

ولنا في شعر الربيع بن زياد العبسي أفضل شاهد على ذلك، فقد أتاه نعي مالك بن زهير، وهو أحد أشرف بني عبس، وعلم أن بني فزارة غدرت

به، وقتلته، فثار به الغضب، وهاجت كوامن الثأر في نفسه، فآلى على نفسه أن يعتزل النساء، وأن يعد ما لديه من قوة وعدة وعتاد حتى يثار له من قاتليه(٤٩):

إني أرقْتُ فلم أغمُضُ حَارِ
مِنْ مثله تُمسي النساء حواسِراً
أبعدَ مقتلِ مالكِ بنِ زهيرِ
ما إن أرى في قتله لذوي القُوى
ومُجنَّباتٍ ما يذُقنَ عذُوقاً
ومَساعِراً صدأ الحديدِ عليهم
من سَيِّءِ النبا الجليل السَّاري
وتقومُ مُعولَةً مع الأسحارِ
ترجو النساءَ عواقبَ الأظهارِ
إلا المَطِيَّ تُشدُّ بالأكوارِ
يَقذِفنَ بالمُهَرَّاتِ والأُمهَّارِ
فكأنما تُطلَى الوجوهُ بِقَارِ

وقريب من هذا ما عبَّر عنه في شعره دريدُ بن الصَّمَّة الذي كبر عليه مقتل أفراد قومه على يد بني الحارث بن كعب، فانبرى يرثيهم رثاء ينطوي على تهديد ووعيد لبني الحارث بانتقام ما بعده انتقام(٥٠). وكان عبد الله بن ثور العامري قد أثاره ما رأى من عيون تذرف حزناً على من صرَّع في المعركة من قبيلته، فدفعه الحزن والغضب إلى التأهب والإعداد لجولة أخرى يثار لهم فيها(٥١).

وأولئك الأفراد الذين صرَّعوا، وفقدتهم القبيلة، ليسوا في نظر الشاعر إلا أناساً في منتهى البطولة والسُّودد والشرف؛ فهم يجمعون الخلال الحميدة كلها، ويتصفون بأنبل الصفات وأفضلها. أليسوا هم الذين قد ضحوا بأنفسهم فداء لقبيلتهم وإعلاء لشأنها؟ أليسوا هم قد جادوا بدمائهم فبزوا أكرم الكرماء؟ وقد عكس لنا هذه الرؤية شداد بن الأسود في رثائه لقتلى قومه يوم بدر(٥٢).

تُحَيِّي بالسلامة أمُّ بكرِ
فماذا بالقليبِ قليبِ بدرِ
ومماذا بالقليبِ قليبِ بدرِ
وهل لي بعد قومي من سلامٍ؟
من القيناتِ والشُّربِ الكرامِ
من الشَّيزَى تُكلَّلُ بالسُّنَامِ

وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ طَوِيٌّ بَدْرٍ من الحَوُمَاتِ والنَّعَمِ المُسَامِ
وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ طَوِيٌّ بَدْرٍ من الغَايَاتِ والدُّسْعِ العِظَامِ
وَأَنْسِكَ لَوْرَابِتِ أَسَا عَقِيلٍ وَأَصْحَابِ الشَّنِيَةِ من نَعَامِ
إِذَا لَظَلَّتْ من وَجْدِ عَلَيْهِم كَأَمْ السَّقْبِ جَائِلَةِ المَرَامِ

لقد تزاومت الأشجان في نفس الشاعر، وتفاقم فيها الحزن، وخيم اليأس الأسود على قلبه، وأخذت التساؤلات تطرق عقله وفكره، كيف يعيش، وقد قتل سادة القبيلة وعظماؤها؟ وأية قيمة لوجوده، وقد تلاشى وجود أشرف قومه؟ لا نبالغ إذا قلنا إن الشاعر جعل أفول حياة قومه في منزلة أفول حياته هو، ولم تعد الحياة لديه جديرة بالمسرة والمتعة واللهو، بعد أن أصابت المنايا أفراد العشيرة وطواهم الردى.

ولعل ما كان يلهب نائرة الشعراء، ويدفعهم إلى التعبير في أشعارهم عن مزيد من الحزن على أفراد القبيلة، ومزيد من الغضب لمقتلهم، هو الحياة القبلية وما كان شائعاً فيها من اجتماع الحي لبكاء القتلى وندبهم والنواح عليهم، ثم إعلان مظاهر الحزن والأسى أمام القبائل الأخرى. وهذا ما فعلته قريش عقب يوم بدر؛ إذ ورد أنها «ناحت على قتلاها شهراً، ولم تبقى دار بمكة إلا فيها نوح، وجزَّ النساء شعرَ الرؤوس. وكان يُؤتى براحلة الرجل منهم، فتوقف بين أظهرهم، فينوحون حولها» (٥٣). ويبدو أن إطالة مدة الحزن كانت تهدف إلى تأجيج نيران الانتقام في صدور أبناء القبيلة لكي يثاروا لقتلهم من الأعداء.

وتشير الأشعار، في هذا المجال، إلى أن النساء كنَّ يقمن بالرتاء أيضاً على أفراد القبيلة فضلاً عن ندبهن ونواجهن، وذلك لما لهن من رقة شعور ولطف إحساس، ولما يتتابهن من ألم المصاب بفقد الأحباب والأزواج والأقرباء، الذين هم عمادهن في معاشهن، ودرعهن في حياة خطيرة تعرضهن للسبي والاختطاف.

وقد عبرت الجُرثوم بنت بدر عن ذلك خير تعبير حين أتاها نعيُّ أفراد

عشيرتها ينيبها بأن سهام المنايا قد أردتهم صرعى في معركة دارت رحاها بينهم وبين أعدائهم؛ فإذا هي لا ترى فيهم إلا فرسانا أقوياء، وأجوادا كرماء، وأشرفا نبلاء، قد حازوا كل مكرمة؛ فأيديهم سخية بالعطاء، وذيلهم طاهر من الأدران، وشجاعتهم مضرب الأمثال، وعظف بعضهم على بعض لا يقف عند حد، حتى يمتنع على المرء أن يميز غنيهم من فقيرهم وموسرهم من معسرهم(٥٤):

لا يَبْعُدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ	سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفَّةُ الْجُزْرِ
النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ	وَالطَّيِّبُونَ مَعَاوِدَ الْأَزْرِ
قَوْمٌ إِذَا رَكَبُوا سَمِعَتْ لَهُمُ	لَبْطًا مِنَ التَّأْيِيهِ وَالزَّجْرِ
وَالخَالِطُونَ نَجِيَّتَهُمْ بِنُضَارِهِمْ	وَذَوِي الْغَنَى مِنْهُمْ بِذِي الْفَقْرِ
هَذَا ثَنَائِي مَا بَقِيَتْ لَهُمُ	فَإِذَا هَلَكْتُ أَجَنِّبِي قَبْرِي

ونستدل من بعض الأشعار على أن الرثاء لم يكن مقتصرأ على أفراد القبيلة الذين قتلوا في المعارك والحروب، وإنما قد يرثي الشاعر قبيلته إذا أمت بها المصائب، وأحدثت بها الأخطار فمزقتها كل ممزق، وأهلكت كثيراً من أبنائها. كالذي نجده لدى أبي دُوَادِ الإيادي من رثاء حار على قبيلة إياد، التي، كما أشرنا من قبل، قد أجليت عن ديارها بالبحرين إلى سواد العراق، ثم فني كثير من أفرادها في قتال القبائل والأعاجم هناك، مما أحدث أعظم الأثر في نفس أبي دُوَادِ، عبر عنه في قوله(٥٥):

لا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ	فَقَدُ مَنْ قَد رَزَيْتُهُ الْإِعْدَامُ
مَنْ رَجَالَ مِنْ الْأَقَارِبِ فَادُوا	مَنْ حُدَاقِي هُمْ الرُّؤُوسُ الْعِظَامُ
فَهُمْ لِلْمَلَائِمِينَ أَنَاءُ	وَعُرَامٌ إِذَا يُرَادُ الْعُرَامُ
وَسَمَاحٌ لَدَى السَّنِينِ إِذَا مَا	فَحَطَّ الْقَطْرُ وَاسْتَقَلَّ الرَّهَامُ
وَشِبَابٌ كَانَهُمْ أَسْدٌ غِيلٍ	خَالَطَتْ فَرَطَ حَدِّهِمْ أَحْلَامُ
وَكَهُولٌ بَنَى لَهُمْ أَوْلُوهُمُ	مَائِرَاتٍ يَهَابُهَا الْأَقْوَامُ

سُلِّطَ السُّدْهُرُ وَالْمَنُونُ عَلَيْهِمْ فَلَهُمْ فِي صَدَى الْمَقَابِرِ هَامٌ
فَعَلَى إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي حَسِرَاتٍ وَذَكَرُهُمْ لِي سَقَامٌ

وهكذا نجد أن رثاء الأفراد لدى الشعراء كان مظهرًا من مظاهر النزعة العصبية؛ إذ عبروا فيه عن مدى الرابطة التي تشد ما بين أفراد القبيلة من أواصر المحبة والتعاطف والتناصر، حتى إذا أصيب واحد منهم، وأودت به إصابته، تداعى له سائر الأفراد بالحزن والأسى من جهة، وبالغضب والتأهب للانتقام من جهة أخرى.

وخلاصة القول أن الشعر أبرز لنا العصبية القبلية لدى الإنسان العربي متجلية في أشكال عدة، من التزام قبلي، ومن ولاء للقوم وسيدهم، ومن دفاع عنهم، وحنين إلى ديارهم، ورثاء لأفرادهم. وهذا ما يجعلنا نعتقد، معتمدين في ذلك على ما قدمناه من أقوال الشعراء أنفسهم، أن النزعة العصبية كانت أهم المقومات التي استندت إليها الحياة القبلية في العصر الجاهلي، والتي كانت تتحكم في علاقة الفرد الاجتماعية بقبيلته، وكلما كانت تلك النزعة طاغية عليه اشتد التحامه بالقبيلة وأفرادها، وقوي ارتباطه بديارها وجماها.

الحواشي والمصادر والتعليقات

- (١) مقدمة ابن خلدون : ص ١١٦ ، ط دار الشعب ، القاهرة .
- (٢) بحث في علم الجمال : ص ٢٤ ، لجان برتليمي ، ترجمة أنور عبد العزيز ، ط القاهرة ، ١٩٧٠ .
- (٣) الأصمعيات : ص ١٠٧ ، للأصمعي ، تحقيق شاکر وهارون ، ط دار المعارف ، مصر ١٩٦٧ .
- (٤) تاريخ الطبري : ١/٢٢٣ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف ، مصر ١٩٦٠ .
- (٥) المفضليات : ص ٦٩٥ - ٦٩٦ ، للمفضل الضبي ، شرح الأنباري ، ط بيروت ١٩٢٠ .
- (٦) ديوان سلامة بن جندل : ص ١٥٣ - ١٥٤ ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، ط حلب ١٩٦٨ .
وذو بن الأسنه : محددتها ، أو أنها أشربت سماً . والأوساق : الأجمال .
والعندم : تبات يُصَبَّغُ به .
- (٧) ديوان الأعشى الكبير : ص ١٣١ ، تحقيق محمد محمد حسين ، ط القاهرة ١٩٦٠ .
- (٨) المؤلف والمختلف : ص ٤٢ ، للآمدي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط القاهرة ١٩٦١ .
- (٩) شرح القصائد العشر : ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، شرح التبريزي ، ط حلب ١٩٧٣ .
- (١٠) المفضليات : ص ٦٢٦ . والقعاء : الثابتة . ونختطم العدى : نضرب خطمهم ، والخطم الأنف ، ويطدون الأرض : يشدونها ويثبتونها .

(١١) خزائن الأدب: ٩٠/٣، للبغدادي عبد القادر، تحقيق عبد السلام هارون، ط القاهرة ١٩٦٧.

(١٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١٣) الحيوان: ٤٧١/٣، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط الباي الحلبي، مصر ١٩٦٥.

(١٤) ديوان لقيط بن يعمر الإيادي: ص ٤٦ - ٤٨، تحقيق خليل إبراهيم العطية، ط بغداد ١٩٧٠.

والشزر: قتل الخيل مما يلي اليسار، وهو أشد لفتله. والمريرة: من «المرة» وهي إحكام القتل ثم أريد بها القوة. والقحم: الشيخ الكبير. والضرع: العمر الضعيف.

(١٥) ديوان الأعشى الكبير: ص ٣١.

(١٦) عيون الأخبار: ٢٢٦/١، لابن قتيبة، ط دار الكتب، مصر ١٩٢٥.

(١٧) شرح القصائد العشر: ص ١٧٤ - ١٧٨.

(١٨) الحيوان: ٣٣٠/١، والشرح عن الجاحظ.

(١٩) مقدمة ابن خلدون: ص ١١٦.

(٢٠) البيان والتبيين: ٢٣٩/١، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط القاهرة ١٩٦٨.

والصتم: الصحيح القوي.

(٢١) الحيوان: ٣٠/٥. وخلاها: من «الخلّى» وهو الرطب من النبات؛ أي جعلها كالسوائم ترداد المرعى بدون قائد.

(٢٢) تاج العروس: مادة (ملا) للزيدي، ط مكتبة الحياة، بيروت.

(٢٣) السيرة النبوية: ١٢٥/١، لابن هشام عبد الملك، تحقيق السقا

والأبياري وشلبي، ط مصر ١٩٥٥ .

(٢٤) ديوان لقيط بن يعمر: ص ٤٧ .

(٢٥) ديوان الأعشى الكبير: ص ٤٩ .

(٢٦) أمالي المرتضى: ٥٣١/١، للشريف المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط بيروت ١٩٦٧ .

(٢٧) الحيوان: ٩٦/٢ .

(٢٨) المعمرن والوصايا: ص ١٢٢، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، ط مصر ١٩٦١ .

(٢٩) الأغاني: ٤٦/٥، لأبي الفرج الأصفهاني، ط دار الكتب المصرية .

وفرس وقاح: أي ذو حافر صلب، أو هو صلب قوي .

(٣٠) الأصمعيات: ص ٧١ . والنعام: فرس الحارث بن عباد . ولقحت: حملت . وعن حيال: بعد حيال، وحالت الناقة: لم تحمل، وهذا مثل ضربه لشدة الحرب .

(٣١) ديوان المتلمس الضبي: ص ١٩ - ٢١، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط معهد المخطوطات العربية ١٩٧٠ .

وبهثة: بطن من ضبيعة، وهم عشيرة المتلمس . وأينما: أراد في أي مكان كنت فإنني أنتمي إلى قومي .

(٣٢) الحماسة البصرية: ٩٧/١، لصدر الدين البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، ط حيدر آباد الدكن ١٩٦٤ .

(٣٣) ديوان عمرو بن قميئة: ص ٣٢ - ٣٧، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط معهد المخطوطات العربية ١٩٦٥ .

وملمومة: مجتمعة، وأراد كتيبة مجتمعة، والكوكب: هنا، معظم الشيء . والمقدحرات: المنهيات للقتال، والضمير يعود إلى الخيل .

والضباثر: الجماعات. ونهزجة: أي انتزاع ما فيها. والجمة: كثيرة الماء، وأراد بئراً جمة.

(٣٤) ديوان عامر بن الطُفيل: ص ٩٤، شرح الأنباري، ط بيروت ١٩٦٣. والتميل: السم.

(٣٥) ديوان بشر بن أبي خازم: ص ١٨، تحقيق عزة حسن، ط دمشق ١٩٧٢.

والآلة: الحالة. والحريب: المسلوب المال والمتاع. والشل: السوق والطرْد. والإيجاف: السير الشديد. والعُجوب: جَمْع العَجَب، وهو مؤخر كل شيء، وأراد بها الأعجاز. والعضاريط: جمع العُضروط، وهو الأجير الذي يخدم على طعام بطنه.

(٣٦) المفضليات: ص ٦٣٧.

(٣٧) ذيل الأمالي والنوادر: ص ١٧٨، لأبي علي القالي، ط دار الكتب المصرية ١٩٢٦.

وأخرج: يقال: ظليم أخرج، أي فيه سواد وبياض. وأكهب: يقال: بعير أكهب، أي في لونه غبرة مشربة سواداً.

(٣٨) المفضليات: ص ٥٩٤ - ٥٩٦. والأثلة: الشجرة، وهذا مثل. والحرد: القصد أو الغضب. والحرقاء: الجهل. والميخنة: الأنف.

(٣٩) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي: ٥٥٢/١، للبكري عبد الله، تحقيق عبد العزيز الميمني، ط القاهرة ١٩٣٦.

(٤٠) المحبر: ص ٢٠٥، لابن حبيب، تحقيق إيلزة ليختن شتير، ط حيدر آباد الدكن ١٩٤٢.

(٤١) المفضليات: ص ٤٢٦. ويؤء: من قولهم باء فلان بفلان إذا كان كفواً أن يُقتل به، وقد ترك إعلال الفعل ضرورة. وذو تحية: أراد به الملك. وأسف: دنا.

(٤٢) المفضليات: ص ٤١٤-٤١٧. والسيف: ضفة البحر. وقف ورملة: موضعان.

وحبال: أراد بها جبال الرمال، وهي معازمها. وخبث والحرة: موضعان. والرجلاء: الغليظة. والشرك: موضع تشعب الطرق. والبرازيق: جمع البرزق، وهو المركب، وأراد به هنا الكتبية.

(٤٣) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٢٢/٤، لجواد علي، ط بغداد ١٩٧٦.

(٤٤) معجم ما استعجم: ٧٦/١، للبكري عبد الله، تحقيق مصطفى السقا، ط القاهرة ١٩٤٥.

والمغمس والحريب وراكس أسماء مواضع. والوذيم: ما تعلق به التمام من خيط أو ما شابهه. والخوارس: النسوة اللواتي يطعمن الناس في ولادة المرأة، واسم الطعام الخرس. والعرائس: طيور تشبه الحمام. بيشة واللوى: موضعان. والأخشاف: جمع الخشف، وهو ولد الظبي. والجوارس: الطيور المصوتة. والمعاطس: الأنوف.

(٤٥) معجم البلدان: مادة (شأم) لياقوت الحموي، ط بيروت ١٩٥٥. وعاتقات: جمع عاتقة، وهي الفرس الكريمة. وغاورن: نزلن الغور. وأزل: من «أزل الفرس» إذ قصر حبله ثم سيب؛ فكانه لما غادر قومه صار في منزلة الفرس المسيب. وتأي: من «تأي» والياء للمتكلم.

(٤٦) ديوان المتلمس الضبي: ص ٨٢-٩٣. وأمرات: جمع مَرَّت، وهي الأرض التي لا نبت فيها.

وأماليس: جمع إمليس، وهي الأرض المستوية أو التي لا نبات فيها. والبسل: الحرام. والدهاريس: الدواهي، وأمّي شامية: أي اقصدي ناحية شامية. وشوس: من «الشوس» وهو النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً. والبوية: موضع بنجد.

(٤٧) الأصمعيات: ص ١٥٠.

(٤٨) فرحة الأديب: ص ١٣٩، للفتندجاني، تحقيق د. محمد علي سلطاني، ط دمشق ١٩٨١.

وانظر معجم البلدان: مادة (غمران). وأوعب: استأصل. والجادع: قاطع الأنف خاصة. والغمران، وذونجب: مواضع في بلاد بني أسد. والغلان: الوديان الغامضة في الأرض. والدوافع: الأراضي السهلة التي تدفع فيها الأودية. والخو والتين والربائع: مواضع في بلاد بني أسد. ومكاكي: جمع مكاء، وهو طائر أبيض كثير الصغير.

(٤٩) شرح ديوان الحماسة: ٩٩١/٢ - ٩٩٤، للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط القاهرة ١٩٥١.

وعواقب الأطهار: أي مراجعة البعولة إلى مضاجعة النساء بعقب أطهارهن. والأكوار: جمع الكور وهو الرحل بأداته. والمجنّبات: هي الخيل التي كانوا يجنبونها فلا يركبونها إلا في الإغارة. والعدوف: أدنى الأكل. والمساعر: هو الذي يُسعر الحرب ويوقدها.

(٥٠) الأغاني: ٣٤/١٠.

(٥١) قصائد جاهلية نادرة: ص ١٥٨، مختارات من (منتهى الطلب) لابن ميمون، تحقيق د. يحيى الجبوري، ط بيروت ١٩٨٢.

(٥٢) السيرة النبوية: ٢٩/٢. والقليب: البئر. والشرب: جماعة القوم الذين يشربون. والشيزى: الجفان تصنع من خشب. والسنام: لحم ظهر البعير. والحوامات: جمع الحومة، وهي القطعة من الإبل. والمسام: المرسل في المرعى من دون راع. والثنية: الفرجة بين جبلين. ونعام: موضع والسقب: ولد الناقة.

(٥٣) المغازي: ١٢٢/١، للواقدي، تحقيق بارسدن جونس، ط جامعة أكسفورد ١٩٦٦.

(٥٤) ديوان الخرنق بنت بدر: ص ٢٩-٣٢، تحقيق حسين نصار، ط القاهرة ١٩٦٩. والتأيه: الصوت.

(٥٥) الأصمعيات: ص ١٨٧. وفادوا: ماتوا. وحُذاق: حي من إياد. واستقل: رحل: والرَّهام: جمع الرَّهْمَة: وهي المطر الضعيف. والهام: جمع الهامة، وهي طائر صغير، تزعم العرب أنه يخرج من الميت.

صُنْعُ دَوَائِنِ الشُّعْرِ وَنَظْرَةٌ فِي شِعْرِ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ الْمَجْمُوعِ

للمهندس حاتم غنيم

تَمْهِيد :

ظَهَرَ فِي عَدَدٍ سَابِقٍ مِنْ مَجَلَّةِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُرْدُنِيِّ (١) بَحْثٌ
لِلْأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ رُضْوَانَ مُحَمَّدِ النَّجَّارِ، (صَنَعَ) فِيهِ شِعْرُ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ
الْكَلايْبِيِّ، تَوَقَّفْتُ عِنْدَمَا طَالَعْتُهُ وَفَقَّةَ الْمُتَأَمِّلِ، لِعِلْمِي أَنَّ الْأَسْتَاذَ الدُّكْتُورَ
نُورِي حَمُودِي الْقَيْسِي كَانَ جَمَعَ شِعْرَ زُفَرٍ هَذَا وَنَشَرَهُ فِي مَجَلَّةِ الْمَجْمَعِ
الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ (٢) قَبْلَ مَا يُنْفِ عَنِّي أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ، وَتَسَاءَلْتُ عَنْ سَبَبِ
تَكَرُّرِ الْجُهُودِ، وَكَيْفَ تَقْبُلُ مَجَالَاتٍ مُحْكَمَةً نَشَرَ أَعْمَالِ مَطْرُوقَةٍ مُعَادَةٍ،
وَبِخَاصَّةِ أَنَّ الْأَسْتَاذَ النَّجَّارَ كَانَ نَشَرَ شِعْرَ خِدَاشِ بْنِ زُهَيْرٍ (٣) بَعْدَ أَنْ سَبَقَهُ
إِلَى ذَلِكَ الْأَسْتَاذُ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْكَرِيمِ يَعْقُوبُ فِي مَجْمُوعِهِ لِأَشْعَارِ الْعَامِرِيِّينَ

(١) العدد (٣٣) تموز - كانون الأول سنة ١٩٨٧، ص ٢١٥ - ٢٨٢.

(٢) المجلد (٣٥) الجزء الأول - كانون الثاني سنة ١٩٨٤، ص ١٤٢ - ١٧٢.

(٣) مجلة كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العددان ١٣/١٤ سنة ١٤٠٣ - ١٤٠٤ هـ ص ٥٤٣ - ٦٢٣.

الجاهليين(٤)، فلم يزد فيه إلا الأبيات التي نقلها عن مخطوطة «منتهى الطلب»، ولم يدرك شأوه فيما سوى ذلك، ثم قلت لنفسي، لعل الأستاذ وقف على قصور أو تقصير في عمل من تقدمه، فأضاف شيئاً دفعه إلى إعادة نشره، أو لعله سلك محجة أخرى غير التي اختارها المتقدم، فرجعت إلى المجموعتين أنظر فيهما، دارساً لهما، مقارناً بينهما، ثم أعدت تصفح كتاب «شعراء دواوين»(٥) للأستاذ عبد الوهاب الصابوني، فوصلت إلى ما يقرب من الاقتناع بأن الكثرة الكاثرة من علمائنا الذين حملوا أنفسهم على خطة عمل دواوين شعرائنا القدامى تناولوا الأمر من أمم، وسلكوا الجدد المظمتين فاكتفوا بالجمع، وهو سبيل بعيد عن المزالق والعوائق، ناء عن الزلل والعتار، وإن لم يخل من نصب وعناء وكد، فلا غرو أن استسهله الشداء، وطرقه العاملون، ليقرب مرآهم ويسر مطلبه. ولا ضير في ذلك متى كان العمل ابتداءً، فجمع الشعر من الأهمية بمكان، أما الاقتضاء دونما زيادة أو إنافاة، فخير منه الاكتفاء بما سبق، ثم استدراك النقص وسد الخلل وإصلاح الفاسد، فتتم بذلك الفائدة، ولا يضيع الجهد فيما لا طائل فيه ولا غناء. على أن الخدمة الحقة لهذه الدواوين تتطلب أموراً أخرى غير الجمع، توطىء وعرها، وتدلل صعبها، وتيسر الانبفاع بها. ولقد نهض علماءنا القدماء بكثير منها، وصرفوا فيها عنايتهم. ولعلهم كانوا أوفى منا بهذا العمل وأغنى، فما علينا لو اتبعنا قصدهم فيما طرقتوا، وتصدينا لأشياء مما تركوا، فما أغفلوها إلا لاستغنائهم عنها، على حاجتنا إليها في زماننا هذا. وأنا مبين - يعون الله - في بحثي هذا الأسس الرئيسة للمنهج الذي يستحسن اتباعه في صنع دواوين الشعراء، ليقرب مأخذها وتسهل الإفادة منها.

(٤) «أشعار العامريين الجاهليين» دار الحوار - اللاذقية سنة ١٩٨٢.

(٥) مكتبة دار الشرق - بيروت سنة ١٩٧٨، وقد استعرض فيه المؤلف ما وقف عليه من الدواوين المنشورة.

جَمْعُ دَوَائِنِ الشُّعْرَاءِ :

يَقُولُ عَبْدُ الْكَرِيمِ النَّهْشَلِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ (٦) : «لَمَّا رَأَتِ الْعَرَبُ الْمَنْشُورَ يَنْدُ عَلَيْهِمْ، وَتَنَقَّلَتْ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كِتَابٌ يَتَضَمَّنُ أَعْمَالَهُمْ، تَدَبَّرُوا الْأَوْزَانَ وَالْأَعَارِيضَ، فَأَخْرَجُوا الْكَلَامَ أَحْسَنَ مُخْرَجٍ، بِأَسَالِيبِ الْغِنَاءِ، فَجَاءَهُمْ مُسْتَوِيًّا، وَرَأَوْهُ بَاقِيًّا عَلَى مَمَرِّ الْأَيَّامِ، فَأَلْفَوْا ذَلِكَ وَسَمَّوْهُ شِعْرًا، وَالشُّعْرَ عِنْدَهُمْ: الْفِطْنَةُ، وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: لَيْتَ شِعْرِي: أَي لَيْتَ فِطْنَتِي. وَالشُّعْرُ أَتْلَعُ الْبَيِّنَاتِ، وَأَطْوَلُ اللَّسَانِينَ، وَأَدَبُ الْعَرَبِ الْمَأْثُورُ، وَدِيْوَانُ عِلْمِهَا الْمَشْهُورُ...».

وَيَقْتَفِي ابْنُ رَشِيقٍ أَثَرَ شَيْخِهِ النَّهْشَلِيِّ، فَيُرَدِّدُ آرَاءَهُ بِعَيْنِهَا ثُمَّ يَقُولُ (٧) : «وَقِيلَ: مَا تَكَلَّمَتِ الْعَرَبُ بِهِ مِنْ جَيِّدِ الْمَشْهُورِ أَكْثَرَ مِمَّا تَكَلَّمَتْ بِهِ مِنْ جَيِّدِ الْمَوْزُونِ، فَلَمْ يُحْفَظْ مِنَ الْمَشْهُورِ عَشْرُهُ، وَلَا ضَاعَ مِنَ الْمَوْزُونِ عَشْرُهُ...».

هَكَذَا فَسَّرَ النَّهْشَلِيُّ، وَأَبْنُ رَشِيقٍ مِنْ بَعْدِهِ، ظَاهِرَةَ حِرْصِ الْعَرَبِ عَلَى قَوْلِ الشُّعْرِ: بِبَقَائِهِ عَلَى مَمَرِّ الْأَيَّامِ، وَسَهُولَةِ حِفْظِهِ، فَلَا عَجَبَ أَنْ اِهْتَمَّ بِهِ الْعَرَبُ مِنْذُ الْقَدِيمِ وَحَرِصُوا عَلَى حِفْظِهِ وَاعْتَنَوْا بِرِوَايَتِهِ، فَقَدْ مَكَثَتْهُ صِفَةُ الْبَقَاءِ وَسَهُولَةُ الْحِفْظِ مِنْ أَنْ يُصْبِحَ - فِي الْجَاهِلِيَّةِ - وَسِيلَةَ الْإِعْلَامِ (٨) الْوَحِيدَةَ الْمُنَاحَةَ، يُعْبَرُونَ بِوَسَاطَتِهَا عَنْ تَطَلُّعَاتِهِمْ وَرَغَبَاتِهِمْ، وَيُشِيدُونَ بِمَفَاخِرِهِمْ وَأَنْتِصَارَاتِهِمْ، وَيَتَهَدَّدُونَ وَيَسْتَعْطِفُونَ، وَيَسْتَرْضُونَ وَيُعَاتِبُونَ، وَيَمْدَحُونَ وَيَذُمُونَ. وَلَمْ تَكُنِ الْخَطَابَةُ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ تَنَافُسَ الشُّعْرِ فِي

(٦) «الممتع في علم الشعر وعمله» تحقيق د. منجي الكعبي - الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس - سنة ١٩٧٨، ص ٣٠.

(٧) «العمدة» تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي - القاهرة سنة ١٩٣٤، ص ٧، ٨.

(٨) كان هذا في الجاهلية، قبل أن تصبح الخطابة (في الإسلام) وسيلة الإعلام الرسمية. ولنا مقالة - سنشر قريباً بإذن الله - تبحث في الدور الإعلامي لكل من الشعر والخطابة.

دَوْرِهِ هَذَا، فَإِنَّ الْقَلِيلَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْخُطْبِ الَّتِي كَانَتْ تُلقَى فِي «الأسواق» - كَسُوقِ عكاظ - لَمْ يَكُنْ يَرْقَى مَرَاقِي الْوَسِيلَةِ الإِعلامِيَّةِ الرَّئِيسِيَّةِ: الشَّعْرِ. لِذَلِكَ رَأَيْنَا الْقَبَائِلَ تُجَلُّ شُعْرَاءَهَا وَتُعْنَى بِأَشْعَارِهِمْ وَتُهْنَأُ بِظُهُورِهِمْ وَنُبُوغِهِمْ. وَقَدْ كَانَتْ حَنِيفَةً - مَثَلًا - مِنْ أَكْثَرِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِأَسَا وَعَدَدًا وَرَحَاءً، وَكَانَتْ مُظْفَرَةً فِي مَعَارِكِهَا، غَنِيَّةً فِي مَوَارِدِهَا، لَكِنَّهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا بَيْنَ الْقَبَائِلِ الذِّكْرُ الَّذِي كَانَ لِشَيْبَانَ وَتَغْلِبَ، وَعَامِرَ وَتَمِيمَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِقَلَّةِ حَظِّهَا مِنَ الشَّعْرِ (٩)، فَأَدَّى اِفتِقَارُهَا إِلَى «المصادر الإِعلامِيَّةِ» أَنْ تُنَوِّسَتْ مَآثِرُهَا وَجُهِلَتْ مَكَارِمُهَا وَمَفَاخِرُهَا، فَقَبِعَتْ بِالذِّكْرِ الضَّئِيلِ فِي عَصْرِ كَانَ الصِّبْتُ فِيهِ أَنْفَذَ مِنَ الْفِعْلِ، وَالسُّمْعَةُ أَقْوَى مِنَ الْحَقِيقَةِ. وَقَدْ أَشَارَ ابْنُ قُتَيْبَةَ إِلَى أَثَرِ الشَّعْرِ فِي نَشْرِ الْمَكَارِمِ وَحِفْظِ الْمَفَاخِرِ فَقَالَ (١٠): «وَمَنْ لَمْ يَقُمْ عِنْدَهُمْ عَلَى شَرَفِهِ وَمَا يَدَّعِيهِ لِسَلْفِهِ مِنَ الْمَنَاقِبِ الْكَرِيمَةِ وَالْفِعَالِ الْحَمِيدِ بَيَّتَ مِنْهُ - أَيِ الشَّعْرِ - شِدَّتَ مَسَاعِيهِ وَإِنْ كَانَتْ مَشْهُورَةً، وَدَرَسَتْ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ وَإِنْ كَانَتْ جِسَامًا. وَمَنْ قَبِلَهَا بِقَوَافِي الشَّعْرِ، وَأَوْثَقَهَا بِأَوْزَانِهِ، وَأَشْهَرَهَا بِالْبَيْتِ النَّادِرِ وَالْمَثَلِ السَّائِرِ وَالْمَعْنَى اللَّطِيفِ، أَخْلَدَهَا عَلَى الدَّهْرِ، وَأَخْلَصَهَا مِنَ الْجَحْدِ...».

كُلُّ هَذَا يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الشَّعْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَكُنْ وَسِيلَةً لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَشَاعِرِ وَالْأَحَاسِيسِ وَالرَّغَبَاتِ وَالْأَمَالِ وَالتَّجَارِبِ وَالْمُعَانَاةِ لَدَى الشَّاعِرِ فَحَسَبَ، بَلْ كَانَ أَيْضًا «مِهْنَةً» أَوْ «صِنَاعَةً» يَحْتَرِفُهَا الشَّاعِرُ، تَهْدِيفُ إِلَى الإِغْلَانِ عَنِ وَجْهَةِ نَظَرِهِ أَوْ نَظَرِ الْقَبِيلَةِ الَّتِي يُمَثِّلُهَا فِي أُمُورِ كَانَتْ الْحَيَاةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَدْ بُنِيَتْ عَلَيْهَا. وَكَانَ لِمِهْنَةِ «الإِغْلَامِ» هَذِهِ مِنَ الضَّرُورَاتِ وَالْإِحْتِيَاجَاتِ وَالْمَهَارَاتِ مَا أَوْجَبَ عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ «يَتَدَرَّبَ» عَلَى يَدِ مُعَلِّمٍ

(٩) بذكر الجاحظ في كتابه «الحيوان» - تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة (المصورة)،

دار الكتاب العربي، بيروت سنة ١٩٦٩، ص ٣٨٠ - أن بني حنيفة كانوا أقل الناس شعرا.

(١٠) «عيون الأخبار» - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة سنة

١٩٦٣ - ج ٢ ص ١٨٥.

خبير في هذه الصناعة ليتها له القيام بالمهمة المنوطة به على الوجه الأكمل ، فجاءت ظاهرة «الشعراء الرواة» بيانا لهذا الاتجاه ، إذ التحق كثير من الذين رغبوا في احتراف الشعر بأساندة كان لهم باع في النظم وشهرة ، يجمعون أشعارهم ويحفظونها ويردّدونها ، فسمعنا أن امرأ القيس كان راوية أبي دؤاد الإيادي ، وزهيراً راوية أوس بن حجر ، وكعباً راوية أبيه زهير ، والحطيئة راوية زهير وابنه كعب ، وهذبة بن الحشرم راوية الحطيئة وجميلاً راوية هذبة ، وكثيراً راوية جميل (١١) ، فلعل أقدم صور جمع دواوين الشعراء كان ما ذكرنا من حفظها وإذاعتها من قبل الرواة المتلمذين لهم . على أن الرواة لم يكونوا كلهم من الراغبين في احتراف الشعر ، بل نجد منهم من روى لشاعر ما حُباً في شعره وإعجاباً ، مثل يحيى بن متى (١٢) راوية الأعشى الذي كان عبادياً من نصارى الحيرة ، ولم يجمعه والأعشى من صلة سوى إعجابيه بما يقول ، وما سمعنا له بشعر ولا عرفنا أنه قال منه شيئاً . فلعل هؤلاء كانوا خيراً للدواوين ، لأن جمعهم لها غاية لا وسيلة ، والوسيلة تنبذ بعد الوصول إلى الغاية . وما أظن امرأ القيس - بعد إتقانه قول الشعر وشهرته به - حافظ على رواية شعر أبي دؤاد ، ولا فعل ذلك زهير لأوس . كما لا أرى من جمع قول شاعر إعجاباً به ورغبة فيه تاركاً روايته إلا لحادثة أو لعلة . على أن ما يهمنا من ذلك كله أن أسباب الرواية تعددت ، فأدى ذلك إلى حفظ دواوين الشعراء الفحول .

ثم بلغنا أن القبائل كانت تحفظ القصائد التي قالها الشعراء تمجيداً لها

(١١) انظر: «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام - تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني

سنة ١٩٧٤ - ص ٩٧ ، ١٠٤ . و«الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني - طبعة دار الثقافة بيروت

سنة ٥٥ - ١٩٦٤ - ج ٨ ص ٩١ ، ج ٢١ ص ٢٧٧ و«العمدة» ج ١ ص ١٧٢ .

(١٢) اختلف في اسمه ، فقيل يحيى وقيل يونس وقيل عبيد . ويرى الدكتور ناصر الدين الأسد في

«مصادر الشعر الجاهلي» - الطبعة الخامسة ، دار المعارف سنة ١٩٧٨ ، ص ٢٤٠ - أنها

أسماء ثلاثة لرجل واحد .

وَفَخْرًا بِانْتِصَارَاتِهَا وَمَدْحًا لِزَعَمَائِهَا وَإِسَادَةً بِإِطْلَاقِهَا وَهَيْجَاءً لِأَعْدَائِهَا(١٣). وَمَعَ
أَنَّهَا قَدْ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعُدَّ هَذَا جَمْعًا لِذَوَابِنِ الشُّعْرَاءِ، إِذْ رُبَّمَا أَهْمَلَتِ الْقَبَائِلُ
الْأَشْعَارَ مَا لَمْ تَكُنْ دَعَايَةً لَهَا وَإِعْلَانًا عَنْ فَضَائِلِهَا وَأَمْجَادِهَا، إِلَّا أَنَّنَا نَقِفُ أَمَامَ
صُورَةٍ أُخْرَى مِنْ صُورِ جَمْعِ الشُّعْرِ؛ هِيَ الذَّوَابِنُ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ مَوَاضِعٍ
مُحَدَّدَةٍ. وَكَانَ أَقْدَمُ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا عَنْ تَدْوِينِ مِثْلِ هَذِهِ الْمَجَامِيعِ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ
ابْنُ سَلَامٍ (١٤)، مِنْ أَنَّهُ «كَانَ عِنْدَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدَبِرِ مِنْهُ دِيْوَانٌ فِيهِ أَشْعَارُ
الْفُحُولِ وَمَا مُدِّحٌ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ بِهِ، صَارَ ذَلِكَ إِلَى بَنِي مَرْوَانَ، أَوْ صَارَ
مِنْهُ...». وَلَعَلَّ هَذِهِ أَوَّلُ إِشَارَةٍ صَرِيحَةٍ عَرَفْنَاها عَنْ تَدْوِينِ الْمَجَامِيعِ
الشُّعْرِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ.

ثُمَّ تَتَوَالَى أَخْبَارُ حِفْظِ الشُّعْرِ وَرِوَايَتِهِ، فَتَرَى مِنْ اسْتِعَانِ بِهِ عَلَى
تَوْضِيحِ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي
كَانَ لَا يُفَسِّرُ آيَةً إِلَّا اسْتَشْهَدَ عَلَى قَوْلِهِ بِشِعْرِ جَاهِلِيٍّ، وَتَرَى مِنْ حِفْظِهِ تَأْدِبًا
وَتَظَرُّفًا، مِثْلَ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ، وَمَنْ رَوَاهُ تَوْسَعًا فِي الْعِلْمِ وَاسْتِزَادَةً، مِثْلَ
الشُّعْبِيِّ وَقَتَادَةَ، بَلْ تَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لِيُنَالِ بِهِ حُظُوتَهُ لَدَى الْخُلَفَاءِ، مِثْلَ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ الَّذِي رَوَى الشُّعْرَ لِمَا عَرَفَهُ مِنْ حُبِّ عَبْدِ
الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لَهُ(١٥). لَكِنَّا لَمْ نَسْمَعْ عَنْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْأَشْعَارَ
وَدَوَّنُوهَا، وَإِنَّمَا حَفِظُوهَا وَاسْتَشْهَدُوا بِهَا، فَهُمْ إِذَنْ لَيْسُوا بِمَنْ تَقَصَّدَ جَمْعَ
الذَّوَابِنِ، وَلَا عِلَاقَةَ لَنَا بِهِمْ فِي بَحْثِنَا هَذَا.

ثُمَّ نَعُودُ فَنُطَالِعُ إِثْرَ ذَلِكَ أَخْبَارَ اهْتِمَامِ الْقَبَائِلِ بِشِعْرِ شُعْرَائِهَا
الْقُدَامِيَّ، وَأَنَّ مِنْهَا مَنْ وَجَدَتْ مَا قِيلَ فِي «الدَّعَايَةِ» لَهَا نَزْرًا فَأَضَافَتْ إِلَيْهِ

(١٣) تكاد نجزم أن هذا كان أصل مجموعات أشعار القبائل التي وصل إلينا منها مجموع أشعار
هذيل، والمتدبر لهذا المجموع يجده ربما حوى لشاعر بضعة أبيات فقط، ولم يلم بكامل
شعره.

(١٤) «طبقات فحول الشعراء» ص ٢٥.

(١٥) «الحيوان» ج ٥ ص ١٩٤.

وَزَادَتْ فِيهِ (١٦)، وَهَذَا يَنْقُلُنَا إِلَى نَظَرِيَّاتِ الشَّعْرِ الْمَنْحُولِ، وَصِحَّةِ مَا وَصَلَ
إِلَيْنَا مِنْ شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ بِخَاصَّةٍ. وَلَا يَهْمُنَا هَذَا الْأَمْرُ هُنَا فِي كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ،
وَلَكِنْ نَتَطَرَّقُ إِلَى تَرْجِيحِ رَأْيِ أَوْرَفُضٍ آخَرَ (١٧)، فَمَا هَذَا مَوْضِعُ الدَّرَاسَةِ،
وَإِنْ كُنَّا قَدْ نَمَسُّ الْمَسْأَلَةَ مَسًّا رَافِقًا عِنْدَ التَّحَدُّثِ عَنِ التَّوْتُقِ فِي رِوَايَةِ الشَّعْرِ.

ثُمَّ تَصِلُ إِلَيْنَا بَعْدَ أَخْبَارِ الْعُلَمَاءِ الرُّوَاةِ، كَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ وَخَلْفِ
الْأَحْمَرِ وَحَمَادِ الرَّاوِيَةِ، فَتَعْرِفُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ جَمَعُوا شِعْرَ الْعَرَبِ وَرَوَوْهُ
وَدَوَّنُوهُ، وَنَقَلَ عَنْهُمْ تَلَامِيذُهُمْ كُلُّ هَذَا الَّذِي جَمَعُوهُ وَرَوَوْهُ وَدَوَّنُوهُ، فَيَمَثُلُ
ذَلِكَ لَنَا وَجْهًا آخَرَ مِنْ وُجُوهِ جَمْعِ الشَّعْرِ.

وَيَخْلُصُ لَدَيْنَا - مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ - سُبُلٌ ثَلَاثٌ عَرَفْنَاهَا لِيَجْمَعَ الشَّعْرُ
قَدِيمًا: أَوْلَاهَا مَا سَلَكَهُ الرُّوَاةُ الَّذِينَ حَفِظُوا أَشْعَارَ أَسَاتِدَتِهِمْ أَوْ مَنْ أَعْجَبُوا
بِشِعْرِهِ فَرَوَوْهُ. وَثَانِيَّتُهَا مَا انْتَهَجَهُ رُوَاةُ أَشْعَارِ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ اِهْتَمُّوا بِجَمْعِ
الْقَصَائِدِ الَّتِي تَمَجَّدُ عَشَائِرُهُمْ وَتَشِيدُ بِمَآثِرِهَا وَوَقَائِعِهَا، وَلَعَلَّ مِنْهُمْ مَنْ زَادَ
فِيهَا وَتَكَثَّرَ، لَكِنَّ ذَلِكَ يَبْقَى صُورَةً مِنْ صُورِ جَمْعِ الشَّعْرِ. وَثَالِثُهَا مَا أَسْتَنَّهُ
الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ اِهْتَمُّوا بِرِوَايَةِ الشَّعْرِ لِمَا رَأَوْا مِنْ رِوَاكِ سُوْقِهِ أَوْ لِمَا تَقَصَّدُوهُ مِنْ
الْحِفَاطِ عَلَيْهِ مِنَ الضِّيَاعِ، لِأَنَّهُ أَسَاسٌ لِفَهْمِ اللُّغَةِ، وَمَصْدَرٌ لِمَعْرِفَةِ الْأَخْبَارِ
وَالْوَقَائِعِ وَالْأَمَاكِينِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ كُلِّهِ.

مَيْزُ صَحِيحِ الشَّعْرِ مِنْ زَائِفِهِ:

يَقُولُ ابْنُ سَلَامٍ (١٨): « . . . وَلَيْسَ يُشْكِلُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ زِيَادَةُ الرُّوَاةِ
وَلَا مَا وَضَعُوا، وَلَا مَا وَضَعَ الْمُؤَلَّدُونَ، وَإِنَّمَا عَضَلَ بِهِمْ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ مِنْ
أَهْلِ الْبَادِيَةِ مَنْ وَلَدَ الشُّعْرَاءِ، أَوِ الرَّجُلُ لَيْسَ مِنْ وَلَدِهِمْ، فَيُشْكِلُ ذَلِكَ بَعْضَ

(١٦) «طبقات فحول الشعراء» ص ٤٦

(١٧) تناول كتاب «مصادر الشعر الجاهلي» - ص ٢٨٧ إلى ٤٧٨ - موضوع الشك في هذا الشعر
بما لا مزيد عليه.

(١٨) «طبقات فحول الشعراء» ص ٤٦ - ٤٧.

الإشكال» . . ثم يُخبرنا بعد (١٩) أن جريراً رَفَدَ هِشاماً المَرِيئِيَّ - وَكَانَ يُهاجِي
ذا الرُّمَّةَ - بأبياتٍ أوَّلُها :

غَضِبْتَ لِرَهْطٍ مِنْ عَدِيٍّ تَشَمَّسُوا وَفِي أَيِّ يَوْمٍ لَمْ تُشَمَّسْ رِحَالُهَا
وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ جَرِيرٌ لَتُهُمَّتِهِ ذَا الرُّمَّةِ وَمِثْلِهِ إِلَى الْفَرَزْدَقِ . فَلَمَّا بَلَغَتْ
الأبياتُ ذَا الرُّمَّةِ قال : « وَاللَّهِ مَا هَذَا بِكَلَامِ هِشَامٍ ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ ابْنِ الأَتانِ . .
هُوَ وَاللَّهِ شِعْرٌ حَنْظَلِيٌّ عَدَوِيٌّ . . . » . وَيَعِيدُ أَبُو الْفَرَجِ الأَصْفَهَانِيُّ (٢٠) قَصَّ هَذَا
الخَبَرَ ، وَيَزِيدُ فِيهِ أَنَّ ذَا الرُّمَّةَ عَتَبَ عَلَيَّ جَرِيرٍ فِي ذَلِكَ وَذَكَرَهُ حُؤُولَةً لَهُ فِي
بَنِي عَدِيٍّ - رَهْطِ ذِي الرُّمَّةِ - وَتَبَّرَأَ لَهُ مِنْ مُمَالَاتِهِ لِلْفَرَزْدَقِ ، فَرَفَدَهُ بِأَبْيَاتٍ ثَلَاثَةَ
أَوَّلُهَا :

يَعُدُّ النَّاسِبُونَ إِلَى تَمِيمٍ يُبَوِّتُ الْمَجْدُ أَرْبَعَةَ كِبَارَا
فَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ قَصِيدَةً طَوِيلَةً - عَدَدُ أَيْبَاتِهَا فِي دِيوانِهِ ثَلَاثَةٌ وَخَمْسُونَ بَيْتاً
- الْحَقَّ الأَبْيَاتُ بِهَا ، فَلَمَّا سَمِعَهَا المَرِيئِيَّ جَعَلَ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَيَقُولُ : « مَالِي
وَلِجَرِيرٍ !! » . ثُمَّ يَذْكُرُ الأَصْفَهَانِيُّ أَنَّ ذَا الرُّمَّةَ أَنْشَدَ الْفَرَزْدَقَ قَصِيدَتَهُ هَذِهِ
الطَوِيلَةَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الأَبْيَاتِ اسْتَعَاذَهَا ثُمَّ قال : « كَذَبَ فُوكُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ
نَحَلَكُهَا أَشَدُّ لَحِيئِينَ مِنْكَ . هَذَا شِعْرُ ابْنِ الأَتانِ » .

وَيُشِيرُ أَبُو بَكْرٍ الصُّوَلِيُّ (٢١) إِلَى هَذَا الخَبَرِ وَيَعْلَقُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : « فَانظُرْ
إِلَى نَقْدِ الْفَرَزْدَقِ وَتَمْيِيزِهِ لأَبْيَاتٍ تُشْبِهُ أَيْبَاتاً لِشاعِرٍ مُفْلِقٍ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ
حَتَّى مَيَّزَها » وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ رَفَدَ عَمْرَ بْنَ لُجَأَ بَيْتَيْنِ ، زَادَهُمَا فِي قَصِيدَةٍ لَهُ
طَوِيلَةٍ - تَعَدَّادُها فِي دِيوانِهِ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ وَمِائَةٌ بَيْتٍ - فَعَرَفَ جَرِيرٌ أَنَّهُمَا
لِلْفَرَزْدَقِ (٢٢) .

(١٩) «طبقات فحول الشعراء»، ص ٥٥٧ - ٥٥٨ .

(٢٠) «الأغاني» ج ٨ ص ٥٦ ، ج ١٧ ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٢١) «ديوان أبي نواس» برواية الصولي - تحقيق د. بهجت الحديثي ، دار الرسالة للطباعة بغداد

سنة ١٩٨٠ - ص ٦١ - ٦٣ .

(٢٢) المصدر نفسه ص ٦٤ ، و «الأغاني» ج ٢١ ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

وَيَنْقُلُ ابْنُ سَلَامٍ (٢٣) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ دَاوُدَ بْنَ مُتَّمٍ بِنَ نُؤَيْرَةَ «قَدِمَ
الْبَصْرَةَ فِي بَعْضِ مَا يَقْدَمُ لَهُ الْبَدَوِيُّ مِنَ الْجَلْبِ وَالْمِيرَةِ، فَتَزَلَ النَّحِيتَ،
فَأَتَيْتُهُ أَنَا وَابْنُ نُوحِ الْعَطَارِدِيِّ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ شِعْرِ أَبِيهِ مُتَّمٍ وَقُمْنَا لَهُ بِحَاجَتِهِ
وَكَفَيْنَاهُ ضَيْعَتَهُ، فَلَمَّا نَفِدَ شِعْرُ أَبِيهِ، جَعَلَ يَزِيدُ فِي الْأَشْعَارِ وَيَصْنَعُهَا لَنَا، وَإِذَا
كَلَامٌ دُونَ كَلَامِ مُتَّمٍ، وَإِذَا هُوَ يَحْتَذِي عَلَيَّ كَلَامِهِ، فَيَذْكُرُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي
ذَكَرَهَا مُتَّمٌ، وَالْوَقَائِعَ الَّتِي شَهِدَهَا. فَلَمَّا تَوَالَى ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّهُ يَفْتَعِلُهُ».

وَيَتَضَمَّنُ هَذَا الْخَبْرُ - عَلَيَّ إِجَارَهُ - أُمُورًا كَثِيرَةً لَافِتَةً لِلنَّظَرِ:

أَوَّلُهَا أَنَّ دَاوُدَ هَذَا حَفِظَ شِعْرَ أَبِيهِ، وَهَذَا جَمْعٌ.

وَتَانِيهَا أَنَّهُ زَادَ فِيهِ مُحْتَدِيًا كَلَامَهُ، وَهَذَا تَكْثِيرٌ وَنَحْلٌ وَافْتِعَالٌ.

وَتَالِثُهَا أَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي ذَكَرَهَا مُتَّمٌ، لِكَيْ يَجُوزَ شِعْرُهُ
الْمَنْحُولَ عَلَيَّ الشُّدَاةَ.

وَرَابِعُهَا أَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ الْوَقَائِعَ الَّتِي شَهِدَهَا مُتَّمٌ، لِلْسَّبَبِ نَفْسِهِ.

وَخَامِسُهَا أَنَّ الْعُلَمَاءَ بِالشُّعْرِ لَاحِظُوا أَنَّ الْكَلَامَ الْمُفْتَعَلَ كَانَ دُونَ كَلَامِ
مُتَّمٍ، وَلَمْ يَجْزِ عَلَيْهِمْ.

وَالْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ الْأَخِيرَةُ تَشْرَحُ لَنَا بَعْضَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي مَيَّزَ الْعُلَمَاءُ بِهَا
مَنْحُولَ الشُّعْرِ مِنْ صَحِيحِهِ، وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّاعِرُ فِي
شِعْرِهِ، وَمَعْرِفَةُ الْوَقَائِعِ، وَمَعْرِفَةُ لُغَةِ الشَّاعِرِ وَأُسْلُوبِهِ وَ«كَلَامِهِ».

فَهَذِهِ أَخْبَارٌ تُفِيدُنَا أَنَّ الْعُلَمَاءَ بِالشُّعْرِ كَانُوا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ قَوْلِ شَاعِرٍ
وَأَخْرَ، وَبَيْنَ الْأَصِيلِ وَالْمَوْضُوعِ، وَالصُّحُوحِ وَالرَّائِفِ، وَالغَثِّ وَالسَّمِينِ.
وَلَمْ يَأْتِ ذَلِكَ عَفْوًا وَحَدْسًا بَلْ تَمَّ وَفَقَ أُسُسٌ وَقَوَاعِدٌ عِلْمِيَّةٌ، مَعَ مِرَانٍ
وَدُرْبَةٍ وَمُمَارَسَةٍ وَمَلَكَةٍ، وَفَهْمٍ عَمِيقٍ لِأَنْمَاطِ الْكَلَامِ وَأَسَالِيْبِهِ، وَطُرُقِ

(٢٣) «طبقات فحول الشعراء» ص ٤٧ - ٤٨.

التعبير ومناحيه، ولغات القبائل ولهجاتها، وخواص المدارس الشعرية المختلفة ومميزاتها. أضف إلى ذلك كله معرفة واسعة بأخبار العرب وأيامهم ووقائعهم، ومباهيمهم ومنازلهم وديارهم، وأديانهم ومذاهبهم وأوابدهم، وأسواقهم وأعيادهم وعاداتهم، وأخلافهم ومنافرائهم وتواريخهم، وما يحمدون ويذمّون وبم يتفألون ويتشاءمون وما يقبلون ويرفضون وقد كوّن هذا لديهم أداة نقد فعالة، لا تكاد نطمع نحن - في عصرنا الحاضر - أن يتوفر لدينا مثلها.

صنع الدواوين الشعرية في التراث العربي :-

يقع المتدبر لما حفلت به المظان من أخبار عن رواية الشعر ولم شعثه على أشياء تسترعي النظر لما حظي به هذا الشعر من عناية واهتمام منذ القدم .

فمن ذلك ما وقفنا عليه من أن رواية الأعشى (٢٤) سأله عما أراد بقوله :

ومدامه مما تعتق بسابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

فقال الأعشى : « شربتها حمراء وبلتها بيضاء فسلبتها لونها ». ومع أننا نرى تفسيرات لهذا البيت في كتب اللغة والأدب (٢٥) ، مثل أن يكون أراد أنه شربها حمراء فانتقل احمرار لونها إلى وجهه ، أو غير ذلك مما يمكن أن يُحمّل المعنى عليه ، إلا أنه يجدر بنا التوقف قليلاً أمام هذا الخبر لما يشير إليه - صراحةً - من أن الراوية لم يكتف بحفظ الشعر بل اهتم بشرحه أيضاً .

وتخبرنا المظان أن حماداً الراوية « كان أول من جمع أشعار العرب

(٢٤) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة - طبعة دار الثقافة بيروت - سنة ١٩٦٤ ، ص ١٨١ ، و «المعرب» للجواليقي - تحقيق أحمد محمد شاكر - الطبعة الثانية - دار الكتب سنة ١٩٦٩ ، ص ١٥١ .

(٢٥) «المعرب» ص ١٥١ ، و «لسان العرب» لابن منظور (جول) .

وَسَاقُ أَحَادِيثِهَا» (٢٦)، فَهَذِهِ سِيَاقَةٌ لِأَحَادِيثِ الْأَشْعَارِ، عِلَاوَةً عَلَى الْجَمْعِ .
وَنَسْمَعُ أَنَّ رِوَاةَ الْفَرَزْدَقِ كَانُوا «يُعَدِّلُونَ مَا أَنْحَرَفَ مِنْ شِعْرِهِ» وَكَذَلِكَ
كَانَ رِوَاةَ جَرِيرٍ «يُقَوِّمُونَ مَا أَنْحَرَفَ مِنْ شِعْرِهِ وَمَا فِيهِ مِنَ السَّنَادِ» (٢٧)، فَهَذَا
تَقْوِيمٌ لِلشَّعْرِ وَتَضْحِيحٌ . وَكُلُّهَا اتِّجَاهَاتٌ فِي «خِدْمَةِ» الشَّعْرِ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى
شَرْحِهِ بَلْ تَعَدَّتْهُ إِلَى نَوَاحٍ أُخْرَى بِقَصْدِ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى فَهْمِ الشَّعْرِ وَالْإِفَادَةِ
مِنْهُ . وَيُمْكِنُ تَلْخِيصُ مَا قَدَّمَ الرِّوَاةُ الْأَوَائِلُ لِذَوَابِنِ الشُّعْرَاءِ - إِضَافَةً إِلَى
الْجَمْعِ - بِمَا يَلِي :

١ - التَّفْسِيرُ وَبَيَانُ مُشْكِلِ الْمَعَانِي .

ب - سِيَاقَةُ أَحَادِيثِ الْأَشْعَارِ وَمُنَاسِبَاتِهَا .

ج - التَّعْرِيفُ بِالْوَقَائِعِ وَالْأَيَّامِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْأَشْعَارِ .

د - وَصْفُ الْمَوَاقِعِ وَالْمِيَاهِ الْمَذْكُورَةِ فِيهَا وَتَحْدِيدُهَا .

هـ - تَقْوِيمُ النَّصِّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ .

وَنَحْسَبُ أَنَّ بِاسْتِطَاعَتِنَا أَنْ نُضَيِّفَ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ تَرْتِيبَ الدِّيَوَانِ بِحَسَبِ
التَّسْلُسِ الزَّمَنِيِّ ، فَإِنَّ رِوَاةَ الشَّعْرِ غَالِبًا مَا كَانُوا يَحْفَظُونَهُ فَوْرَ نَظْمِهِ ، فَتَأْتِي
رِوَايَتُهُمْ لَهُ تَبَعًا لِذَلِكَ كَأَنَّمَا رُوِيَ فِيهَا التَّرْتِيبُ الزَّمَنِيُّ ، وَلَكِنْ دُونَ مَا تَوَخَّاهُ لِهَذَا
أَوْ قَصْدٍ . أَمَّا جَمْعُ الشَّعْرِ بِحَسَبِ الْمَوْضُوعَاتِ فَمَا وَصَلْنَا إِلَيْهَا أَنَّهُ تَمَّ إِلَّا فِي
عُهُودٍ مُتَأَخَّرَةٍ ، وَلَا يُمَكِّنُنَا اعْتِبَارُ مَا عَرَفْنَاهُ مِنْ جَمْعِ الْقَبَائِلِ أَوْ الْأَفْرَادِ لِشِعْرِ
الْمَدِيحِ الَّذِي قِيلَ فِيهِمْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ حَصْرًا لِجُزْءٍ مِنْ
شِعْرِ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ ، وَلَيْسَ تَصْنِيفًا لِلشَّعْرِ كُلِّهِ . كَذَلِكَ مَا نَظَنُّ أَحَدًا مِنَ
الْأَوَائِلِ رَتَّبَ دِيْوَانَ شِعْرِ بِحَسَبِ قَوَافِيهِ ، وَإِنَّمَا تَمَّ ذَلِكَ بِأَخْرَجَةٍ .

(٢٦) «طبقات فحول الشعراء» ص ٤٨ .

(٢٧) «الأغاني» ج ٤ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ . ولا نجد سناداً فيما وصل إلينا من شعر جرير، والنص
يشير إلى وجوده وتقويم الرواة له .

هذا ما كان من أمر جمع الشعر في القديم إلى أواخر عهد بني أمية .
أما ما عقب ذلك فقد اقتضى خطأ من سبق ، ولكن العلماء - وقد وجدوا الشعر
قد حفظ ودون وروي - اختصوا أنفسهم بمعايير ومناهج للجمع كانت
تختلف باختلاف الرجال والأزمان والأغراض ، فوجدنا من العلماء من
يتشدد كثيراً في اختيار ما يجمع وتمحيصه ، فلا يقبل إلا ما رواه عن الثقات
بل ما صح لديه من ذلك ، كما فعل الأصمعي في عمله لدواوين الشعراء
السنّة ، إذ رقص كل ما ساوره أدنى شك فيه ولم يدرج سوى ما ثبت لديه
صحته من شعرهم ، فأدى ذلك إلى صغر حجم الدواوين التي صنعها ،
ولكن ذلك لم يجد قبولا عند الكثيرين ، بل اعتبروه قصوراً وتقصيراً ، فترى
صاحب الفهرست يقول (٢٨) «وعمل الأصمعي قطعة كبيرة من أشعار العرب
ليست بالمرضية عند العلماء لقلّة غربتها (?) واختصار روايتها» . وإنما كان
ذلك لما ترك الأصمعي من شعر كثير لم يثق بصحته ، لا لقلّة ما حفظ
وجمع . ونحن نعرف عن الأصمعي تشدّده في قبول أشياء كثيرة في اللغة بله
الشعر . وكذلك فعل أبو بكر الصولي - فيما بعد - إذ ذاب على اختيار ما صح
عنده وترك ما شك فيه ، غير أنه كان كثيراً ما يحتاط بذكر أوائل القصائد التي
يعدّها من المنحول خشية أن يتهّم بالجهل أو التقصير ، كما فعل في روايته
لديوان أبي نواس .

على أن زمرّة من العلماء - خصوصاً من المتأخرين منهم - كانوا أكثر
تساهلاً وميلاً إلى قبول كل ما نسب إلى الشاعر من قول ، فلم يتركوا إلا ما
ثبت لديهم أنه لغيره ، فجاء ما جمعه أكثر مما جمع المتشدّدون وأتم ، ولقي
عملهم هذا رضى الخاصّة والعامة ، مما دفع البعض إلى تتبع روايات من
سبقوهم بالزيادة والإكمال ، وحداً بالآخرين على التكرار في الجمع دونما

(٢٨) «الفهرست» لابن النديم - تحقيق رضا تحدد - طهران سنة ١٩٧١ - ص ٦١ .

تَثَبَّتْ أَوْ تَدَقَّقِي، فَجَاءُوا بِتَفَاهَاتٍ ائْتَقَدْتُهُمْ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ، كَالَّذِي ذُكِرَ مِنْ نِسْبَةِ
الْمُسَمَّطَاتِ إِلَى امْرِئِ الْقَيْسِ، وَرَفُضَ امْثَالِ أَبِي الْعَلَاءِ (٢٩)
وَالصَّغَانِيِّ (٣٠) لِهَذِهِ النِّسْبَةِ.

وَلَمَّا اسْتَوْفَى الْعُلَمَاءُ الْجَمْعَ وَضَمَّ الرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ إِلَى الدَّوَاوِينِ،
شَرَعُوا يَنْظُرُونَ فِيمَا يُمَكِّنُ أَنْ يُضَيَّفُوهُ إِلَيْهَا، حَتَّى لَا يَكُونَ عَمَلُهُمْ تَكَرُّراً لِمَا
أَتَى بِهِ مَنْ سَبَقَهُمْ، فَظَهَرَتِ الشُّرُوحُ وَسِيَاقَةُ الْأَخْبَارِ. فَلَمَّا تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ كُلُّهُ
نَظَرُوا فِي تَنْسِيقِ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ مَادَّةٍ، فَجَمَعُوهَا بِحَسَبِ الْمَوْضُوعَاتِ أَوْ
بِحَسَبِ الْقَوَافِي، أَوْ خَلَطُوا بَيْنَ هَذَيْنِ، أَوْ ائْتَهَجُوا غَيْرَ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَلَعَلَّ أَوَّلَ تَرْتِيبٍ لِلدَّوَاوِينِ كَانَ - كَمَا أَسْلَفْنَا - بِحَسَبِ الزَّمَنِ الَّذِي قَبِلَ
فِيهِ الشَّعْرُ، ثُمَّ نَجَدْنَا أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَامُوا بِتَرْتِيبِهَا بِحَسَبِ أَهَمِّيَةِ الْقَصَائِدِ - فِي
رَأْيِهِمْ - كَمَا نَلَاخِظُ مِنْ جَمْعِ الْأَصْمَعِيِّ لِأَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ السِّتَةِ الْجَاهِلِيِّينَ
وَلِرَجَزِ الْعَجَّاجِ مَثَلًا، وَتَلَاهُ فِي ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ وَالسُّكْرِيُّ وَغَيْرُهُمْ
كَثِيرٌ. ثُمَّ ظَهَرَ تَرْتِيبُ الدَّوَاوِينِ بِحَسَبِ الْمَوْضُوعَاتِ، وَرَبَّمَا بَدَأَ ذَلِكَ فِي
الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ (٣١) أَمَّا تَرْتِيبُ الشَّعْرِ بِحَسَبِ الْقَوَافِي فَلَمْ يُعْرَفْ قَبْلَ
الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ، فَزَاهُ عِنْدَ الصُّوَلِيِّ الَّذِي نَسَقَ دِيْوَانَ أَبِي نُوَّاسٍ
بِحَسَبِ الْمَوَاضِعِ ثُمَّ الْحُرُوفِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِدِيْوَانِ ابْنِ الْمَعْتَزِ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ
الْعَبَّاسِ وَغَيْرِهِمْ. وَنَلَاخِظُ أَنَّنا لَمْ نَعْرِفْ عَنْهُ عَمَلَ دَوَاوِينِ لِشُعْرَاءِ غَيْرِ
عَبَّاسِيِّينَ، إِلَّا مَا رَوَى ابْنُ النَّدِيمِ فِي «الْفَهْرَسْتِ» (٣٢) مِنْ أَنَّهُ صَنَعَ دِيْوَانَ ابْنِ
هَرَمَةَ «وَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ»، وَابْنُ هَرَمَةَ مِنْ مُخْضَرَمِي الدَّوَلْتَيْنِ.

(٢٩) «رسالة الغفران» تحقيق بنت الشاطبيء - الطبعة الرابعة - دار المعارف بمصر، ص ٣١٩.

(٣٠) قال في «التكملة» (سمط): «ولم أجد في دواوين شعره قصيدة مسمطة، على أن الأزهري هكذا ذكر أيضاً وقلد فيها الليث». وأنكر في «العباب» (سمط) ذلك أيضاً بكلام نقله صاحب «التاج» عنه.

(٣١) انظر مقالة الدكتور أحمد جاسم النجدي: «دواوين الشعر العباسي في أصولها الأولى» - مجلة «الموردة» المجلد ١٧، العدد الأول سنة ١٩٨٨، ص ٦٥.

(٣٢) ص ١٨١.

وَرَأْفَقَ تَرْتِيبَ الدَّوَابِّ تَوْسَعُ فِي شَرْحِهَا وَالْعِنَايَةَ بِهَا، ظَهَرَتْ فِيهِ
 مَنَاهِجُ ثَلَاثَةٍ، أَوَّلُهَا شَرْحُ الْمَعْنَى ثُمَّ الْإِعْتِنَاءُ بِالْجَانِبِ اللَّغَوِيِّ مِنَ الشَّرْحِ،
 وَثَانِيهَا الْإِهْتِمَامُ بِذِكْرِ الْمُنَاسِبَةِ وَسِيَاقَةِ أَخْبَارِ الشُّعْرِ، وَثَالِثُهَا الْإِهْتِمَامُ
 بِالْإِعْرَابِ، وَهُوَ مَنَهْجٌ مُتَأَخَّرٌ طَرَقَهُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّحْوُ، وَإِنَّمَا
 جَعَلُوا ذَلِكَ ذَرِيعَةً إِلَى أَنْ يُقَدِّمُوا لِلشُّعْرِ شَيْئًا جَدِيدًا لَمْ يُسَبِّقُوا إِلَيْهِ، فَكَانُوا إِنْ
 صَنَعُوا دِيوَانًا عَلَى أَيْدِي غَيْرِهِمْ تَوَسَّعُوا فِي الْجَمْعِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا الْإِنَافَةَ
 عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُمْ شَرْحُوهُ وَذَكَرُوا أَخْبَارَهُ، فَإِنْ وَجَدُوا أَنَّهُمْ سَبَقُوا إِلَى ذَلِكَ
 لَجَأُوا إِلَى تَبْوِيهِهِ أَوْ إِعْرَابِهِ، هُمُومٌ فِي هَذَا كُلِّهِ أَنْ يَتَّجِنَّبُوا نَسْخَ عَمَلِ
 غَيْرِهِمْ، وَأَنْ يُضِيفُوا إِلَى مَا صَنَعَ الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْيَاءَ تَبَرَّرَ تَكَرُّرَ الْجَهْدِ وَمُؤَالَاةَ
 الْعَمَلِ، وَتُبْعِدُ عَنْهُمْ ظَنَّةَ النُّقْلِ وَالْقَفْوِ وَالْإِقْتِيَّاسِ.

على أن ما يلفت النظر حقاً هو خلوه هذه الشروح من الآراء النقدية
 التي لم تظهر فيها بشكل جلي إلا بأخرة، فمع أننا نفع على أخبار نجد فيها
 الأضمعي (٣٣) مثلاً ناقداً عالماً بالشعر ومعانيه، مُميزاً بين غثه وسمينه وما
 اخترعه الشعراء وما اتبعوا فيه، ونقف فيها على تقويم الشعراء الفحول
 منهم وغير الفحول، إلا أننا لا نجد فيما صنعه من الدواوين مثل هذه
 اللمحات النقدية. ولعل أبا العلاء المعري كان من أوائل من وقف موقف
 الناقد في شروجه على دواوين الشعراء، وبخاصة ما فعله في كتابه «عَبَثُ
 الْوَالِدِ». ومع أننا لا نستطيع أن نعد هذا الكتاب شرحاً لديوان البحتري
 بكامله، إلا أنه كان تعليقا عليه وشرحاً لما أشكل من معانيه وتخطئة لما أخطأ
 فيه الشاعر وانتصاراً له فيما رأى المعري أن النقاد جاروا عليه فيه. ونرى بين
 صفحاته نقداً لغوياً ونحوياً وعروضياً، كما نرى نقداً فنياً وعرضاً عميقاً لتأثر
 البحتري أبا تمام، تطرق فيه المؤلف إلى المعاني وصياغة الألفاظ، وإلى
 أمور تتعلق بالعروض والقوافي، مما يعد بحق نقداً فنياً راقياً لا نكاد نرى
 (٣٣) تنشر آراء الأضمعي النقدية في المطان بشكل ملحوظ. وقد ذكر له المرزباني - مثلاً - في
 «الموشح» وجهات نظر نقدية في نحو خمسين موضعاً. وغير ذلك كثير.

لَهُ شَبِيهَا فِيمَا بَيَّنَّ أَيْدِينَا مِنْ شُرُوحِ عَلَى دَوَائِنِ الشُّعْرَاءِ الْقُدَامَى .
وَهَكَذَا نَجِدُ أَنَّ مَا قَدَّمَهُ الْعُلَمَاءُ الْمُتَأَخَّرُونَ إِلَى الدَّوَائِنِ الشُّعْرِيَّةِ -
إِضَافَةً إِلَى مَا صَنَعَ الْأَوَائِلُ - يَتَلَخَّصُ بِمَا يَلِي :

- أ - التَّوَسُّعُ فِي جَمْعِ الشُّعْرِ وَإِيرَادُ جَمِيعِ رِوَايَاتِهِ الْمَعْرُوفَةِ .
- ب - التَّزْيِيدُ فِي الشَّرْحِ وَسِيَاقَةُ الْأَخْبَارِ بِحَيْثُ أَصْبَحَ لِهَذِهِ التَّعَالِيقِ قِيمَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَإِخْبَارِيَّةٌ عَالِيَةٌ .
- ج - تَرْتِيبُ أَشْعَارِ الدِّيَّانِ بِحَسَبِ الْمَعَانِي ثُمَّ بِحَسَبِ الْحُرُوفِ .
- د - إِعْرَابُ الشُّعْرِ وَالْإِتْيَانُ بِفَوَائِدِ نَحْوِيَّةٍ وَصَرَفِيَّةٍ .
- هـ - نَقْدُ الشُّعْرِ وَبَيَانُ السَّرِقَاتِ وَالخَلَلِ فِيهِ ، وَدِرَاسَةُ صِيَاعَةِ الْأَفَاطِهِ وَمُوسِيقَاهُ .

صِنَاعَةُ الدَّوَائِنِ فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ :

رَأَيْنَا فِيمَا سَبَقَ كَيْفَ تَطَوَّرَتِ الْعِنَايَةُ بِدَوَائِنِ الشُّعْرَاءِ وَمَا بَدَّلَهُ عُلَمَاؤُنَا الْقُدَامَى مِنْ جَهْدٍ فِي جَمْعِ الشُّعْرِ وَتَدْوِينِهِ وَشَرْحِهِ وَدِرَاسَتِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا مَا وَصَلَ مِنْهُ بِهَذَا الشَّكْلِ الْمُتَقَنِّ مِنَ الْحِفْظِ وَالرَّعَايَةِ وَالْإِحْتِفَالِ . وَلَكِنْ يَضِيرُهُ مَا نَرَاهُ مِنْ اخْتِلَاطٍ فِي نَسْبَتِهِ أَوْ اخْتِلَافٍ فِي رِوَايَتِهِ ، فَلَقَدْ كَانَ لِذَلِكَ دَوَاعٍ وَمُسَبِّبَاتٌ لَا مَجَالَ لِذِكْرِهَا هُنَا . وَلَكِنَّ كَانَ الشُّعْرُ الْعَرَبِيُّ قَدْ حَظِيَ بِمَا لَمْ يَحْظُ بِهِ شِعْرٌ غَيْرُهُ مِنْ إِحْتِفَالٍ وَاهْتِمَامٍ وَعِنَايَةٍ ، فَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِإِمْدَى أَهْمِيَّتِهِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ وَتَأْتِيرِهِ فِيهَا . وَمَا سَمِعْنَا أَنَّ أَبْيَاتًا رَفَعَتْ قَوْمًا وَوَضَعَتْ مِنْ آخَرِينَ ، وَلَا أَثَارَتِ حَرْبًا وَتَلَاَفَتْ أُخْرَى إِلَّا عِنْدَ الْعَرَبِ . وَلَوْلَا تَوَالِي الْكَوَارِثِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ لَكَانَ بَيَّنَّ أَيْدِينَا الْآنَ مِنْ دَوَائِنِ شُعْرَائِنَا الْغَابِرِينَ أَضْعَافٌ مَا نَجِدُهُ فِي خَزَائِنِ الْكُتُبِ الْمُتَنَابِرَةِ فِي أَصْقَاعِ الْعَالَمِ كُلِّهِ . عَلَى أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْ دَوَائِنِ شُعْرَائِنَا ضَاعَ فِيمَا ضَاعَ مِنْ تَرَاثِنَا الْأَدْبِيِّ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ

شِعْرِهِمْ سِوَى نُثَارِ نَقَعِ عَلَيْهِ فِي الْمِظَانِ، عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَنِي بِجَمْعِهِ وَخِدْمَتِهِ
وَالاهْتِمَامِ بِهِ، كَيْ لَا تَضِيحَ هَذِهِ الثَّرْوَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي خَلَفَهَا لَنَا أَسْلَافُنَا،
وَلَكِنِّي نُمَكِّنُ الْبَاحِثِينَ مِنْ دِرَاسَةِ هَذَا الشَّعْرِ وَالِإِفَادَةِ مِنْهُ.

وَلَنْ نَتَطَرَّقَ هُنَا إِلَى طُرُقِ نَشْرِ الدَّوَاوِينِ الْمَجْمُوعَةِ الَّتِي أُبْقَتْهَا لَنَا
الْأَيَّامُ، فَقَدْ كُتِبَ الْكَثِيرُ فِي حَقِّ تَحْقِيقِ الْمَخْطُوطَاتِ وَنَشْرِهَا، وَلَنْ يَخْتَلِفَ
كَثِيرًا تَحْقِيقُ دِيْوَانِ شِعْرِي عَنْ تَحْقِيقِ أُثْرٍ أُدْبِيٍّ آخَرَ، سِوَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ
عَمَلًا مُكْمَلًا لِلدِّيْوَانِ مِنْ جَمْعٍ لِمَا فَاتَهُ مِنْ آيَاتٍ نَجَدُهَا فِي الْمِظَانِ، وَهَذَا
أَمْرٌ لَا يَخْتَصُّ بِالدَّوَاوِينِ وَحْدِهَا، بَلْ إِنَّ بَعْضَ الْبَاحِثِينَ الْجَادِينَ دَابَّوْا - عِنْدَ
تَحْقِيقِهِمْ لِكِتَابٍ مَا - عَلَى جَمْعٍ مَا يَقَعُونَ عَلَيْهِ فِي الْمِظَانِ مِنْ فَرَاقَاتٍ قَدْ نُصِّصَ
عَلَى أَنَّهَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ. عَلَى أَنَّهُ يَجْدُرُ بِمُحَقِّقِ الدِّيْوَانِ الشَّعْرِيِّ أَنْ يَتَّبَعَ
أَبْيَاتَهُ فِي بُطُونِ الْكُتُبِ فَيُشِيرَ إِلَى أَمَاكِينِ وُرُودِهَا فِيهَا، وَإِلَى اخْتِلَافِ
الرُّوَايَاتِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى فَهْمِ الشَّعْرِ وَتَوْثِيقِهِ وَدِرَاسَتِهِ. أَمَّا لَمْ
شَتَاتِ أَشْعَارٍ مِنْ ضَاعَتْ ذَوَاوِينُهُمْ، فَذَلِكَ أَمْرٌ مُخْتَلَفٌ سَتَتَكَلَّفُ أَنْ نَخُطِّطَ لَهُ
مَنْهَجًا فِي بَحْثِنَا هَذَا.

إِنَّ أَوْلَى خُطُوبَاتِ صُنْعِ الدَّوَاوِينِ هِيَ جَمْعُ الشَّعْرِ، وَهِيَ الْخُطُوبَةُ
الْأَسَاسُ وَعَمْدَةُ الصَّنَاعَةِ، وَتَحْتَاجُ إِلَى جِدِّ وَكَدِّ وَذَابٍ وَتَقْصٍّ لِمَا فِي كُتُبِ
التُّرَاثِ مِنْ أَشْعَارٍ مُتَنَاطِرَةٍ.

وَلَنْ نُشِيرَ إِلَى عِظَمِ الْجَهْدِ الَّذِي يَتَطَلَّبُهُ هَذَا الْعَمَلُ، فَهَوَ أَمْرٌ مَعْرُوفٌ
لِكُلِّ مَنْ اطَّلَعَ عَلَى ضَخَامَةِ حَجْمِ تَرَاثِنَا الْمَطْبُوعِ دُونَ فَهْرَسَةٍ أَوْ مَعَ فَهَارِسِ
عَقِيمَةٍ مُخِلَّةٍ لَا تُسَمِّنُ وَلَا تُغْنِي مِنْ جُوعٍ. عَلَى أَنَّ هَذَا الْجَهْدَ يُمَكِّنُ قِسْمَهُ
عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ أَوْ الطَّلَبَةِ يَعْمَلُونَ تَحْتَ إِشْرَافِ الْمُحَقِّقِ الَّذِي
يَضْطَلِعُ بِصُنْعِ الدِّيْوَانِ، فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى اخْتِصَارِ الْوَقْتِ وَمُسَاعَدَةِ الْمُحَقِّقِ
عَلَى صَرْفِ جَهْدِهِ إِلَى الْعِبَايَةِ بِالدِّيْوَانِ، إِلَى مَا فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ دُرْبَةٍ لِلطَّلَبَةِ
عَلَى الْبَحْثِ وَالتَّقْيِيبِ وَتَعَرُّفِ الْمِظَانِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهَا. فَإِذَا مَا تَمَّ جَمْعُ

الآبيات المتناثرة، فللمحقق أن ينتهج إحدى طريقتين يمكن ترتيب الديوان وفقهما: أولهما يجري فيها جمع متفرق الشعر دونما محاولة لصياغة قصائد الديوان، ويكون الهدف من ذلك تقديم الشعر إلى الباحثين كما ورد في كتب التراث دون أن يكتسب صناعته تحمله شيئاً من أفكار المحقق وآرائه، مما قد يسوق الباحثين إلى تحدي وجهة نظره أصاب فيها أو أخطأ. وعلى المحقق أن يرتب أبيات الشعر في الديوان بحسب القوافي والبحور، مراعيًا ضم الأبيات المتحددة في الوزن والقافية ضمن مجموعة واحدة تشكل أجزاء متفرقة لما يظن أنه قصيدة واحدة، إلا إذا ثبت اختلاف القصائد مع اتحاد بحورها وقوافيها، فيتم عند ذلك جمع أبيات كل قصيدة على حدة، ما أمكن ذلك. ويجدر بالمحقق عند سرده الأبيات أن يراعي ترتيب مصادرها التاريخي، فيورد الأبيات التي جاءت في المصدر القديم قبل التي جاءت في المصدر المتأخر. على أن له الخيار في انتخاب نص رواية المصدر القديم ليثبت ما، أو اختيار نص الرواية التي يراها أصح من غيرها وأفضل وأوفى، مع ضرورة التنبيه على مصدر الرواية المختارة وذكر الروايات المخالفة في الحواشي، وذلك في الحالتين كليهما. ويحسن به أن يشرح مشكل أبيات الديوان ومفرداتها الصعبة في الحواشي أيضاً. وعليه أن يفرّد ما نسب إليه وإلى غيره من الشعراء، وما نسب إليه ولم يصح أنه له، في جزء منفصل عن بقية شعر الشاعر. وربما ساع عدم الفصل إذا كان المجموع صغيراً، ولكن يجب التنبيه - بوضوح وجلاء - على اختلاف النسبة أو ضعفها.

والطريق الثانية يُعتمد فيها جمع الشعر مع محاولة صياغة قصائد الديوان، بغية تقديم ما بقي من كل قصيدة على الشكل الذي يظن أنها كانت عليه أصلاً، أو على أقرب ما يكون من ذلك. ويتيهأ هذا للجامع بمعرفة طرائق صياغة القصائد في عصر الشاعر، وتفهم أسلوب الشاعر

نفسه، وإدراك معنى القصيدة ومرماها وموضوعها ومناسبتها، وما إلى ذلك. وعلى الجامع المحقق أن يتخذ أطول روايات القصيدة أصلاً لها، إلا إذا ظهر له أن هنالك خلافاً في ترتيب أبياتها على هذه الرواية، أو فضل غيرها عليها، ثم يقوم بضم الأبيات المتفرقة الأخرى إلى القصيدة واضعاً إياها في أماكنها متى وضح له ذلك من سياق الكلام، ويترك ما لم يتبين مواقعها إلى آخر القصيدة لاحقاً لها. وعليه في هذا كله أن يراعي الأسس التي شرحتها في الطريق الأولى آنفاً. ويجدر به أن يصدر القصائد والمقطعات بمقدمات تشير إلى المناسبة التي قبلت فيها، أو يضع هذه المقدمات في الحواشي.

ولا يجوز إعادة جمع شعر سبق نشره، إلا إذا كان في عمل المتقدم تقصير بين في الجمع، إما في حجم الشعر المجموع أو في ضبطه وتوثيقه، فإن وقوع باحث على أبيات متفرقة أدخل بها ديوان ما لا يصح أن يتخذ ذريعة إلى إعادة نشره ما لم تبلغ هذه الأبيات مقداراً يبرر ذلك، ويعتمد هذا في الأحوال كلها على حجم الديوان. ولعل الوقوف على فوائت تتجاوز خمس الشعر المجموع أو تقارب ذلك يسوغ إعادة النشر، فإن قلت عن ذلك كثيراً، يفضل نشر المستدركات على جده. وإذا اتبعت الطريق الأولى في الجمع، جاز للباحثين إعادة سالكين الطريق الثانية، لما يتطلب ذلك من جهد مثير يؤدي إلى استكمال العناية وزيادة الفائدة.

هذا ما يتعلق بأمر جمع الشعر، وهو المسلك السهل والمقصود القريب، على ما يقتضيه من جهد وكد ودأب ونصب. أما «صنع» الديوان فهو المرتقى الكوؤد والطريق الوعث، وذلك لما يحتاج من آله قد لا تتم لدى الكثير من الباحثين، أقل عناصرها الدربة والملكة ومعرفة اللغة والنحو وأنماط الكلام ولهجات القبائل، والإلمام بالتاريخ وأيام العرب وأخبارهم ومنازليهم وعاداتهم، إضافة إلى اطلاع واسع على المدارس.

الشَّعْرِيَّةُ وَخَصَائِصِ الشَّعْرِ الْفَنِّيَّةِ فِي كُلِّ عَصْرِ مِنْ عُصُورِ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ،
وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى فَهْمِ الشَّعْرِ وَمَيِّزِهِ. وَقَدْ اتَّبَعَ عُلَمَاؤُنَا الْأَوْلُونَ
أُسُسًا وَقَوَاعِدَ فِي عَمَلِ الدَّوَاوِينِ - ذَكَرْنَا جَانِبًا مِنْهَا أَيْضًا - كَانَتْ مَنَاسِبَةً
لِلْأَغْرَاضِ الَّتِي سَعَوْا إِلَيْهَا فِي عَمَلِهِمْ. وَهِيَ وَإِنْ صَلَحَتْ لِأَنَّ تَكُونَ مُؤَشِّرًا
لَنَا وَذَلِيلًا عِنْدَ صُنْعِ الدَّوَاوِينِ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَفِي بِكُلِّ مَا يَتَوَخَّاهُ فِيهَا
الْمُتَخَصِّصُونَ هَذِهِ الْأَيَّامَ، فَإِنَّ لِكُلِّ عَصْرِ حَاجَاتِهِ وَأَوْلِيَاتِهِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَضَعَ
الْأُسُسَ وَالْقَوَاعِدَ الَّتِي تَصِلُ بِالدَّوَاوِينِ إِلَى مَا يُلْتَمَسُ حَاجَاتِ بَاحِثِنَا وَيُحَقِّقُ
أَهْدَافَهُمْ وَيَخْدِمُ أَوْلِيَاتَهُمْ، إِذْ أَنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ تَتَنَاوَلُ الصَّنْعَةَ الَّتِي تَتَحَرَّى
إِفَادَةَ الْخَاصَّةِ قَبْلَ الْعَامَّةِ، وَالْمُتَخَصِّصِينَ قَبْلَ الشُّدَاةِ.

إِذَا جَاوَلْنَا أَنْ نَتَقَصَّى أَمِّمْ مَا يَأْمُلُ الْبَاحِثُ اسْتِخْلَاصَهُ مِنَ الدَّوَاوِينِ
الشَّعْرِيَّةِ عِنْدَ دِرَاسَتِهَا، وَاتَّخَذْنَا مِنْ ذَلِكَ مَرَجِعًا لَنَا وَمُعْتَمِدًا فِي تَصْنِيفِ
الدَّوَاوِينِ، أَمْكَنَّا أَنْ نَقْسِمَهَا عَلَى خَمْسَةِ أَصْنَافٍ بِحَسَبِ قِيَمَةِ مَا يُسْتَطَاعُ
اسْتِخْرَاجُهُ مِنْهَا مِنْ مَعْلُومَاتٍ وَفَوَائِدٍ:

١ - الدَّوَاوِينُ ذَاتُ الْأَهْمِيَّةِ الْفَنِّيَّةِ، كَدِيَوَانِ طَفِيلِ الْغَنَوِيِّ مَثَلًا.

٢ - الدَّوَاوِينُ ذَاتُ الْأَهْمِيَّةِ اللَّغَوِيَّةِ، كَدِيَوَانِ الْعَبَّاجِ.

٣ - الدَّوَاوِينُ ذَاتُ الْأَهْمِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ، كَدِيَوَانِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ.

٤ - الدَّوَاوِينُ ذَاتُ الْأَهْمِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، كَدِيَوَانِ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ.

٥ - الدَّوَاوِينُ ذَاتُ الْأَهْمِيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ، كَلُرُومِيَّاتِ أَبِي الْعَلَاءِ.

وَلَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ هُنَاكَ فَوَائِدَ أُخْرَى كَثِيرَةً يُمَكِّنُ الْحُصُولَ
عَلَيْهَا مِنَ الْأَشْعَارِ، لَكِنَّهَا لَا تُشَكِّلُ بِحَدِّ ذَاتِهَا أُسُسًا لِإِنِّاءِ صِنْفٍ مُسْتَقِلٍّ
خَاصٍّ مِنَ الدَّوَاوِينِ حَوْلَهَا، مِثْلَ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْمَوَاقِعِ وَالْمِيَاهِ
وَالْبُلْدَانِ وَالنُّجُومِ وَالْأَنْوَاءِ وَأَسْمَاءِ الْخَيْلِ وَالْأَصْنَامِ وَالْجِرْفِ وَالْفُنُونِ

وَالْعَقَائِدِ وَالْخُرَافَاتِ وَالْقَصَصِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَطِيعُ الْبَاحِثُ اسْتِخْلَاصَهُ مِنَ الشُّعْرِ . وَمِنَ الْبَدِهيِّ أَنَّ الدُّوَاوِينَ لَا تَكَادُ تَحْلُو مِنْ مُعْظَمِ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا ، بَلْ إِنَّا قَدْ نَحْتَارُ فِي اخْتِيَارِ الصَّنْفِ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ نُدرِجَ كَثِيرًا مِنْهَا ضِمْنَهُ لِاخْتِوَائِهَا عَلَى قِيَمٍ هَامَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ . فِدِيَاؤُ زُهَيْرٍ - مَثَلًا - لَهُ أَهْمِيَّتُهُ الْفَنِيَّةُ بِصِفَتِهِ نَمُودَجًا لِمَدْرَسَةِ الصَّنْعَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ لَهُ أَهْمِيَّتَهُ اللُّغَوِيَّةَ الَّتِي يَكْفِي لِإِبْضَاحِهَا الْإِيْمَاءَ إِلَى أَنَّ مُعْجَمَ «لِسَانِ الْعَرَبِ» اسْتَقْبَلَ مِنْهُ شَوَاهِدَ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ مَوْضِعٍ ، وَاسْتَشْهَدَ مُعْجَمُ «أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ» بِأَبْيَاتٍ مِنْهُ فِي نَحْوِ مِائَةِ مَوْضِعٍ . أَمَّا أَهْمِيَّتُهُ التَّارِيخِيَّةُ فَيَكْفِي لِكَشْفِهَا أَنَّ نَدْبَرًا مَا فِيهِ مِنْ قِصَائِدَ تَنَاوَلَتْ حَادِثَةَ الصُّلْحِ بَيْنَ عَبَسَ وَذُبْيَانَ وَمَا سَبَقَهَا وَمَا تَلَاهَا . وَلَا شَكَّ أَنَّهَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُغْفِلَ أَيْضًا أَهْمِيَّتَهُ فِي تَبْيَانِ النَّوَاحِي الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ ، فَإِنَّ شِعْرَ الْمَدِيحِ - بِشَكْلِ عَامٍّ - يُعْطِينَا فِكْرَةً وَاضِحَةً عَنِ الْقِيَمِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُعْتَبَرُ مَثَلًا تُحْمَدُ فِي عَصْرِ مَا . وَالْحِكْمُ الَّتِي أَمْتَارَ بِهَا شِعْرُ زُهَيْرٍ - وَخُصُوصًا فِي مُعَلِّقَتِهِ - لَهَا قِيَمَتُهَا الْفِكْرِيَّةُ إِضَافَةً إِلَى قِيَمَتِهَا الْاجْتِمَاعِيَّةِ . عَلَى أَنَّهُ لَا مَنَاصَرَ مِنْ هَذَا التَّدَاخُلِ وَلَا ضَيْرٍ فِيهِ ، فَالْبَاحِثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَنَاوَلَ الدُّوَاوِينَ مِنَ الزَّوَاوِيَةِ الَّتِي يَتَوَسَّمُ مُنَاسِبَتَهَا لِعَرَضِهِ مِنْ إِظْهَارِهِ أَوْ الَّتِي يَقْصُدُ أَنْ يُبْرِزَ أَهْمِيَّتَهَا . وَمِنْ ثَمَّ يُمَكِّنُ أَنْ يُنْشِرَ لِلدُّوَاوِينَ الْوَاحِدِ طَبَعَاتٍ مُتَعَدِّدَةً يَنْتَهِجُ صَانِعُوهَا مَنَاجِحَ مُخْتَلِفَةً فِي عَمَلِهِمْ وَتَوَجُّهِهِمْ . وَقَدْ فَعَلَ عُلَمَاؤُنَا الْأَقْدَمُونَ ذَلِكَ - كَمَا بَيَّنَّا سَابِقًا - فَكَانَ عَمَلُهُمْ مُبَسَّرًا ، وَاخْتِلَافُهُمْ مُفِيدًا ، وَتَبَايُنُ طَرَائِقِهِمْ فِي صِنَاعَةِ الدُّوَاوِينَ مُجَدِّدًا لَهَا وَحَافِظًا لِثَرْوَةِ عَظِيمَةٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مَا كَانَتْ لِتَصِلَ إِلَيْنَا لَوْلَا هَذَا الَّذِي فَعَلُوهُ عِنْدَ تَكَرُّرِ صِنَاعَتِهِمْ لَهَا .

وَلَا شَكَّ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ مِيْرَاتِهِ الْمُخَدَّدَةَ الَّتِي يَجِبُ إِبْرَازُهَا عِنْدَ صِنَاعَةِ الدُّوَاوِينَ بِحَيْثُ تَتَسَّرُ الْإِفَادَةُ مِنَ الْجَوَانِبِ ذَاتِ الْأَهْمِيَّةِ الْخَاصَّةِ فِيهِ . وَسُنْحَاوُلُ فِيمَا يَلِي تَلْخِيصُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُتَّخَذَ سَبَبًا إِلَى مَا

يَتَوَخَّى لِلدِّيَوَانِ مِنْ تَوَطُّئِهِ لِجَادَّةِ الْبَاحِثِينَ وَتَقْرِيْبِ لِمَقَاصِدِهِمْ، آمِلِينَ أَنْ نَتَوَصَّلَ فِيمَا نَعْرِضُ إِلَى مَنَاهِجِ تَقْوُدِ إِلَى خِدْمَةِ اللَّدَّوَاوِينِ تَفِي بِحَقِّهَا وَحَقَّ الدَّارِسِينَ وَالشُّدَاةِ عَلَى صَانِعِهَا.

إِنَّ عَمَلَ الْمُحَقِّقِ فِي الدِّيَوَانِ - بَعْدَ جَمْعِ أَشْعَارِهِ وَصِيَاغَةِ قِصَائِدِهِ بِاتِّبَاعِ مَا سَبَقَ أَنْ فَضَّلْنَا عِنْدَ كَلَامِنَا عَنِ الْجَمْعِ وَالصِّيَاغَةِ - يَتَلَخَّصُ فِي أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ هِيَ تَرْتِيبُ الدِّيَوَانِ وَالتَّعْلِيقُ عَلَيْهِ وَوَضْعُ الْفَهَارِسِ لَهُ. وَمِنْ الْمُفْتَرَضِ أَنْ تَخْتَلِفَ أُسَالِيبُ مُعَالَجَةِ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ بِاخْتِلَافِ النَّوَاحِي الَّتِي يُرْغَبُ فِي إِبْرَازِهَا وَالْعِنَايَةِ بِهَا فِي الدِّيَوَانِ. وَلَمَّا كَانَ التَّصْنِيفُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ قَدْ بُنِيَ أُسَاسًا عَلَى هَذِهِ النَّوَاحِي الْجَدِيدَةِ بِالْعِنَايَةِ وَالْإِظْهَارِ، حَقٌّ لَنَا أَنْ نَعْتَمِدَهُ فِي وَضْعِ أُسُسٍ مَا نَطْلُبُهُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ عِنْدَ صِنَاعَتِهِمْ الدَّوَاوِينَ الشُّعْرِيَّةَ، بِحَيْثُ تُوَاتِمُ الْأَغْرَاضَ الْمُبْتَغَاةَ مِنْهَا عِنْدَ دِرَاسَتِهَا وَمُحَاوَلَةِ الْإِفَادَةِ مِنْهَا.

وَقَدْ هَيَّا لَنَا عُلَمَاؤُنَا الْأَقْدَمُونَ أَرْبَعَةَ أُسَالِيبَ لِتَرْتِيبِ الدَّوَاوِينِ، إِذَا تَحَدَّثْنَاهَا وَطَوَّرْنَاهَا لِتَتَلَفَّى مَا يُوَاجِهُنَا مِنْ مُشْكَلَاتٍ بِسَبَبِ جَمْعِ الشُّعْرِ مِنَ الْمَطَّانِ، خَلَصَ لَنَا أُسَالِيبُ صَالِحَةٌ يُمَكِّنُنَا اتِّبَاعَهَا فِي صُنْعِ الدَّوَاوِينِ: أَوَّلُهَا مَا يُتَّبَعُ فِيهِ التَّسْلُسُ الزَّمَنِيُّ، وَتَرْتَبُ فِيهِ الْقِصَائِدُ الَّتِي يُمَكِّنُ تَحْدِيدَ التَّارِيخِ الَّذِي قِيلَتْ فِيهِ أَيْتِدَاءٌ بِالْأَقْدَمِ فَالْأَحْدَثِ، وَيُتْرَكُ مَا لَمْ يُعْرَفْ تَارِيخُ نَظْمِهِ إِلَى آخِرِ الدِّيَوَانِ أَوْ يُوَضَّعُ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي يُرْجَحُ الْمُحَقِّقُ أَنَّهَا تُوَافِقُهَا زَمَنِيًّا. وَثَانِيهَا بِحَسَبِ أَهْمِيَّةِ الْقِصَائِدِ فِي نَظَرِ الْمُحَقِّقِ، يُدْرَجُ فِيهِ صَانِعُ الدِّيَوَانِ الْقِصَائِدِ وَفَقَّ مَا يَرَى أَنَّهُ أَكْثَرُ أَهْمِيَّةٍ مِنَ النَّاحِيَةِ الْفَنِّيَّةِ أَوِ التَّارِيخِيَّةِ أَوِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ أَوِ الْفِكْرِيَّةِ، مُرَاعِيًا الصَّبْغَةَ الْعَامَّةَ الَّتِي يُرْغَبُ فِي إِظْهَارِهَا لِلدِّيَوَانِ. وَثَالِثُهَا بِحَسَبِ الْقَوَافِي، وَيَتَّبَعُ الْمُحَقِّقُ فِي جَمْعِهِ الْقِصَائِدَ التَّرْتِيبَ الْأَلْفَبَائِيَّ لِلْقَوَافِي، سَالِكًا فِي ذَلِكَ مَنَهْجًا مُعَيَّنًا مُبَيَّنًا عَلَى حَرَكَةِ الْقَافِيَةِ وَبَحْرِ

القصيدة ونوع الفافية - من متكاوس ومتراكب ومتدارك ومتواتر ومترادف - ثم التأسيس والرّدْف، على أن يبين منهجه في مقدّمة الديوان. وربّما يحسب الموضوعات الفنيّة، كالمَدْح والهجاء والغزل والفخر والوصف والحكم والرّهد والمجون... إلخ. يقوم فيه صانع الديوان بجمع القصائد التي تندرج تحت كل موضوع فني مرتباً إياها بحسب القوافي أو أهميّة القصائد متبعاً في ذلك الأسس التي ذكرناها آنفاً. وهذه - كما رأينا - أساليب عامّة اختطت مسالك واضحة موطّأة، سنقتصر عليها في هذا البحث لما تتصف به من سعة وشمول واستيعاب تيسر ورودها عند صناعة الدواوين الشعرية كافّة. على أن هناك من الدواوين ما يوحى إلى المحقّق باتباع نظام ترتيب خاص به يخدم ما يروم المحقّق كشفه وتأكيد إبرازها؛ فقد يتجه صانع ديوان جرير مثلاً إلى قسم الديوان على أبواب يشمل كل منها أهاجيه لواحده من الشعراء. كالفرزدق والأخطل وعمربن لجا والبعيث والرّاعي وعدي بن الرّفاع... وقد يتكلّف صانع ديوان عمربن أبي ربيعة أن يجمع قصائده وفق النساء اللواتي شبيب بهنّ، أما ديوان نصيب فقد يرتب بحسب الممدوحين، وما إلى ذلك من الأساليب التي قد تلائم شعر شاعر دون آخر. ولا ضير في أن يتبع المحقّق الترتيب الذي يرتب شريطة أن يجعل ذلك وصلة إلى متحرّاه ومجازاً إلى متوجّهه ووسيلة إلى بغيته، فإنّ القصد أن يخرج الديوان على الصّورة التي يراها المحقّق صالحة لإيضاح الجوانب التي يرغب في إبرازها والتأكيد عليها وتقريبها إلى متناول الدارسين.

فإذا راعينا ذلك كله خلصنا إلى أن صانع الديوان ذي القيمة الفنيّة فمين بأن يرتبه بحسب المواضيع إن تعددت فيه، أو بحسب أهميّة القصائد في نظر المحقّق إن كان ذلك يوضح الاتجاهات الفنيّة في الأشعار، أو بحسب التسلسل الزمني للشعر إن كان ذلك يفيد في إظهار تطوّر الأسلوب الفني لدى الشاعر. أما إذا امتاز الديوان بأهميّة اللغويّة، فلعلّ من المناسب

تَرْتِيبُهُ بِحَسَبِ الْقَوَافِي، إِلَّا إِذَا رَغِبَ صَانِعُهُ فِي إِبْرَازِ نَوَاحِي أُخْرَى فِي الدِّيَوَانِ زِيَادَةً عَلَى النَّاحِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ فِيهِ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ فِي أَنْ يُبَوِّبَ الْأَشْعَارَ عَلَى النَّسَقِ الَّذِي يَرَاهُ مُوَافِقًا لِعَرَضِهِ، إِذْ أَنْ تَرْتِيبَ الْأَشْعَارِ لَا يُؤَثِّرُ كَثِيرًا فِي الْإِفَادَةِ مِنَ النُّوَاحِي اللُّغَوِيَّةِ فِيهِ طَالَمَا زُوِّدَ الدِّيَوَانُ بِالْفَهَارِسِ اللُّغَوِيَّةِ الْكَافِيَةِ. وَيَكَادُ يَقْتَصِرُ خِيَارُ صَانِعِ الدِّيَوَانِ ذِي الْمَنْحَى التَّارِيخِيِّ عَلَى آتِبَاعِ التَّسْلُسْلِ الزَّمَنِيِّ فِي سَرْدِ قِصَائِدِ الشَّاعِرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ خَيْرٌ مَا يُيسِّرُ اسْتِيفَادَةَ الْبَاحِثِينَ مِنْ جَوَانِبِهِ التَّارِيخِيَّةِ. عَلَى أَنْ لِصَانِعٍ مِثْلِ هَذَا الدِّيَوَانِ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى جَمْعِ الْأَشْعَارِ بِحَسَبِ الْمَوَاضِعِ أَوْ الْمُنَاسَبَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي قِيلَتْ فِيهَا، شَرِيطَةً أَنْ تَرْتَبَ قِصَائِدُ كُلِّ بَابٍ بِحَسَبِ تَسْلُسُلِهَا الزَّمَنِيِّ أَيْضًا. وَلَا شَكَّ أَنَّ تَرْتِيبَ الدَّوَابِينِ ذَاتِ الْقِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بِحَسَبِ الْمَوَاضِعِ هُوَ خَيْرٌ مَا يُمَكِّنُ لِلْمُحَقِّقِ آتِبَاعَهُ، شَأْنَهَا شَأْنُ تِلْكَ الَّتِي تَمْتَّازُ بِقِيَمَتِهَا الْفِكْرِيَّةِ. وَيَجُوزُ لِلصَّانِعِ أَنْ يُرْتَبَ قِصَائِدُ هَذَيْنِ الصَّنْفَيْنِ وَفْقَ أَهْمِيَّةِ الْقِصَائِدِ فِي نَظَرِهِ، فَقَدْ يَرَى فِي ذَلِكَ بِلَاغًا إِلَى مَا اسْتَشْرَفَ لَهُ مِنْ كَشْفِ النُّوَاحِي الْمُهْمَمَةِ فِي الدِّيَوَانِ وَإِسْعَافِ الْبَاحِثِينَ بِحَاجَتِهِمْ مِنْهُ عَلَى الصُّورَةِ الْفُضْلَى.

ثُمَّ نَتَقَلُّ إِلَى التَّعْلِيْقِ عَلَى الْأَشْعَارِ - وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُحَقِّقِ أَنْ يَبْذُلَ فِيهِ خَالِصَ جُهْدِهِ وَيَسْتَفْرِعَ جُلَّ وَسْعِهِ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ عَفْوَهُ وَمِيسُورَهُ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَصْرِفَ فِيهِ كُلَّ عِنَايَتِهِ دُونَ الْوَأْوِنِي - فَنُبَيِّنُ مَا عَلَى الْمُحَقِّقِ أَنْ يَجْلُوهُ بِتَعَالِيْقِهِ، وَمَا يَلْزَمُهُ مِنْ آلَةٍ لِكَيْ يَقُومَ بِهَذَا الْعَمَلِ.

عَلَى صَانِعِ الدِّيَوَانِ أَنْ يَتَعَرَّفَ أُسْلُوبَ الشَّاعِرِ وَمِيزَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، فَيَحْصُرَ لُغَتَهُ وَالْمُفْرَدَاتِ الَّتِي تَتَرَدَّدُ فِي شِعْرِهِ، وَيَدْرُسُ النَّمَطَ الَّذِي يَنْسِجُ وَفْقَهُ قِصَائِدَهُ، وَيَسْتَوْعِبَ طَرَائِقَ نَظْمِهِ وَمَا يَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ، وَيَعْرِفُ سَعَابِيبَ شِعْرِهِ وَمَحَاسِنَهُ، وَمَا يَقْصُرُ فِيهِ وَمَا يُجِيدُ، كَمَا عَلَيْهِ

أن يحيط بأهواء الشاعر وميوله، وعقيدته الدينية والسياسية، وبقبلته وديارها
والمياه التي نزلتها، وبالفرة التي عاش فيها الشاعر وما جرى فيها من
أحداث وأيام، وبالمناسبات التي قال فيها شعره، وبالأعلام الذين ذكرهم
فيه، وما إلى ذلك من الأمور التي تسهم في معرفة الشاعر وبيئته وشعره.

فإذا تم له ذلك وتحول إلى العمل في الديوان، فله أن يفتحه بمقدمة
تذكر شيئاً عن نسبه وسيرته وبيئته، مراعيًا إبراز الحوادث والأمر التي يرى
أنها قد تلقي ضوءاً على نواح من شعره، ثم يشرع في سرد القصائد
والتعليق عليها بما يوافق ما يريته من تصنيف للديوان، فيعني - إذا أراد إبراز
أهمية الديوان الفنية - بالإشارة إلى نمط صياغة قصائده وطبيعة بنائها
وإيقاعها وميزاتها الفنية والنواحي البلاغية التي تظهر فيها والمدرسة التي
تنتمي إليها، إلى غير ذلك مما يتعلق بالأسلوب الشعري للشاعر. فإذا أراد
الكشف عن الجوانب اللغوية في الديوان، عليه أن يوجه اهتمامه إلى
المسائل اللفظية فيه، يبين ما يتردد فيه من لهجات القبائل المختلفة،
والألفاظ التي لا ذكر لها في المعجمات، والضرورات التي فرضها النظم،
وما إلى ذلك. كما يحسن به - إذا كان للديوان قيمة تاريخية هامة - أن يجلو
الأحداث التي يشار إليها في الشعر، وأن يشرح عقيدة الشاعر وأتيماءه،
مفسراً ما برز في القصائد مما له علاقة بتلك العقيدة وذلك الأتيماء. كما
عليه أن يوضح مناسبة كل قصيدة وفيم قيلت، ويعرف الأعلام والوقائع
والمواقع التي جاءت فيها، وكيف أدنى ذلك كله إلى صياغة الشعر حتى
وصل إلينا بالشكل الذي هو عليه، ويجلي ما له من جوانب إعلامية، مراعيًا
ذكر الجهات التي استهدفتها ذلك الإعلام ووقع القصائد لديها، وما إلى
ذلك من الأمور التي تقرب أشعار الديوان إلى الفهم وتحدد دوافع نظمها
ونائجها. فإن كان الديوان مما يمتاز بما يظهر من أمور اجتماعية أو فكرية،
وجب على صانع الديوان أن يعين هذه الأمور كاشفاً أبعادها في محيط

الشاعر، فإذا كانت اجتماعية شرحها ووضح مدى تمثل مركز الشاعر الاجتماعي فيها، وتوسع في ذكر النواحي التي تتعلق بها في ذلك العصر، وما كان منها انعكاساً للبيئة وطبيعة الحياة، وما كان منها نابعاً عن المعتقدات العامة أو الخاصة بالشاعر، وغير ذلك من التنبهات التي تمس الحياة الاجتماعية للشاعر والقبيلة والمجتمع بشكل عام. وإذا كانت قيمة فكرية فسرها وبين ما جاء منها مماثلاً للآراء والأفكار والاتجاهات السائدة في ذلك العصر وما كان مخالفاً لها، وما لمبادئ الشاعر السياسية والدينية والفكرية فيها من أثر، وأشار إلى النواحي التي تبرز ثقافة الشاعر وتطبعها بما يتصل بمحيطه الخاص أو باحتكاكه بأفكار أو معتقدات أجنبية عنه، وما إلى ذلك من الأمور التي قد تلقي ضوءاً على طريقة تفكير الشاعر والسواز التي أتجهت به إلى المنحى الذي يمثله شعره.

ويتجدر بالمحقق - مهما كان صنف الديوان الذي يصنعه - أن يتجشم شرح معاني الشعر المشكّلة وتعريف الأعلام والأماكن والحوادث الواردة فيه، وذكر المناسبات التي قيلت فيها القصائد. كما يفترض فيه أن يوثق نسبة القصائد إلى الشاعر، ويدرس المتنازع منها بينه وبين غيره من الشعراء فيقرر ما يرجح من عزو، مثبتاً أسباب الترجيح وأدلته، وذلك بالاستفادة من معرفته أسلوب الشاعر ومعجمه اللغوي، وأهواءه ومعتقداته، والمناسبات التي قيلت فيها القصائد، وتدبر المواقع والأعلام والحوادث المذكورة في الشعر، إضافة إلى مقارنة المصادر التي عزي فيها إلى الشاعر أو إلى غيره، وما يصح الاعتماد عليه منها وما لا يصح، وما هو أقدم وأقرب إلى عصر الشاعر وما هو أحدث وأبعد، وغير ذلك من الأمور التي تساعد على ترجيح نسبة وتوثيق مصدر.

وقد يكون من المفيد أن ينبّه صانع الديوان على بعض النكات الصرفية أو النحوية أو البلاغية، على أن ذلك عائد إلى المحقق، وله أن يقوم

به إن رأى لذلك ضرورةً، كما أن له أن يتحاشاه إن وجد أنه قد يؤدي إلى
إطالة التعليقات دون فائدة كبيرة، أو أنه قد يسبب تحويل ذهن القارى عن
أمر هامّة إلى أمور ثانويّة.

فإذا أنهى المحقق ترتيب الديوان والتعليق عليه، بقي عليه العمل
على فهرسته، وهو أمر من الأهميّة بمكان لما في ذلك من تقريب لمتناوله
وروض لمركبه. والفهارس متنوعه كثيرة، نذكر منها: فهرس القوافي
والبحور، وفهرس المعاني والتشبيها والصّور، وفهرس المواضيع والفنون
الشعريّة، وفهرس اللّغة، وفهرس الأعلام، وفهرس القبائل والأمم
والجماعات، وفهرس الأماكن والبلدان والمياه، وفهرس الأيام، وفهرس
الأنواء والنجوم، وفهرس أوابد العرب وتراثهم وأوهامهم، وفهرس النبات
والحيوان، وفهرس ألفاظ الحضارة، وفهرس الألفاظ المعرّبة، وفهرس
لغات القبائل ولهجاتها، وفهرس المعتقدات والأمور الدنيّة
(والأضنام)، وفهرس الحكم والأمثال، وفهرس التسلسل الزمنيّ
للقصائد، وفهرس الضرورات الشعريّة، والفهرس العروضيّ - الذي يتناول
بحور الشعر المستعملة في الديوان وعدّد القصائد التي قيلت في كلّ بحر،
كما يمكن أن يتناول نواحي أخرى كالزحافات والعلل العروضية كالحرّم
والخزم وما يشبه ذلك - ثمّ فهرس المصادر والمراجع. ويستحسن بصانع
الديوان أن يحمل نفسه على عمل جلّ هذه الفهارس - إن لم نقل كلها - إلى
جانب غيرها ممّا قد يوحيه الديوان الذي يصنعه. ويفترض فيه ألاّ يهمل ما له
علاقة ماسّة بالصنف الذي ينضوي تحته الديوان، فلا يتغاضى - مثلاً - عن
فهارس المعاني والعروض والضرورات الشعريّة والحكم والأمثال إن
كان الديوان ذا قيمة فنيّة، ولا عن فهارس اللّغة والألفاظ المعرّبة ولغات
القبائل والنبات والحيوان إن كان ذا قيمة لغويّة، ولا عن فهارس الأعلام
والقبائل والبلدان والأيام إن كان ذا قيمة تاريخيّة، ولا عن فهارس الألفاظ

الْحَضَارَةِ وَالْأَوَابِدِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ إِنْ كَانَ ذَا قِيَمَةٍ أَجْتِمَاعِيَّةٍ، وَلَا عَنْ فَهْرَسِي
الْمَوَاضِعِ وَالْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ إِنْ كَانَ ذَا قِيَمَةٍ فِكْرِيَّةٍ. وَنَحْنُ إِنَّمَا نُورِدُ أَمْثَلَةً
وَلَا نَحْصِرُ أَوْ نُحَدِّدُ، وَمِنْ وَاجِبِ الْمُحَقِّقِ أَنْ يَسْتَقْصِي وَيَسْتَوْفِي كَيْ يَأْتِيَ
عَمَلُهُ كَافِيًا مُغْنِيًا قَرِيبًا مِنَ الْكَمَالِ.

هذا مُلَخَّصٌ لِمَا يُفْتَرَضُ بِمَنْ يَتَصَدَّى لِعَمَلِ دِيْوَانٍ مَا أَنْ يَقُومَ بِهِ حَتَّى
يَجُوزَ أَنْ يُسَمَّى عَمَلُهُ فِيهِ «صَنْعَةً» لِلدِّيْوَانِ، وَهُوَ مَذْهَبٌ صَعْبُ الْمَرَامِ حَزَنُ
الْمَسَلِكِ عَسِيرُ الْمَطْلَبِ، غَيْرَ أَنْ صَانِعَ الدِّيْوَانِ مُطَالِبٌ بِهِ، فَإِنْ فَرَطَ فِيهِ
وَقَصَرَ، وَتَهَاوَنَ وَمَرَّضَ، انْتَفَتَ عَنْ عَمَلِهِ صِفَةُ «الصَّنْعَةِ»، وَعَادَ مُجَرَّدَ جَمْعٍ
لِلشَّعْرِ يُقْبَلُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ مُبْتَدَأٌ أَوْ مُسْتَدْرَكًا، وَيَلَامُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ قَدْ سَبَقَ
إِلَيْهِ، وَيَكُونُ مَا بَدَّلَ فِيهِ مِنْ جَهْدٍ عَبَثًا، لِأَنَّهُ عَمَلٌ مَكْرُورٌ قَلِيلُ الْجَدْوَى يُمَكِّنُ
الْإِسْتِعَاضَةَ عَنْهُ بِبَحْثِ يَضُمُّ الْفَوَائِدَ الَّتِي أَضَافَهَا إِلَى الْعَمَلِ الْمُتَقَدِّمِ دُونَ
تَكْلُفِ طِبَاعَةِ الدِّيْوَانِ وَإِضَاعَةِ وَقْتِ الْبَاحِثِينَ فِي قِرَائَتِهِ بِكَامِلِهِ لِاسْتِخْلَاصِهَا
مِنْهُ. وَلَنْ نَشْتَطَّ فِي الطَّلَبِ مِنَ الْمُحَقِّقِ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلْنَا، فَفَرَضَ عَلَيْهِ - مَثَلًا -
أَنْ يَتَوَسَّعَ فِي دِرَاسَةِ الشَّعْرِ وَيَسْتَخْرِجَ مِنْهُ الرُّمُوزَ وَالْمَثَلُ وَالْإِسْقَاطَاتِ وَغَيْرَهَا
مِنَ الْفَوَائِدِ، بَلْ نَتْرُكُ ذَلِكَ لِلْبَاحِثِينَ الَّذِينَ يَرْعَبُونَ فِي الْإِضْطِلَاعِ بِدِرَاسَةِ
الدِّيْوَانِ.

نَشَرْنَا دِيْوَانَ زُفَرٍ، وَنَظْرَةً فِي الْمَتَاخِرَةِ مِنْهُمَا:

قُلْتُ إِنَّ دَافِعِي إِلَى كِتَابَةِ بَحْثِي هَذَا كَانَ أَطْلَاعِي عَلَى نَشْرِهٖ الْأُسْتَاذِ
الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ رُضْوَانَ النَّجَّارِ لِدِيْوَانِ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ، الَّذِي جَمَعَهُ الْأُسْتَاذُ
الدُّكْتُورُ نُورِي حَمُودِي الْقَيْسِي قَبْلُ وَنَشَرَهُ فِي مَجَلَّةِ الْمَجْمَعِ الْعِرَاقِيِّ،
فَوَقَفْتُ قَلِيلًا مُقَارِنًا بَيْنَ النَّشْرَيْنِ، وَسَأَلْتُ حُصَّ فِيمَا يَلِي مَا وَجَدْتُ خِلَالَ
وَقَفْتِي الْمُقَارِنَةَ هَذِهِ:

زَادَ الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ عَلَى مَا جَمَعَهُ الدُّكْتُورُ الْقَيْسِيُّ:

أ - بيتاً واحداً في القصيدة ق (٤) هو الأخير فيها، نقله عن «العقد الفريد»
من جملة أبيات.

ب - المقطوعة ق (٦) وهي تتكوّن من بيتين، نقلهما عن «المؤتلف
والمختلف» للامدي الذي نسبهما إلى زفر بن الحارث القشيري.
وعلق الأستاذ النجار على النسبة أنها خطأ، لأن زفر بن الحارث
كلاي لا قشيري. وهذا وهم منه، فقد ميز الامدي بينهما، وذكر أنهما
مختلفان، والبيتان ليسا من شعر صاحبا البتة، ويجب إسقاطهما من
الديوان.

ج - المقطوعة ق (١٣) وهي بيت واحد نقله عن «تاريخ ابن عساكر» مختل
الوزن، سنصححه فيما سيلى.

د - المقطوعة ق (١٤) وهي أربعة أبيات نقلها عن «نقائض جرير
والأخطل» منها ثلاثة في «كامل ابن الأثير» و «الأغاني» و «أنساب
الأشراف».

هـ - المقطوعة ق (٢٢) وهي أبيات ستة نقلها عن «الأغاني» الذي عزاها إلى
زفر أو غيره. أورد منها الأستاذ القيسي بيتين - هما الرابع والخامس -
عن «معجم ما استعجم»، ولم يرد هذا الكتاب في مصادر الأستاذ
النجار.

و - زاد على القصيدة ق (٢٦) بيتين - هما الخامس عشر والسادس عشر -
نقلهما عن «التنبيه والأشراف» للمسعودي.

أما الدكتور القيسي فزاد ما جمعه من شعر زفر على نشره الدكتور
النجار بيتاً لم يذكر مصدره جاء ثانياً لبيت المقطوعة ق (٩) - وهي عنده برقم
(١١) - والبيت هو:

مُلْحاً عَلَيَّ بِالْحِجَارَةِ دَائِباً لِأَنِّي وَقُورٌ، وَالْكَسْرِيُّمُ وَقُورٌ

كما أوردَ الدكتورُ الْقَيْسِيُّ قِطْعَةً بِرَقْمِ (١٤) - عَن «أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ» - هِيَ الْبَيْتُ السَّادِسُ مِنَ الْقَصِيدَةِ ق (٤) عِنْدَ الْأَسْتَاذِ النَّجَّارِ، وَلَكِنَّهُ مُغَيَّرُ الْعَجْزِ بِرَوَايَةٍ: «فَمَا عَدَلْتُ جُمُوعَهُمْ عُمَيْرًا» عِوَضاً عَن: «فَمَا عَدَلْتُ عُمَيْرَ ابْنِ الْحُبَابِ». وَلَا أُدْرِي مِنْ أَيْنَ جَاءَ الْأَسْتَاذُ النَّجَّارُ بِرَوَايَتِهِ، إِذْ أَنَّهُ أَحَالَ عَلَى «أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ» حَسْبُ، وَالرُّوَايَةُ هُنَاكَ كَمَا أوردَهَا الْأَسْتَاذُ الْقَيْسِيُّ.

وَهَكَذَا نَرَى أَنَّ كُلَّ الَّذِي أَضَافَهُ الْأَسْتَاذُ النَّجَّارُ لَمْ يَتَجَاوَزْ أَتْنِي عَشَرَ بَيْتاً، أَيْ نَحْوَ عَشْرِ أَبْيَاتِ الدِّيَوَانِ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ ذَلِكَ ذَرْبَةً إِلَى إِعَادَةِ جَمْعِ الشُّعْرِ لِقَلَّةِ هَذَا الْمُسْتَدْرَكِ. عَلَى أَنَّ (صُنْعَ) الدِّيَوَانِ - يَحْسَبُ الْمَنَاهِجُ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِي الْبَحْثِ أَنْفَاءً - يَكْفِي مُبَرِّراً لِإِعَادَةِ نَشْرِهِ. وَلَقَدْ سَمِيَ الْأَسْتَاذُ النَّجَّارُ عَمَلُهُ فِي الدِّيَوَانِ: «صُنْعَةً»، فَعَلَيْنَا إِذْنًا أَنْ نَنْظُرَ فِيهِ عَلْنَا نَجِدُ لَهُ مَخْرَجاً يُسَوِّغُ مَا حَمَلَ نَفْسُهُ عَلَيْهِ وَمَا بَدَّلَ مِنْ مَجْهُودٍ.

افْتَتَحَ الْأَسْتَاذُ النَّجَّارُ الدِّيَوَانَ بِمُقَدِّمَةٍ قَصِيرَةٍ عَن زُفَرٍ وَشِعْرِهِ وَعَن الْمَنَهْجِ الَّذِي أَتْبَعَهُ فِي عَمَلِ الدِّيَوَانِ، جَاءَ نَسْبُ زُفَرٍ فِي نَحْوِ نِصْفِ صَفْحَةٍ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ - فِي سَطْرَيْنِ - طَبَقَتَهُ وَمَكَانَتَهُ فِي قَيْسٍ، وَلَخَّصَ سِيرَتَهُ السِّيَاسِيَّةَ فِي سَطْرَيْنِ آخَرَيْنِ، وَتَطَرَّقَ إِلَى بَعْضِ صِفَاتِهِ وَسِمَاتِهِ فِي نَحْوِ نِصْفِ صَفْحَةٍ، وَعَرَّضَ لِابْنِهِ هُذَيْلٍ وَشَجَاعَتِهِ، فَقَصَّ حَادِثَةً جَرَتْ لَهُ فِي مَا يُقَارِبُ الصَّفْحَةَ، وَعَادَ إِلَى شِعْرِ زُفَرٍ فَبَيَّنَ بُحُورَهُ وَقَوَائِيهِ وَأَعْرَاضَهُ فِي نِصْفِ صَفْحَةٍ أُخْرَى، ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنِ الدِّيَوَانِ فِي الْقَدِيمِ وَضِيَاعِهِ فِي نَحْوِ صَفْحَتَيْنِ، وَخَصَّصَ صَفْحَتَيْنِ أَيْضاً لِسَرْدِ الْمَنَهْجِ الَّذِي أَرْتَضَاهُ لِعَمَلِهِ فِي الدِّيَوَانِ...

قَدْ يُقْبَلُ مِنَ الْبَاحِثِ تَقْدِيمُ مَوْجِزٍ كَهَذَا لَوْ كَانَ الْعَمَلُ جَمْعَ شِعْرٍ لَمْ يَسْبِقْ جَمْعُهُ، فَإِنَّ الْعَرَضَ آنَذَاكَ يَكُونُ لَمْ شَتَاتٍ مَا تَفَرَّقَ مِنَ الْأَبْيَاتِ فِي

بطون المظان تسهياً لوصول الدارسين إليها. أما إذا تجاوز العمل الجمع فلا يقبل مثل هذا الإخلال في تقديم مجموعة شعرية ذات أهمية تاريخية كهذه المجموعة، لأن تفصيل سيرة الشاعر يساعده على إيضاح غوامض شعره، ولا يصلح لذلك ما جاء في مقدمة الأستاذ النجار، التي لم تخل - على قصرها - من الأخطاء والأوهام.

جاء نسب الشاعر في المقدمة: «زفر بن الحارث بن معاذ بن يزيد بن عمرو الصعق بن حويلد بن نقيل...» وأشار الأستاذ الفاضل إلى أن المصادر أظهرت اختلافاً يسيراً في سياق نسبه. وفي النسب - كما ورد - خطان: أولهما أن «معاذاً» بالذال تحريف صوابه «معاذ» بالزاي، كذلك هو في «جمهرة» ابن الكلبي - ص ٣٢١ - و«أنساب الأشراف» - ج ٥ ص ٢٩٨ - و«المشبه في الرجال» للذهبي - ص ٥٩٩ - وثبه على أنه بالزاي. وهو في شعر الأخطل - ديوان (طبعة قباوة) ص ٤٢١، و«الشعر والشعراء» ص ٤٠٣ -:

لَعَمْرُ أَيْكَ يَا زُفْرُ بِنَ عَمْرٍو لَقَدْ نَجَاكَ جَدُّ بَنِي مُعَاذِ
وَرَكْمُكَ غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهَا كَأَنَّكَ مُمْسِكُ بَجْنَحِ بَارِ

وهكذا ورد أيضاً في «شرح الحماسة» للبربري - ج ١ ص ٧٩ - وفسره بقوله: «ومعاذ مأخوذ من الشدة، ومنه اشتقاق الأعرس من الأرض». والتحريف هذا قديم منتشر في كثير من المظان المطبوعة والمخطوطة، سببه نذرة معاذ في الأسماء وكثرة معاذ. وثانيهما أن الصعق هو حويلد لا عمرو، كما في «جمهرة» ابن الكلبي - ص ٣٢٠ - و«النقائض» - ص ٣٨٧، ٧٥٩ - و«الخزانة» - طبعة هارون ج ١ ص ٤٣٠ - وهو خطأ قديم كذلك، سببه أن يزيد بن الصعق الفارس الشاعر الجاهلي المشهور ينسب إلى جده عادة، وهو في الحقيقة يزيد بن عمرو بن الصعق، وقد جرت العرب على

النسبة إلى الجد الأقرب والجد الأبعد أيضاً، كعدي بن الرقاع العاملي،
وبيته وبين الرقاع أربعة آباء.

ثم نقل الباحث ما حكاه البغدادي في «شرح شواهد الشافية» معرفاً
بزفر، وهو كلام مختصر قليل الفائدة يشبه ما يجيء به المحققون هذه الأيام
في الحواشي معرفين بالأعلام التي ترد في النصوص، وقد أدى اختصاره
إلى وقوع الوهم والإيهام فيه. قال: «وشهد وقعة صفين مع معاوية أميراً
على أهل قنسرين. وهرب من قنسرين فلحق بقرقيسياء، ولم يزل متحصناً
بها حتى مات في مدة عبد الملك بن مروان...» والنص بهذا الشكل يوهم
أن زفر هرب من قنسرين أيام معاوية، وأنه بقي خارجاً على بني أمية متحصناً
بقرقيسياء إلى أن مات. والحقيقة أن زفر استولى على قنسرين أيام مروان بن
الحكم وباع ابن الزبير، ثم هرب من قنسرين بعد معركة مرج راهط فلحق
بقرقيسياء ولم يزل متحصناً بها حتى أمته عبد الملك بن مروان وصالحه على
أن لا يبايع حتى يموت ابن الزبير - للبيعة له في عقبه - وأن يزل حيث شاء ولا
يعينه على قتال ابن الزبير. وكان مع عبد الملك عندما سار إلى مضعب بن
الزبير، ولم يشترك في القتال.

فإذا عدنا إلى ما ذكره الأستاذ النجار عن الديوان، وجدناه يشير إلى أن
صاحب «الفهرست» لم يثبت فيما سرد من أسماء الكتب في مؤلفه، مما يدل
على أن الديوان قد بدأ في الضياع في القرن الخامس الهجري - زمن
تأليف «الفهرست» - أو قد ضاع فعلاً. وفي قوله هذا وهمان: الأول أن ابن
النديم من علماء القرن الرابع - لا الخامس -، والثاني أن إغفاله ذكر
الديوان لا يدل على ضياعه آنذاك، فإنه أغفل كثيراً من الكتب التي وصلت
إلينا. وكذلك الأمر بالنسبة إلى ابن ميمون والعيني، ولم يصل إلينا كتاب
«متهى الطلب» كاملاً، كما أن العيني لم يقف على دواوين كثيرة وصلت

إِلَيْنَا أَوْ رَأَى الْبَغْدَادِيَّ، كَدَوَاوِينَ الْعَجَّاجِ وَعَمْرُو بْنَ أَحْمَرَ وَعَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ وَعَدِيَّ بْنَ الرَّقَاعِ، وَكَانَ عَلِيُّ الْبَاحِثِ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ لَمْ يَقَعْ عَلِيُّ ذِكْرُ اللَّذِيانِ بَعْدَ ياقوتٍ، الَّذِي تُوْفِّي سَنَةَ ٦٢٦ هـ، أَيَّ بَعْدَ وَفَاةِ ابْنِ مَيْمُونٍ.

فَإِذَا انْتَقَلْنَا إِلَى الشَّعْرِ الْمَجْمُوعِ رَأَيْنَا أَنَّ الْأُسْتَاذَ الْمُحَقِّقَ لَمْ يُحَاوِلْ إِعَادَةَ صِيَاغَةَ الْقَصَائِدِ بَلْ أَثْبَتَهَا كَمَا عَثَرَ عَلَيْهَا دُونَ تَصْرِفٍ - إِلَّا بِشَكْلِ مَحْدُودٍ - وَقَدْ بَيَّنَّ مِنْهَجَهُ هَذَا فِي نِهَائِهِ مُقَدِّمَتِهِ، وَذَكَرَ وَجْهَةَ النَّظَرِ الَّتِي دَعَتْهُ إِلَى ذَلِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ جَمَعَ الشَّعْرَ بِحَسَبِ الْقَوَافِي، وَلَمْ يُرْتَبْ بِحَسَبِ التَّسْلُسِ الزَّمَنِيِّ الَّذِي يُسْتَحْسَنُ فِي مِثْلِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الدَّوَاوِينِ. أَمَّا تَعْلِيقاتُهُ عَلَى الْأَبْيَاتِ فَكَانَتْ مُتَفَاوِتَةً فِي الطُّوْلِ، فَمِنْهَا مَا اسْتَوْفَى شَرْحَهُ وَمِنْهَا مَا آتَسَّرَهُ آتِسَارًا، فَلَمْ يُعَلِّقْ مِثْلًا عَلَى الْقَصِيدَةِ الْأُولَى الْمَكُونَةِ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَبْيَاتٍ، مَعَ أَنَّ فِيهَا أَشْيَاءَ تَدْعُو إِلَى التَّعْلِيْقِ وَالشَّرْحِ، مِثْلَ بَيَانِ الْأَعْلَامِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا: سَعِيدٍ وَحَلْحَلَةَ وَبَنِي عَبْدِوُدٍّ - وَالْأُسْتَاذَ الْبَاحِثَ قَلَّمَا عَرَفَ بِالْأَعْلَامِ الْوَارِدَةِ فِي الشَّعْرِ - وَالْمُنَاسِبَةَ الَّتِي قِيلَتْ فِيهَا الْقَصِيدَةُ، وَكُلُّهَا أُمُورٌ تَسْتَوْجِبُ (الصَّنْعَةَ) شَرْحَهَا وَتَبْيَانَهَا، إِذْ أَنَّ الْقَصِيدَةَ قِيلَتْ فِي حَادِثَةٍ تَارِيخِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ، وَهِيَ وَقْعَةُ بَنَاتِ قَيْنَ، وَسَعِيدٌ هُوَ سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ حِصْنِ، وَحَلْحَلَةُ هُوَ حَلْحَلَةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْأَشِيمِ، وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى بَنِي عَبْدِوُدٍّ وَبَنِي عَلِيمٍ فَأَكْتَرَا فِيهِمُ الْقَتْلَ، فَسَلَّمَهُمَا عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بَنِي عَبْدِوُدٍّ وَبَنِي عَلِيمٍ لِيَقْتَصَا مِنْهُمَا، وَهَذَا تَفْسِيرُ قَوْلِ زُفَرٍ:

بَنِي عَبْدِوُدٍّ لَا نَطَالِبُ نَارَنَا مِنْ النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ إِنْ شَبَّتِ الْحَرْبُ

كُلَّ هَذَا أَهْمَلَهُ وَلَمْ يُعَلِّقْ شَيْئًا عَلَى الْأَبْيَاتِ لِأَنَّهَا وَرَدَتْ فِي «الْأَغَانِي» - مَصْدَرِهَا الْوَحِيدِ - دُونَ شَرْحٍ أَوْ تَعْلِيْقٍ، لَكِنَّهُ تَنَاوَلَ الْقِطْعَةَ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ - وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ - بِشَرْحٍ مُطَوَّلٍ وَتَعَالِيْقٍ بَلَغَتْ صَفْحَتَيْنِ، ذَلِكَ أَنَّهَا وَرَدَتْ فِي شَرْحِ التَّبْرِيْزِيِّ لِلْحِمَاسَةِ، فَسَرَدَ جُلَّ مَا كَتَبَهُ التَّبْرِيْزِيُّ

عَنْهَا بِشَكْلِ يَكَادُ يَكُونُ حَرْفِيًّا دُونَ أَنْ يُشِيرَ إِلَى أَنَّهُ يَنْقُلُ عَنْهُ سِوَى فِي شَرْحِهِ
 الْبَيْتِ الرَّابِعِ، مَعَ أَنَّهُ ذَكَرَ فِي شَرْحِ الْبَيْتِ الثَّانِي قَوْلًا لِأَبِي الْعَلَاءِ لَمْ يُبَيِّنْ
 أَيْنَ وَقَعَ وَلَا مَنْ أَبُو الْعَلَاءِ هَذَا، وَلَعَلَّهُ الْمَعْرِيُّ، فَقَدْ أَلْفَ كِتَابَ «الرِّيَاشِ
 الْمُصْطَنَعِي فِي شَرْحِ مَوَاضِعٍ مِنَ الْخَمَاسَةِ الرَّيَاشِيَّةِ» - يُرِيدُ خَمَاسَةَ أَبِي
 تَمَامٍ بِشَرْحِ أَبِي رِيَاشٍ - كَمَا أَفَادَ الْعَلَامَةُ الْمِيمَنِيُّ فِي «أَبُو الْعَلَاءِ وَمَا إِلَيْهِ»
 - ص ٢٦٦، ٢٦٧ - وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ التَّبْرِيذِيَّ أَوْدَعَ فِي شَرْحِهِ مِنْهُ جُمْلَةً
 صَالِحَةً. بَلْ إِنَّهُ يَنْقُلُ شُرُوحَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ دُونَ تَدْقِيقِ فَيَقَعُ فِي الْأَوْهَامِ
 الَّتِي وَقَعُوا فِيهَا، فَقَدْ أوردَ مَا عَلَقَهُ الْمَرْحُومُ الْأُسْتَاذُ عَبْدُ السَّنَّارِ فَرَّاجَ - فِي
 تَحْقِيقِهِ كِتَابَ «الْأَغَانِي» ج ٢٣ ص ١٩٣ - عَلَى الْبَيْتِ الْخَامِسِ مِنَ الْقِطْعَةِ
 ق (٢٠):

أَرْضِ الْمَذَلَّةِ حَيْثُ عُقَّتْ أُمَّكُمْ وَأَبُوكُمْ أَوْ حَيْثُ مُزِعَ مُزْعٌ بِحَدَلٍ

وَهُوَ قَوْلُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - «عُقَّتْ: حَمَلَتْ، مُزِعَ: فَرَّقَ أَوْ هِيَ مُرْعٌ،
 وَيَكُونُ مِنَ التَّمْرِغِ وَهُوَ التَّقْلُبُ» فَاتَى الْأُسْتَاذُ الْجَارُ بِهَذَا الشَّرْحِ كَمَا هُوَ،
 مَعَ أَنَّ فِيهِ نَظْرًا، إِذْ أَنَّ «عُقَّتْ» هُنَا مِنْ أَلْعَقَ وَهُوَ الشَّقُّ وَالْقَطْعُ، وَإِلَّا فَكَيْفَ
 يَسْتَقِيمُ مَعْنَى الْحَمْلِ مَعَ قَوْلِهِ: «وَأَبُوكُمْ»؟! وَقَدْ يَكُونُ مِنْ عُقُوقِ
 الْوَالِدَيْنِ.

وَنَقَلَ تَعْلِيقَ الْأُسْتَاذِ فَرَّاجٍ أَيْضًا - «الْأَغَانِي» ج ٣، ص ١٩٨ - عَلَى
 الْبَيْتِ:

بِكُلِّ فَتَى لَمْ تَأْبِرِ النَّخْلَ أُمُّهُ وَلَمْ يُدْعَ يَوْمًا لِلْغَرَائِرِ مَعَكُمْ

«مَعَكُمْ: الْمَكْتَبِرُ اللَّحْمَ». وَمَعَ أَنَّ هَذَا مِنْ مَعَانِي الْمِعْعَمِ، لَكِنَّهُ
 لَيْسَ الْمَقْصُودُ هُنَا وَلَا يَنْجُ بِهِ مَعْنَى الْبَيْتِ. وَالصُّوَابُ أَنَّهُ مِنْ عَكَمِ الْمَتَاعِ
 إِذَا شَدَّهُ، أَيْ لَمْ يُدْعَ هَذَا الْفَتَى رَابِطًا لِلْغَرَائِرِ - وَهِيَ الْجَوَالِقُ - وَكَانُوا يَرَوْنَ

في مثل هذه الأعمال عاراً، لذلك قال: لم تأبِر النخل أمه. وهذه فائدة كان
على الأستاذ أن يتنبه إليها ويتبّه عليها إذا شاء أن يعدّ عمله في الديوان
(صنعة).

ثم ننظر في ترجيحه نسبة أبيات متنازعة إلى شاعرنا، فنرى محاولات
لا تدل على تثبت وتمحيص، مثل ما جاء في تخريج القطعة ق (٢٢) التي
نسبت إلى زفر وقيل هي لغيره، فهو ينص على أن الصواب أنها له لصلته
موضوعها برثاء ابن الحباب، كأن رثاء عمير كان حكراً على زفر، بدلاً من أن
يقول - مثلاً - : «والأرجح أنها له لقوله فيها:

فلو نيش المقابر عن عمير فيخبر عن بلاء أبي الهذيل

وأبو الهذيل كنية زفر». وكذلك القطعة ق (٢٤) التي تنسب إليه وإلى
عقيل بن علفه، ورجح الأستاذ الباحث أنها لزفر لأن الأبيات «تدور حول
القتال مع ابن بحدل ورهطه، وهذا أمر يخص زفر أكثر من غيره». ولا يتعد
أن يكون عقيل قالها، لأنه من مرة بن عوف بن سعيد بن ذبيان، وقد أوقع
حميد بن بحدل بفزارة بن ذبيان، فأغار سعيد بن عيينة بن حصن وحلحلة بن
قيس بن الأشيم الفزاريان على بني عبد ود وبني عليم من كلب فأكثر فيهم
القتل. وعقيل بن علفه أقرب إلى فزارة من زفر، فالأمر يخصه أيضاً.

ونصل أخيراً إلى الفهارس، فنجد الأستاذ قد ذيل الديوان بأحد عشر
فهرساً، وهو عمل جيد يُحمد له. على أننا إن تدبرناها نجد أنه أكثر من
الفهارس التي لا تحتاج إلى كبير جهد، إذ أن الشعر كله لم يُنف على المائة
بيت إلا قليلاً، أي أنه لم يتعدّ قصيدة واحدة طويلة. وعلى الرغم من ذلك
فقد أهمل عمل الفهارس التي تتطلب شيئاً من الكد والنصب، كفهرس
التسلسل الزمني للقصائد، وفهرس اللغة، وفهرس المعاني والتشبيهات
والصور... الخ.

وَنَخْلُصُ مِنْ نَظَرَتِنَا السَّرِيعَةَ هَذِهِ فِي عَمَلِ الْأَسْتَاذِ النَّجَارِ إِلَى أَنْ مَا
قَدَّمَهُ لَمْ يَتَعَدَّ الْجَمْعَ فَلَا مَخْرَجَ لَهُ إِذَنْ وَلَا عِدْرَةَ فِيمَا قَامَ بِهِ، فَإِنَّهُ عَمَلٌ مَكْرُورٌ
مُعَادٌ.

بَقِيَتْ مُمَلَّحَاتٌ قَلِيلَةٌ عَلَى النَّصِّ الْمَنْشُورِ يَجْدُرُ بِي أَنْ أُثْبِتَهَا، إِذْ أَنْ
مِنْ حَقِّ الْأَسْتَاذِ عَلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ عَمَلَهُ قِرَاءَةً دَارِسٍ مُمَحَّصٍ لَا قِرَاءَةَ مُتَصَفِّحٍ
مُتَعَجِّلٍ، وَمِنْ حَقِّ الْعِلْمِ وَالْثَرَاتِ أَنْ أذْكَرَ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ أُنَاءَ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ.

ق (٣) ب - الْبَيْتُ (٣) : جَاءَ عَجْزُ الْبَيْتِ : «وَفِي هَؤُلَاءِ مِنْ سَوْقَةِ شَرَفٍ
حَسْبِي» صَوَابُهُ : «وَفِي هَؤُلَاءِ لِيَتَزَنَ الْعَجْزُ».

ق (٤) - الْبَيْتُ (٦) : أَشْرْنَا سَابِقًا إِلَى أَنْ عَجْزُهُ هُوَ : «فَمَا عَدَلَتْ
جُمُوعُهُمْ عُمَيْرًا» وَلَيْسَ كَمَا جَاءَ فِي النَّصِّ، إِذْ أَنَّ الْعَجْزَ هُنَاكَ هُوَ عَجْزُ الْبَيْتِ
(٤) مِنْ الْقَصِيدَةِ نَفْسِهَا.

ق (٥) - الْبَيْتُ (٣) : لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ لَيْسَ مِنَ الْمَقْطُوعَةِ
الْمَذْكُورَةِ بَلْ هُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى، لِإِخْتِلَافِ مَوْضُوعَيْهِمَا.

ق (٦) - : لَيْسَ الْبَيْتَانِ الْمَذْكُورَانِ لِزُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ
الْكِلَابِيِّ، بَلْ هُمَا لِزُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ
سَلَمَةَ بْنِ قُثَيْبٍ، فَإِذَا رَاجُوهُمَا فِي الشُّعْرِ الْمَجْمُوعِ وَهُمْ. وَقَدْ سَقَطَ فِي الطَّبَاعَةِ
حَرْفُ الْجَرِّ (مِنْ)، فِي عَجْزِ الْبَيْتِ الثَّانِي، وَالصَّوَابُ : مِنْ أَرْمَانَ .

ق (٩) : الْبَيْتُ فِي «أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ» - ج ٥ ص ٣٠١ - لَهُ
أَوْلَايَةٌ.

ق (١٠) - الْبَيْتُ (١) : «سَيَّانٌ» صَوَابُهَا : «سَيَّانٌ» بِكَسْرِ النُّونِ، وَلَعَلَّهَا
مِنْ أَخْطَاءِ الطَّبَاعَةِ.

ق (١٢) - : وَرَدَّتِ الْآيَاتُ فِي «أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ» - ج ٥
ص ٣٢٥ - مَنْسُوبَةٌ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ الْحُبَابِ أَوْ إِلَى عَمِيرِهِ، وَهِيَ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ
(مَعَ اخْتِلَافٍ كَبِيرٍ فِي رِوَايَةِ الثَّلَاثِ) فِي دِيْوَانِهِ - ص ٧١، ٧٢ - نَقْلًا عَنِ
«الْأَسْتِعَابِ» - ج ٣ ص ٥٥٩ - وَهِيَ لِلنَّابِغَةِ أَيْضًا فِي «الْخِزَانَةِ» (هَارُونَ) - ج
٣ ص ١٧١ .

ق (١٣) - : وَرَدَّ الْبَيْتُ فِي النَّصِّ كَمَا يَلِي :

فَإِنَّ زُبَيْرًا أَحْيَاةً فَإِنَّ أُمَّتَ فَإِنِّي لَمُوصٍ هَامَتِي بِالتَّزْوِيرِ
وَأَشَارَ الْجَامِعُ إِلَى اخْتِلَالِ وَرْنِهِ . أَقُولُ : صَوَابُ الصَّدْرِ : «فَإِنِّي
زُبَيْرِي أَحْيَاةً فَإِنَّ أُمَّتَ» ، فَبِهَذَا فَقَطْ يَسْتَقِيمُ الْوَرْنُ وَالْمَعْنَى .

ق (١٤) - الْبَيْتُ (٢) : وَرَدَّ فِي النَّصِّ : «أَتَتْرُكُ حَيَّ ذِي يَمَنِ» ،
صَوَابُهُ : «أَتَتْرُكُ» بِتَاءَيْنِ .

ق (١٤) - الشَّرْحُ (ص ٢٤٣) : جَاءَ فِيهِ : «وَأَنَاهَا عَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ
ظَبْيَانَ . . .» وَالصَّوَابُ أَنَّهُ عُبَيْدُ اللَّهِ . . .

ق (١٦) - الشُّطْرُ (٣) : هُوَ فِي النَّصِّ وَفِي مَصَادِرِ الرَّجَزِ أَيْضًا :
«لَيْسَ بِوَهْوَاهٍ وَلَا بِرَاعٍ» وَفِيهِ تَصْحِيفُ صَوَابُهُ : «وَلَا يِرَاعٍ» بِأَلْيَاءِ الْمُشْتَاةِ مِنْ
أَسْفَلِ .

ق (١٨) - شَرْحُ الْبَيْتِ (٣) : قَالَ الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ : تَرْحِيلُ الشَّمْسِ :
هُوَ أَنْ تَنْبَسِطَ وَلَا يَشْتَدَّ حَرُّهَا بَعْدَ . وَلَكِنْ رِوَايَةُ النَّصِّ : «تَرْجُلُ» ، وَشَرْحُهَا
التَّبْرِيذِيُّ فِي مَعْرُضِ تَعْلِيلِهِ عَلَى الْبَيْتِ فَقَالَ : «وَأَلْتَرْجُلُ هُوَ أَنْ تَنْبَسِطَ
الشَّمْسُ وَلَمْ يَشْتَدَّ حَرُّهَا بَعْدَ» وَهُوَ صَوَابٌ مَا جَاءَ فِي الدِّيْوَانِ .

ق (١٩) - الْبَيْتُ (١) : وَرَدَّتْ قَافِيَتُهُ فِي النَّصِّ : «تُجْهَلُ» بِالْبِنَاءِ
لِلْمَجْهُولِ ، وَكَذَلِكَ قَافِيَةُ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ «تُجْدَلُ» ، وَالصَّوَابُ فِيهِمَا الْبِنَاءُ

لِلْمَعْلُومِ : «تَجْهَلُ» وَ«تَجْدُلُ». وَقَادَ الْجَامِعَ إِلَى الْوَهْمَيْنِ مَجْبُوهُمَا فِي الْمَصْدَرِ الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ - وَهُوَ «أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ» - كَذَلِكَ .

ق (٢٠) - الْبَيْتُ (٢) : رَوَى الْأُسْتَاذُ الْجَامِعُ الْبَيْتَ كَمَا جَاءَ فِي مَصْدَرِهِ «الْأَغَانِي» :

أَيَسُؤُنَا يَا كَلْبُ أَصْدَقُ شِدَّةٍ يَوْمَ الْلِقَاءِ أَمْ الْهُوَيْلُ الْأَوَّلُ
وَلَا يَتَّجُهُ لَهُ مَعْنَى . وَأَطْنُ صَوَابِ الصَّدْرِ : «أَفْهُونَا يَا كَلْبُ أَصْدَقُ
شِدَّةً» . وَهَلْ نَكُونُ قَدْ بَعُدْنَا عَنْ جَادَّةِ الصَّوَابِ لَوْ قَرَأْنَا الْبَيْتَ : «أَهْدِينَا
وَالْهُدَيْلُ الْأَوَّلُ» ؟ .

ق (٢٠) - التَّخْرِيجُ : قَالَ الْجَامِعُ : «كَذَلِكَ وَرَدَتِ الْأُبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ فِي
أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ . . .» وَالصَّوَابُ أَنَّ مَا فِي «أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ» هُمَا الْبَيْتَانِ
الْأَوَّلُ وَالرَّابِعُ فَقَطْ .

ق (٢١) - الْبَيْتُ (٤) : جَاءَ الْبَيْتُ فِي النَّصِّ وَفِي مَصْدَرِهِ الْوَحِيدِ
«الْوَحْشِيَّاتِ» :

رِمَاخُهُمْ يَرِدْنَ عَلَى ثَمَانٍ وَعَشْرٍ قَبْلَ تَرْكِيبِ النَّصَالِ
هَكَذَا بِالرَّاءِ فِي «يَرِدْنَ»، وَهُوَ لَا شَكَّ خَطَأً طِبَاعَةً فِي «الْوَحْشِيَّاتِ» جَرَّ
إِلَى الْوَهْمِ فِي الشَّعْرِ الْمَجْمُوعِ . وَالصَّوَابُ : «يَرِدْنَ» بِالزَّايِ ، أَيْ يَزِيدُ
طُولَ الرَّمْحِ مِنْهَا عَلَى ثَمَانِيَّةٍ عَشْرٍ شِبْرًا قَبْلَ تَرْكِيبِ النَّصْلِ .

ق (٢٢) - حَوْلَ الْأُبْيَاتِ (ص ٢٥٤) : نَقَلَ الْأُسْتَاذُ عَنِ «الْأَغَانِي» مَا
أُورِدَهُ هُنَا، وَفِيهِ الْأَخْطَاءُ التَّالِيَةُ :

س (٢) : مُسْلِمٌ بِنُ أَبِي رَبِيعَةَ - وَكَذَلِكَ فِي «الْأَغَانِي» - صَوَابُهُ :
«مُسْلِمٌ بِنُ رَبِيعَةَ» كَمَا جَاءَ فِي النَّصِّ تَالِيًا وَكَمَا فِي «شَرْحِ دِيْوَانِ جَبْرِ» - ص

٥٣ - وأبو الفرج ينقل الخبر عن ابن حبيب كما أوردته في شرح الديوان، والنص والشعر هناك - ص ٥٣ - ٥٦ -، وكذلك جاء الاسم في «الكامل» لابن الأثير - ج ٤ ص ٣١٨ - و«أنساب الأشراف» - ج ٥ ص ٢٢٦ - س (١١): «وبلغ ذلك بني تغلب واليمن، وكذلك س (٢٤، ٢٥) وهذا غلط من ناشري «الأغاني» صوابه «والنمر» - أي النمر بن قاسط - كما في «شرح ديوان جرير»، ولم تشهد اليمن الكحيل ولا غيره من حروب قيس وتغلب.

ق (٢٣) - البيت (١): ورد في الصدر: «أولاد علة»، وشرحها الأستاذ النجار بقوله: علة: مرض، وهذا غلط صوابه: «أولاد علة»، وبنو العلات: بنو الضرائر، ويقال للقوم المختلفين: أبناء علات، وللمتفقين: أبناء أم. قال عبد المسيح بن عمرو بن نائلة الغساني:

وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَجْفُؤٌ وَمَحْقُورٌ
وَهُمْ بَنُو أُمَّ مِنْ أَمْسَى لَهُ نَسَبٌ فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورٌ

وجاء عجز البيت: «وأغرق فينا نزعاً كل قائل» وشرحه الأستاذ النجار بقوله: نزعاً: إفساداً وطعناً. وليس الإفساد من معاني النزاع - بالعين المهملة - بل هو النزاع - بالعين المعجمة - وصواب القراءة: «وأغرق فينا نزعاً» أي رماناً، وعلى هذا فسرت الآية الكريمة: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ فقيل: هي القسي. ويجوز أن يُقرأ العجز: «وأغرق فينا نزعاً كل قائل» أي إفساده، ولا وجه لـ «نزعاً» ولا «نزعاً» بناء التانيث فيهما.

ق (٢٣) - التخريج: ورد أن الأبيات في «أنساب الأشراف» - ج ٥ ص ٢٨٧ - والصحيح أن يبين منها هناك.

ق (٢٣) - حول الأبيات: «عبد الله بن الحر» صوابه: «عبد الله بن الحر».

ق (٢٦) - البَيْتُ (١٠): «فَلَمْ تُرْمِي نَبْؤَهُ»: الوَجْهُ فِي الْقِرَاءَةِ الْبِنَاءُ لِلْمَجْهُولِ: «فَلَمْ تُرْمِي نَبْؤَهُ».

ق (٢٦) - البَيْتُ (١٤): «مِنْ شَقَائِبِ» بِالْقَافِ، صَوَابُهَا: «شِفَائِبِ» بِالْفَاءِ.

ق (٢٦) - البَيْتُ (١٦): «الْدُّمُوعُ الدَّوَارِيَا» بِالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ خَطَأً طِبَاعَةً، صَوَابُهُ: «الدَّوَارِيَا» بِالْمُعْجَمَةِ.

ق (٢٦) - حَوْلَ الْقَصِيدَةِ: نَقَلَ الْجَامِعُ عَنِ «الْعَقْدِ الْفَرِيدِ» أَخْبَارَ وَقَعَةٍ مَرَّجٍ رَاهِطٍ، فَجَاءَ فِيهَا:

ص (٢٦٣) س (١): «وَأَقْبَلَ عَبْدُ بَنُ يَزِيدَ مِنْ حُورَانَ» أَظُنُّ الصَّوَابَ مَا جَاءَ فِي «أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ» - ج ٥ ص ١٣٦ - «عَبَادُ بْنُ زِيَادٍ مِنْ حُورَيْنَ».

س (٣): «وَأَمَرَ مَرْوَانَ بِرِجَالٍ» وَكَذَلِكَ هِيَ فِي «الْعَقْدِ» - طَبَعَةَ الْعَرَبِيَّانِ - صَوَابُهَا: «وَأَمَدٌ».

س (٦): «أَكْثَرُهُمْ رِجَالُهُ» . . . صَوَابُهَا: «رِجَالَةٌ».

ق (٢٦) - شَرَحَ الْبَيْتِ (١٣): تَشَحَّطُ: تَزْفُرُ، وَلَا وَجْهَ لِهَذَا التَّفْسِيرِ، وَكَيْفَ تَزْفُرُ الْخَيْلُ بِالْقَنَا؟ وَالشَّحْطُ الذَّبْحُ وَالْاضْطِرَابُ فِي الدَّمِ.

ق (٢٦) - شَرَحَ الْبَيْتِ (١٥): جَاءَ تَفْسِيرُ (شَدَاتِ الْأَغْرَى): «شَدَاتُ: جَمْعُ شَدَّةٍ وَهِيَ الْحَمْلَةُ فِي الْحَرْبِ، وَالْأَغْرُ مِنَ الْأَيَّامِ: الشَّدِيدُ الْحَرُّ». وَلَا يَسْتَفِيمُ الْمَعْنَى إِذْ كَيْفَ تُنَجِّيهِ حَمَلَاتُ الْحَرْبِ الَّتِي تَخُصُّ الْيَوْمَ الشَّدِيدِ الْحَرِّ كَأَنَّمَا يَرَى الْجِبَالَ صَحَارِي؟! وَالصَّوَابُ: الشَّدَاتُ: جَمْعُ شَدَّةٍ وَهِيَ الْإِسْرَاعُ فِي الرُّكُضِ، وَالْأَغْرُ: فَرَسٌ ذُو غُرَّةٍ، أَوْ أَسْمُ فَرَسِهِ. أَيُّ أَنَّ مَا نَجَّاهُ كَانَ شَدَاتُ هَذَا الْفَرَسِ الَّذِي كَأَنَّهُ يَرَى الْجِبَالَ صَحَارِي لِقُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ.

الفَهْرَسُ الفَلَكِيُّ - ص (٢٧٦): جَاءَ ضَمْنُ هَذَا الْفَهْرَسِ: «الْأَعْرُ»
لِلْغَلَطِ فِي فَهْمِ مَعْنَى الْبَيْتِ، وَمَوْضِعُهُ فِي «فَهْرَسِ الْحَيَوَانِ» وَكَذَلِكَ:
«الشُّهْبَاءُ» وَلَا مَكَانَ لَهَا هُنَا إِذْ أَنْ مَعْنَاهَا: كَثِيْبَةٌ شُهْبَاءٌ، أَي تَلْبَسُ الْحَدِيدَ،
وَمَوْضِعُهَا فِي «فَهْرَسِ الْأَسْلِحَةِ وَمُعَدَّاتِ الْقِتَالِ». وَكَذَلِكَ: «الْهَلَالُ»، ظَنُّهُ
هَلَالُ السَّمَاءِ، وَهُوَ الرُّمْحُ ذُو الشُّعْبَتَيْنِ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُنَاسِبُ الْمَعْنَى.

فَهْرَسُ الْمَرَاجِعِ - ص (٢٧٨): ذَكَرَ الْأُسْتَاذُ أَنَّهُ قَدْ رَجَعَ إِلَى طَبْعَةِ دَارِ
الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ لِكِتَابِ «الْكَامِلِ» لِابْنِ الْأَثِيرِ، وَقَدْ أَحَالَ حَقًّا عَلَى هَذِهِ
الطَّبْعَةِ إِلَّا عِنْدَ تَخْرِيجِهِ الْقِطْعَةَ ق (٤)، فَقَدْ أَحَالَ عَلَى طَبْعَةِ دَارِ صَادِرِ دُونَ
إِشَارَةٍ إِلَى ذَلِكَ. وَكَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى طَبْعَةِ وَاحِدَةٍ أَوْ يَذْكَرَ - عَلَى الْأَقْلِ
- الطَّبْعَةَ الَّتِي يُحِيلُ عَلَيْهَا.

هَذَا مَا رَغِبْتُ فِي إِثْبَاتِهِ مِنْ تَعْلِيْقَاتِي عَلَى مَا جَمَعَ الْأُسْتَاذُ النَّجَّارُ مِنْ
شِعْرِ زُفَرِّ بْنِ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ أَنُهِيَهَا بِذِكْرِ آيَاتٍ لَمْ تَرُدْ فِيهِ وَلَا فِي عَمَلِ
الْأُسْتَاذِ الْقَيْسِيِّ، وَقَعْتُ عَلَيْهَا أَثْنَاءَ دِرَاسَتِي لِلشُّعْرِ دُونَمَا اسْتِقْصَاءٍ أَوْ
اسْتِيفَاءٍ، أَوْ رُدِّهَا إِكْمَالًا لِلْبَحْثِ وَخِدْمَةً لِلشُّعْرِ.

١ - أَلَا إِنَّمَا قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ بَقَّةٌ إِذَا وَجَدَتْ رِيحَ الْعُضَيْرِ تَغَنَّتْ
التَّخْرِيجُ: «اللِّسَانُ» (بِقَوْ) لَهُ أَوْ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ، «اللِّسَانُ»
(عَيْل) لَهُ، وَكَذَلِكَ «حَيَاةُ الْحَيَوَانِ» ١٥٣/١.

٢ - أَقْدِمُ صِدَامٌ إِنَّهُ ابْنُ بَحْدَلٍ

٣ - لَنْ تُدْرِكَ الْخَيْلَ وَأَنْتَ تَدَّالُ

٤ - إِلَّا بِمَرِّ مِثْلِ مَرِّ الْأَجْدَلِ

التَّخْرِيجُ: «أَسْمَاءُ خَيْلِ الْعَرَبِ وَفُرْسَانِهَا» لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ - تَحْقِيقُ
الْقَيْسِيِّ وَالضَّامِنِ - ص ٦٥، وَالرَّجْزُ فِي «الْأَغَانِي» ١٨٥/٢٣ مَنَسُوبًا إِلَى

عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ مَعَ ذِكْرِ أَنَّ صِدَاماً لَهُ . عَلَى أَنَّ «الْقَامُوسَ الْمُحِيطَ» (صدم)
يُنْصُ عَلَى أَنَّ صِدَاماً لِزُفَرِّ بْنِ الْحَارِثِ .

٥ - عَزَّ عَلَيَّ مَقْتَلُكُمْ وَكَيْعاً وَمَضْرَعُ جَنْبِهِ فِي ابْنِي دُخَانِ
التَّخْرِيجُ : «جَمْهَرَةٌ» ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، ص ٣٢١ . وَوَكَيْعُ بْنُ زُفَرٍ .

خَاتِمَةٌ :

كُنْتُ وَعَدْتُ فِي بَحْثٍ سَابِقٍ أَنْ أَتَنَاوَلَ فِي مَقَالٍ مَا أَرَاهُ النَّهْجَ
الصَّحِيحَ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ عِنْدَ إِخْرَاجِ الشَّعْرِ عَنْ طَرِيقِ جَمْعِ مُتَنَائِرِهِ مِنْ
بُطُونِ الْكُتُبِ . وَ«أَنْجَزَ حُرّاً مَا وَعَدَ» . وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا بَيِّنَةٌ
مِنْ أُسُسِ عِلْمَاتٍ يَهْتَدِي بِهَا مَنْ نَهَدَ لِجَمْعِ أَشْعَارِ شَاعِرٍ ضَاعَ دِيْوَانُهُ ، أَوْ
تَصَدَّى لـ «صُنْعِ» دِيْوَانِ شَاعِرٍ . وَقَدْ أَكُونُ حَمَلْتُ الْبَاحِثِينَ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ
بِهِ ، وَأَبْطَرْتُهُمْ ذَرَعَهُمْ ، لِكَيْتَنِي إِنَّمَا اسْتَلْهَمْتُ أَعْمَالَ عُلَمَائِنَا الْقَدَامِيِّ ،
فَطَلَبْتُ مِنْ بَاحِثِينَا أَنْ يَتَأَسَّوْا بِهِمْ ، وَيَسِيرُوا عَلَى سَنَنِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ الْمُرْتَقَى
صَعْباً كَوُوداً ، وَالْمَسْلُوكَ حُزْناً مُسْتَغْلِقاً .

وَأَنَا إِنْ كُنْتُ أَنْهَيْتُ بَحْثِي بِمَا عَلَّقْتُهُ عَلَى شِعْرِ زُفَرِّ بْنِ الْحَارِثِ الَّذِي
جَمَعَهُ الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ النَّجَّارُ ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَوْضَحَ مَا اشْتَرَطْتُهُ وَطَلَبْتُهُ
مِنْ صَانِعِي الدُّوَاوِينِ ، وَمَا فَصَدْتُ أَنْقَاصَ عَمَلٍ وَلَا تَوْهِينِ رَأْيٍ . وَلَعَلَّ
الْأُسْتَاذَ النَّجَّارَ يَنْظُرُ إِلَى مَا كَتَبْتُ عَلَى أَنَّهُ مُحَاوَلَةٌ لِخِدْمَةِ تَرَاثِنَا الْخَالِدِ وَلَعْتِنَا
الشَّرِيفَةِ ، فَيَقْبَلُهُ بِرَحَابَةٍ صَدْرٍ وَسَعَةٍ جِلْمٍ ، فَإِنَّ هَذَا شَأْنٌ مَنْ تَكُونُ الْحَقِيقَةُ
غَايَتَهُ ، وَخِدْمَةُ الْعِلْمِ مُبْتَغَاهُ .

وَلَهُ مِنِّي ، بَعْدَ ، عَظِيمِ الْإِجْلَالِ وَخَالِصِ التَّقْدِيرِ .

ثانياً: مع الكتب

عَرَضٌ وَتَعْرِيفٌ بِكِتَابِ
التَّارِيخِ الدِّبْلُومَاسِيِّ لِلْمَغْرِبِ
تَأليف الدكتور عبدالمكادي التازي
بقلم المؤلف

يرجع اهتمامي بالبحث عن صلة المغرب بغيره من الأمم، إلى ما قبل خمس وعشرين سنة، وبالذات في أوائل سنة ١٩٦٣ عندما أسندت إلي مهمة السفارة عن بلادي... فهناك فتحت ملف التاريخ الدبلوماسي للمغرب...

ولقد ظهر هذا الاهتمام أول الأمر في المقال الذي كتبه عن (العلاقات الثقافية بين روما وفاس) منذ القرن العاشر للميلاد، وكان ذلك بمناسبة الحفلات التي شهدتها المغرب وإيطاليا بمناسبة توأمة مدينة فاس مع مدينة فلورانس^(١)، وقد ظهر اهتمامي بالموضوع جلياً في عبارات الشكر والامتنان التي أجبت بها جلالة الملك الحسن الثاني وهو يسلمني أوراق اعتمادني سفيراً عنه إلى بغداد، عندما ذكرت في ذلك اللقاء أمام جلالته، اسم الإمام (ابن العربي) الذي توجه سفيراً عن السلطان يوسف بن تاشفين إلى المستظهر بالله الخليفة العباسي ببغداد قبل تسعة قرون أو تزيد^(٢)...

(١) جريدة العلم المغربية، ٩ مارس ١٩٦٣ - / مجلة المغرب لسان وزارة الشؤون الخارجية، العدد ٦ مائة ١٩٦٣.

(٢) الصحف المغربية ليوم ١٤/١٥ مائة ١٩٦٣ - / التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج ١، ص ٩، ١٩٨٦ - د. التازي: عظمة الميثاق، محاضرة أقيمت أمام جلالة الملك يوم الجمعة ١٤ رمضان ١٤٠٦ = ٢٣ مائة ١٩٨٦.

من هنا أخذت طريقي نحو هذا الموضوع، وكنت أعتقد، ولا أخفي ذلك، أن الموضوع في المتناول...!

ولشد ما كانت مفاجأتي وأنا أجد نفسي أمام جبال متعالية شامخة - أمام مغامرة حقيقية!

ولقد كان أول انطباع لازمني منذ هذه البداية أنني اقتنعت بأن الذين ينشدون تاريخ المغرب عن طريق الكتب التي تعالج أحداث المغرب الداخلية، من التي ألقت بلسان عربي في العهود السابقة أو اللاحقة، إنما كانوا يبحثون عن القشور ويتمسكون بأهداب الموضوع! لأن تلك الكتب تظل بعيدة عن أن تعطي صورة عن هذا المغرب العظيم الذي كان يشغل حيزاً كبيراً وهاماً في أرشيف المجموعة الدولية التي كانت تعرف جيداً عن موقعه وواقعه...

لقد كان ذلك انطباعي، ومن حسن حظي أن ذلك الانطباع هو الذي كان وراء حملي على المضيّ قدماً في ذلك الطريق الملبّد المتعب في آن واحد!! وقد كان مما زاد في تشجيعي ملاحظتي بأن المؤرخين القدامى على العموم كانوا يهملون تماماً الحديث عن تاريخ العلاقات الدولية للمغرب...! بمن فيهم ابن خلدون ومن أتى قبله وبعده! وملاحظتي كذلك بأن المؤرخين المعاصرين - وخاصة منهم إخواننا في المشرق - إنما يتحدثون عما يتصل ببلادهم دون أن يكلفوا أنفسهم الالتفات إلى هذا المغرب الذي كان رصيده متميزاً في هذا الباب إن لم أقل إنه أقوى وأغنى!

وبالرغم من أن كتابي (التاريخ الدبلوماسي) قد يشعر بأنه يقتصر على تاريخ العلاقات الدولية لديار المغرب إلا أن الكتاب - ويجب أن أقول هذا - يتناول الصلات التي ربطت العالم الإسلامي كله بالعالم المسيحي، لماذا؟ لأن المغرب - وهو يكوّن جزءاً كبيراً وبارزاً من الدولة الإسلامية الكبرى - قام بدور جدّ حاسم وجدّ خطير وجدّ هامّ في المجموعة الدولية، ومن ثمت يسوغ القول بأنه مصدر من مصادر تاريخ للعلاقات الدولية لملة الإسلام قاطبة مع الملل الأخرى... وهل سجّل التاريخ الدولي للإسلام لقطة أقوى وأكثر دلالة من

التي سجلها عندما وردت سفارة من ملك إنجلترا جوهن على الخليفة الناصر الموحدي (٦٠٩ - ١٢١٣) يطلب إلى العاهل المغربي أن يقدم عونه المادي لإنجلترا في مقابلة أن يعتنق جوهن دين الإسلام وأن يحمل أمته على أن تحذو بكاملها حذوه. !!

وهل ينسى أحد أن ملوك المغرب هم الذين طلبوا - دون غيرهم من ملوك المشرق - من ملوك أوروبا أن يعتنقوا الإسلام^(١)؟!!

وبالرغم من أن كتابي «التاريخ الدبلوماسي للمغرب» يقع في عشرة مجلدات، إلا أنني أقول من الآن: إنه يعطي فقط إشارات سريعة أمام الذين يريدون أن يتابعوا البحث والتنقيب... إنه تاريخ هائل بكل ما يكتفه من حقائق، وأنَّ لمجلدات معدودة أن تستوعب صلة المغرب بكل مملكة وكل إمارة وكل دولة من دول العالم شرقه وغربه؟!!

ولقد تحدثت في ديباجة الكتاب عن مشاعري وأنا أحمل نفسي على «التأقلم» مع الموضوع ومعايشته... سواء عن طريق اللقاءات أو المحاضرات أو الاستجابات أو تنظيم المعارض وكتابة المقالات والاستفادة من المناسبات...

هذا بالإضافة إلى الفائدة المستمرة من ممارستي لوظيفتي الدبلوماسية بما تقتضيه من استقبالات واستطلاعات، أو مسابير ومعاكسات، أو ظروف وصروف كانت تفتح لي كل يوم آفاقاً جديدة وربما أجابت عن بعض الأسئلة التي كانت تنتصب أمامي...

ولقد تعمدت في مقدمة الكتاب - التي استوعبت وحدها مجلدين اثنين - تعمدت أن أبرز سائر العناصر التي استرعت نظري وأنا أحرر أبواب الكتاب وفصوله... وهكذا فنظراً لأهمية المراجع التي استشرتها خصصت جانباً من المقدمة لمصادر التاريخ الدبلوماسي للمملكة المغربية أتيت فيه على معظم ما

(١) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج ١، ص ١٦.

توفرت عليه من مصادر مخطوطة أو مطبوعة سواء أكانت باللغة العربية أو غيرها من اللغات الأخرى فرنسية وإنجليزية وإسبانية وبرتغالية وإيطالية وألمانية وتركية وروسية وغيرها، مما عثرت عليه في بعض المستودعات والأرشيفات والمستندات سواء في خزائن إفريقيا أو أوروبا أو آسيا أو أمريكا . . .

وجدت نفسي أمام «مناجم» إذا صح هذا التعبير، وليس أمام خزائن : آلاف الملفات . . . وعشرات الآلاف من البطاقات والخطابات ومئات الاتفاقيات والمعاهدات والبروتوكولات، بما فيها الاتفاقيات الثنائية والاتفاقيات المتعددة الأطراف . . . والاتفاقيات المكتوبة والشفوية كذلك، مئات السفارات والبعثات لكل جهة من جهات العالم . . .

ولقد كونت المراسلات المتبادلة بيني وبين الذين خاطبتهم من رجال الاختصاص حول الموضوع . . . كونت وحدها - وهي وافرة - مصادر جديدة أضفتها إلى تلك الوثائق . . .

ولقد تناولت المقدمة كذلك موضوع أصالة الممارسة المغربية في باب التعامل الدولي، وهنا كان الحديث عن صلات الإمارات المغربية بعضها ببعض، وصلاتها هي بالذين وردوا عليها من مختلف الجهات . . .

ومن خلال الحديث عن تلك المحاور المختلفة كلها . نقف على عدد من الموضوعات العامة التي من شأنها أن تقدم الهوية المغربية على ما هي عليه أمام أنظار العالم .

فهنا نقرأ عن شعارات الدولة المغربية سواء في الدين أو في المذهب، وسواء في الأعلام والرأيات أو النشيد الوطني أو الأوسمة والجوازات . . .

ويتحدث الكتاب عن التجاوب مع الشعب وسياسته الإدارية وعن العملة المغربية وبيت المال وعن جهاز وزارة الخارجية أو (وزارة البحر) كما أصبحت تسمى في بداية عهد العلويين : عن مقرها وأول من عهد له بالمهمة وأوقات العمل وطريقة اتصال الوزير بالسلطة المركزية وعلاقاته بالسلك الدبلوماسي والقنصلي . . .

ويتحدث الكتاب عن المدرسة الدبلوماسية المغربية . . . حيث نجد عدداً من الدول تلتجىء إليه ليقوم بمساعيه الحميدة من أجل إصلاح ذات البين وبناء قواعد السلام، حيث توسط المغرب بين عدد من الدول الآسيوية والإفريقية . . . وتحققت وساطات المغرب أيضاً بين قارة وقارة حيث وجدناه يسعى للصلح بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين بعض الإيالات في إفريقيا وبين قادة المغرب الكبير . . .

وعندما يتحدث الكتاب عن السفراء المغاربة والسفارة يتعرض لأوراق الاعتماد ونوعية المرشحين للمهام الدبلوماسية، ونشاط السفراء المغاربة في الخارج، مجاملاتهم، مصانعاتهم، مبادراتهم . . . عن البعثات المتقلة والبعثات المقيمة، وعن تفوق المغرب في تنقلاته السياسية . . .

وتشير المقدمة إلى معجم الدبلوماسيين المغاربة حيث نجد أنفسنا أمام لائحة طويلة عريضة للذين كانوا مبعوثين أمناء للتعريف بالملكة المغربية، كان من بينهم سيدات مغربيات ساهمن في الحقل السياسي . . . وكان من بينهن أميرات مغربيات وأخريات من أصل غير مغربي، وسيدات كُن يعشن في بلاطات أوروبية! . . .

ويتحدث الكتاب عن الألقاب الخلافية ومعالم الحكم . . . وهنا يعرف بالفرق بين لقب أمير المؤمنين ولقب أمير المسلمين . . . كما يعرف بالتقاليد الخاصة بالمظلة التي ترفع على رأس الملك، وعن الأحجار الكريمة وموسيقى الخمسة والخمسين . . . واللباس المغربي:

الكساء والبرنس والجلباب، واعتزاز المغاربة بزيهم الوطني ورفضهم للزّي الأجنبي الذي كان يحاول بعض السلاطين القدامى إملاءه على الجمهور . . .!

ويتحدث الكتاب عن تولّي السلطة، وإشراك الشعب فيها عن طريق الاستشارة، وهنا نجد حديثاً عن البيعة ونظامها وتعليل القلقشندي لهذه الظاهرة في المغرب . . . ومن منطلق إشراك الشعب في الحكم نجد عادة إطلاع

الامة على الأحداث الكبرى المستجدة في البلاد: مثلاً وضع المسلمين بالاندلس واصطدام الأسطول الإسباني بالإنجليزي والإخبار بوصول الوفود الأجنبية واللاجئين السياسيين إلى المغرب والإخبار كذلك بالحملة والغارات... وأخيراً تحليل المقولة السائرة: «الناس على دين ملوكهم أو الملوك على دين ناسهم»...!

ولا يغفل الكتاب الحديث عن انطباع الزوار الأجانب حول سياسة الحكم في المغرب... عن قوة الحكم والحنكة والممارسة المتوارثة والاستفادة من الظروف، والتسامح والعفو والعدل والتقوى وإعطاء المثل للقدوة الحسنة... وظاهرة التخلص من عقد النقص في الحكم المغربي، فالدولة اللاحقة لا تتهيب الثناء على الدولة السابقة... المرابطون يشنون على الأدارسة والعلويون يشيدون بالسعديين...

ويتحدث الكتاب عن دور العلماء في سياسة الحكم وأنهم كانوا وراء السياسة والقرار، ومن هنا كان اهتمام السلك الدبلوماسي الأجنبي بالعلماء، وبما يصدرونه من فتاوى، وتكون فرصة لاستعراض الفتاوى التي كان لها أثر في التاريخ المغربي، فتواهم لمساعدة الأندلس، فتواهم لإنجاد طرابلس وبلاد الشام، فتاويهم لإبرام عقود الصلح، فتواهم بشجب بعض الباشاوات الأتراك الذين خذلوا المغرب وهو بصدد تحرير ملبية... فتواهم لمقاطعة المستبدين والغاصبين...!

ويخصّص الكتاب جانباً منه لموقف المغرب من قضايا حقوق الإنسان حيث نقرأ فصلاً ممتعاً عن مبدأ الإسلام حول الاستعباد... والتخلص للموقف الرائد الذي اتخذته السلطان مولاي إسماعيل لتطويق ظاهرة استرقاق الإنسان عندما حظر على الخواص التسابق لتملك العبيد... وأنقذ هؤلاء عن طريق تجنيدهم ومنحهم العيش الكريم... وهنا حديث عن الملك محمد الثالث الذي خصص ثلث الميزانية المغربية لتحرير الإنسان دون تقييد بجنسه أو دينه أو لونه أو مركزه كذلك!... وحديث عن الحملة الدبلوماسية المكثفة المخصصة لقضية افتداء الأسرى، وحرص المغرب في سائر الاتفاقيات الدولية

على التنصيص على تحريم أسر الإنسان وتعليقات بعض الصحف الأوروبية على الموقف المتحرر للسُلطان مولاي سليمان . . .

ومن هنا ينتقل الكتاب إلى أهداف السفارات المغربية في القديم، فعلاوة على التوسل لتحرير الثغور المحتلة وتصفية قضايا الحدود هناك هدف الإخبار بالانتصارات واستمزاز الرأي، واستقدام الخبراء ومصاحبة البعثات الطلابية وتفقدتها وإبرام عقود السلام والتجارة ورفع التهاني وتقديم التعازي ومواساة الدول التي تتعرض لكوارث طبيعية أو «آفات سماوية» كما يسميها ابن خلدون.

وقد كان من هدف السفارات المغربية أيضاً في بعض الأحيان شرح أهداف الدين الإسلامي والدعوة إلى اعتناقه . . . هذا بالإضافة إلى استرجاع المخطوطات العربية من المدن المسيحية ودعم الصلات مع دول المشرق وخاصة عند مواسم الحج . . .

ومن الفصول التي تعرض لها الكتاب الفصل الذي يهتم بمتعاب الدبلوماسيين ومباهجهم حيث تراهم يعايشون التقاليد الغربية ويتحملون الغربة عن الأوطان ويتعرضون لأخطار المتابعات والمصارحات والمواقف الحرجة . . . ويأتي الكتاب بنماذج لها أثر عن بعض سفرائنا القدامى، وعن دور الكرم في قضاء المهام، واعتزاز السفراء ببلادهم وغيره الملوك على سفرائهم . . .

ويخصص الكتاب جانباً منه للحديث عن المغاربة الذين سجلوا مذكراتهم في أثناء مهامهم بالخارج . . .

وهنا نقرأ حديثاً ممتعاً عن يحيى الغزال عند سفارته لدى الروم في العصور الوسطى، وعن ابن العربي في بعثته لدى البلاط العباسي وابن بطوطة في رحلته حول العالم حيث تتخذ له صورة عند زيارته للصين، وعن التمكنوتي بإسطامبول وعن أوقاي في لاهاي، وعن الوزير الإسحاق في سفرته صحبة الأمير سيدي محمد بن عبد الله، والسفير أحمد الغزال في رحلته إلى

الأندلس . . . والسفير ابن عثمان وهو بإسبانيا وإيطاليا وتركيا ويتخذ له بطاقة زيارة، ويتحدث عن الثورة الأمريكية من أجل الاستقلال! ومذكرات السفير الزباني بمناسبة بعثته كذلك لإسطامبول . . . والناصرى فى الشرق، وأهماش فى فرنسا، وابن إدريس فى باريز، والشامى والغسال فى إسبانيا، والزبدي فى دول أوروبا الأربع: فرنسا وإنجلترا وبلجيكا وإيطاليا، والكرودى فى إسبانيا وابن سليمان فى روسيا . . .

وقد تحدثت المقدمة عن مساهمة القصائد العربية فى تسجيل بعض المواقف السياسية والدبلوماسية، وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ديوان من الشعر البطولى يعج بالمواقف المثيرة واللقطات الجميلة . . . عن معركة الزلاقة فى الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين ومعركة أوقليش ثم عن غزوة الأرك فى عهد الموحدين . . . قرأنا عن شعر ابن الأبار حول تهديد بلنسية، ودعوة ابن المرحل لإنقاذ الأندلس وملحمة الملزوزى حول سفارة شانصو واستصراخ ابن مجبش لتحرير السواحل المغربية، وقرأنا عدداً من المقطعات حول مصرع ضون سياستيان ملك البرتغال فى وقعة وادي المخازن . . . وعن تحرير العرائش، وعن الدعوة لتحرير سبتة وعن مهاجمة الأسطول الأمريكى من لدن الأسطول المغربى . . . ونداء الشعراء المغاربة بعد احتلال الجزائر وعن استقبال ملك المغرب لسفير إنجلترا أو الدانمارك والنمسا . . .

وتتناول المقدمة فى المجلد الثانى ما يتعلّق بالصادرات والواردات ودور الأولى فى التعريف بالمغرب، وتكون فرصة للحديث عن السكر المغربى وسمعته العالمية، ومعامل السكر منذ عهد الموحدين . . . وعن ملح البارود والعلق الطبى والمواد الصيدلية والثروة المعدنية والحيوانية والسمكية ثم الحديث عن الواردات من أعتدة حربية وقطع غيار وشاي وقهوة وآلات للموسيقى . . .

ويتحدّث الفصل المعنون بإبرام الاتفاقيات عن اللغة العربية كوسيلة وحيدة للتعامل فى الداخل والخارج . . . وأن المغرب كان يفرض تسلم الرسائل غير المحررة باللغة العربية بالرغم من وجود قلم للترجمة بالبلاط

المغربي على مرّ العصور... وأن المغرب ظلّ يعتمد في توثيق معاهداته مع الأجنبي على التاريخ الهجري من غير أن يجافي أحياناً التقويم الشمسي كما يعتمد على استعمال الأرقام المعروفة في الموسوعات العالمية بالأرقام العربية...

ويكشف فصل المراسلات السرية عن الكتابة بالرموز السرية التي عرفت منذ العهد العبيدي الذي امتدّ في بعض الأحيان إلى مدينة فاس، ويستعرض هذا الفصل الحديث عن «الشفرة» في عهد الموحدين وعهد السعديين وعهد العلويين وعن اهتمام الدولة بسرية المراسلات ثم يقدم صورة لإحدى الوثائق المتعلقة بالموضوع مقدماً بعض النماذج...

وفي الفصل الخاص بورود السفارات ومراسيم الاستقبال يتحدث عن طريقة استقبال السفراء في العهود السابقة... وعن حديث السفراء الأجانب عن حفلات تقديم أوراق الاعتماد للعاهل المغربي...

وتكون هذه مناسبة للحديث عن اللوحات الرائعة التي رسمها الفنانون المرافقون للبعثات الأجنبية... ويختتم هذا الفصل بالإشارة إلى اللّاجئين السياسيين إلى بلاد المغرب من العرب والعجم...

وفي الفصل الذي خصص للمهدايا المتبادلة بين المغرب وغيره من الأمم نلاحظ أن بعض تلك الهدايا المقدمة من المغرب تكون من المواد الإستراتيجية كملح البارود والغنائم الحربية... ومن الهدايا الجياد والصقور وكلاب الصيد والسباع والنعام... وقد سجل من الهدايا المقدمة إلى المغرب طائفة من الساعات المختلفة الأشكال والإسطرلابات ومن الحيوانات الزرافة والفيل... واعتباراً لما ربط بين بعض المدن المغربية وغيرها من المدن الأخرى من صلات، انتقل الفصل إلى الحديث عن التوأمة بين المواقع هنا وهناك... كما تحدث عن تعود الحكومة المغربية على اقتناء العقار خارج المغرب...

ويخصص فصلاً للبعثات القنصلية الأجنبية المقيمة في المغرب ويتحدث عن اهتمامها ورعاية مصالح رعاياها ومصالح «المغاربة» الذين يتوفرون على

«حماية قنصلية أجنبية» وهنا يظهر تنافس القنصليات . . . كما تظهر بعض التقاليد الدبلوماسية المعروفة مثل إخبار المبعوث بموعد تغيبه أو عودته بعد إجازته السنوية . . . ولا يهمل الفصل تتبع المغرب للحملات العدائية ووسائل الردّ عليها . . .

ويأتي بعد هذا فصل يكمل الفصل السابق، ويتعلق الأمر بوضعية الدبلوماسيين الأجانب بالمغرب . . . وهنا يتحدث عن الحصانة، وعن حرية العقيدة والإعفاء من أداء الديوانة ومبدأ المعاملة بالمثل منذ عهد الدولة الموحدية إلى العهد العلوي الحاضر . . . ودور الملك سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) في توضيح وضعية السلك الدبلوماسي بالمغرب . . . وهنا يتحدث عن الوظيفة التي ابتكرها هذا الملك العظيم: «وظيفة قنصل من لا قنصل له» وهي الوظيفة التي استوعب بها صلة المغرب بسائر ممالك المعمورة ولو أنها لم تبعث بمندوب عنها للمغرب مثل روسيا وأمريكا . . .

ويأتي بعد هذا فصل «العواصم المغربية الدبلوماسية» الذي يبرز في الأول أن سروج الجياد كانت هي كراسي العرش المفضلة للملوك المغاربة . . . ومن هنا ينتقل إلى ذكر فاس باعتبارها العاصمة الأولى للدولة المغربية، ويأتي بنبذة مختصرة عنها، لا سيما أن المغرب كلّه قد حمل في فترة من الفترات اسم «فاس» . . . ثم يتحدث عن مدينة مراكش أم القرى التي يستمدّ منها الغربيون تسميتهم للمملكة المغربية (Marruecos). ويعد أن يأتي ببعض ما دون عنها من قول ورسم ينتقل إلى مدينة مكناس التي عجز الفرس واليونان والرّوم عن الإتيان بمثلها - على حدّ تعبير المؤرخين - قبل أن يضربها زلزال ليشبونة ١٧٥٥ - ١١٦٩ . . . ثم يتحدث الفصل عن (تازة) التي كانت - في بعض الأحيان - القاعدة التي تمتلك السيادة على سائر أطراف المغرب، ومن هنا ينتقل الفصل إلى مدينة سلا التي دوّخت دول أوروبا بالرغم من صغر رقعتها . . ! وبعدها يذكر مدينة الرباط العاصمة الإدارية الحالية التي كانت نواة القصر الملكي بها هي «الدار الكبرى» التي بناها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن . . . ولا يهمل الفصل الحديث عن عواصم دبلوماسية أخرى قامت بدور

بناءً في صنع تاريخ المغرب الدّولي ويذكر منها تطوان وبادس والعرائش وطنجة
وسبتة . . .

وينتقل الكتاب بعد هذا إلى فصل يحمل «انطباعات الزّوار الأجانب عن
مظاهر الحياة المغربية» وهنا يسوق بعض الشهادات والإفادات التي تقدم بلادنا
للعالم الآخر . . . كتبت بأقلام سفراء أوزوار أو مؤلفين باحثين . . .

وهنا نجد حديثهم عن ألعاب الفروسية ومصارعة الأسود وهواية الصيد
بالصقر الذي كان ملوك المغرب يتهادون به مع ملوك أوروبا وملوك المشرق على مرّ
العصور . . . ونجد حديثهم عن مواكب الشموع بمناسبة عيد المولد . . . وعن
أنواع الرقص . . . وعما نسميه اليوم بالأكروبّاط وعن رياضة المصارعة والمدارعة
والمقارعة ولعب الكرة . . . ومن الدبلوماسيين من صادف احتفال الطلبة في
فصل الربيع بتنصيب سلطان لهم طوال فترة معينة تتميز بمشاركة عاهل البلاد
الذي يزور دولة الطلبة على ضفاف وادي فاس ويجري «اجتماع قمة» مع
سلطان الطلبة !!!

وكانت مما تحدثت عنه تقارير الزّوار ما يتصل بالصناعة المغربية التقليدية
التي كونت لديهم معرضاً جيّداً . . . المنسوجات التي كانت، والحلي كذلك تجد
لها صدى طيباً في بلاطات أوروبا . . .

هذا بالإضافة إلى حديثهم عن آثار الهندسة الهيدرولية . . . الدواليب
المائية التي انتصبت هنا وهناك لرفع الماء إلى مستويات معينة والتي حركت قرائح
السّفراء والشّعراء . . . والساعات المائية التي ما تزال تحتفظ ببعض بقاياها إلى
اليوم دون بقية أطراف العالم الإسلامي، والعبّارات التي كانت منصوبة بين
ضفتي بعض الأودية الكبرى لربط الصلة بين الشاطئين عبر الفضاء . . .

وفي هؤلاء من حضر عيد المهرجان وعيد المولد وتحدث عن موكب
العاهل المغربي أثناء تنقلاته العادية . . . صلاة العيد . . . وصلاة الجمعة . . .
وفيهم من أشاد بأصالة المغرب في باب التعامل الدولي والمجاملات
والمكايسات . . . واحترام الالتزامات . . . وينبّه هذا الفصل في الأخير إلى

بعض المؤلفات التي تناولت الحديث عن المغرب بما فيها التي احتوت على بعض الترهات والأباطيل مما كان وراءه نازع شخصي أو وازع مغرض
وقد تناول هذا المجلد كذلك الحديث عن المحاولات المغربية المتمثلة في حرصه على «المواكبات والمبادرات» .

وهنا يتحدث الفصل عن تتبع المغرب لما يقال عنه وما يجري من حوله على الضفة الأخرى لحوض البحر المتوسط كما يتحدث عن استقدام البعثات العلمية وتشجيع الدراسات الرياضية وإنشاء المطابع وتنظيم تعريب العلوم وتعميم الدراسات الحربية، وتشيد الرباطات وإنشاء البروج على السواحل المغربية ولا يهمل الفصل شعور المسؤولين المغاربة بسوء الظن من مضاعفات النهضة الأوروبية التي كانوا يخشون أن تغزو تقاليدهم وقيمهم وتقضي على هويتهم وفي إطار تأثير المغرب بما يجري على مقربة منه يتحدث التأليف عن بدء احتفال المغاربة بعيد المولد تقليداً لاحتفال الإسبان بعيد الميلاد!

ويخصص هذا المجلد فصلاً للحديث عن الجيش المغربي الذي كان وراء الصيت الدبلوماسي للمملكة المغربية . وهنا نرى اهتمام المغرب بجهاز الدفاع ولا يغفل هذا الفصل الإشارة إلى المليشيات المسيحية التي سمعنا بأصدائها في المغرب منذ العهد المرابطي على ما يؤكد ابن الأثير كما يتحدث عن المناورات والاستعراضات واختراع الأسلحة النارية والمؤلفات الحربية والمعارك الكبرى وأصدقاء الجندي المغربي، وينتقل الفصل إلى الحديث عن الأسطول المغربي ودار الصناعة وعدد قطع الأسطول وأنواع تلك القطع والموقف من القرصنة الأوروبية والحديث عن الملك محمد الثالث وفكرة إعادة دار الصناعة بالاستعانة بالخبرة العثمانية والتخطيط لوصول الأسطول إلى الهند وأمريكا، ثم تواطؤ الدول الأوروبية على الأسطول المغربي مع معاهدة إيكس لاشابيل

وفي سبيل إعداد الجيل الذي يضطلع بمسؤولية مغرب الغد وجدنا ملوك

المغرب يقررون إرسال البعثات الطلابية ويعملون على الاستفادة من الخبرة الأجنبية ولكن دون أن يغفلوا عن المضاعفات التي قد تصحب تلك الاستفادة، وهكذا وجدنا الوفود الطلابية في مصر وفي دول أوروبا، إنجلترا وإيطاليا، وإسبانيا وفرنسا وبلجيكا، وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية وجبل طارق كذلك وقرأنا عن تفقد سفرائنا للطلبة المغاربة في الخارج وقرأنا عن نماذج من إجازة طلابنا في أوروبا ومذكرات بعض الطلبة

ويتحدث الفصل بعد هذا عن وسائل المواصلات في اهتمامات الأجانب، وتكون مناسبة للحديث عن تاريخ البريد في المغرب والظهير الأول الذي صدر لتقنين توزيع البريد منذ عام ٥٤٣ = ١١٤٨ والوسائل التي يستعين بها «الرقاص» أي موزع البريد وحرص الحكومة على سرية المواصلات ثم المبادرة الحاسمة لإنشاء أول إدارة عصرية للبريد عام ١٣٠٨ = ١٨٩١ وظاهرة إنشاء مراكز بريدية أجنبية في بعض الجهات المغربية واستيلاء الحكومة المغربية على هذه المراكز ثم ظهور مجموعة لطوابع البريد

وبعد هذا يتناول الكتاب الحديث عن «موضوع الصحافة في المغرب والنشاط الدبلوماسي» وهنا نقف على دور «البرّاج» في الحياة الاجتماعية المغربية وعن أول محاولة لإصدار نشرة إخبارية، والمراسلين الأجانب ثم عرض لأسماء عدد من الجرائد التي كانت تظهر بالمغرب، ثم إنشاء مطبعة طنجة، وتبع أقوال الصحف الأجنبية - على ما أشرنا - ومقاومة الاختلاق والزيّف تغطية الصحافة لأعمال مؤتمر مدريد ١٢٩٧ = ١٨٨٠ ومؤتمر الجزيرة الخضراء عزم الحكومة المغربية على إنشاء صحيفة وطنية

ويتحدّث فصل آخر عن «صدى اليهود المغاربة في الحقل الدبلوماسي والسياسي»، وهنا نعرف عن المناصب المهمة التي كان يشغلها اليهود وبعد أن يتحدّث الفصل عن اليهود في عهد الأدارسة والمرابطين والموحدين الذين تدخلوا لدى جمهوريات المتوسط لصالح بعض اليهود، يتحدّث الكتاب عن «الملاح» أي الحارة التي يسكنها اليهود ولا يهمل الفصل رأي ابن عبد

الكريم المغيلي في اليهود أيام بني وطاس . . . ثم الحديث عنهم أيام السعديين والعلويين ويأتي الكتاب بالبيان التاريخي للسلطان مولاي عبد الرحمن ١٢٥٧ = ١٨٤٢ وبالمرسوم الملكي عام ١٢٨٠ = ١٨٦٤ ، والفتوى بإنشاء محاكم خاصة باليهود، ويختتم الفصل بالحديث عن تعلق اليهود بهويتهم المغربية وإسهامهم في الحركة الوطنية . . .

ثم يأتي فصل «الجالية المسيحية في خدمة الدولة المغربية على الصعيدين الداخلي والخارجي» . . . وهنا نقرأ عن استعانة المرابطين بالموظفين الأجانب، واعتناق الإسلام من طرف عدد من القواد المسيحيين ثم حديث عن الأجانب الذين قاموا بدور سفراء عن المغرب . . . والتجار المسيحيين بالمغرب، متابعة الحكومة للذين يقومون بحركة التنصير . . . بعثات المجاملة إلى البابا اقتداءً بالأسلاف المتقدمين . ويأتي بعد هذا فصل «الأمثال والتعابير» في الاستعمال السياسي . . . وردت بعض هذه الأمثال في رسائل سياسية أو حوار دبلوماسي أو نطق شعبي . . . أكثر من مائة مثل فيها المثل الدارج وفيها المقتبس من اللسان العربي . . .

ويختتم هذا المجلد بالحديث عن «المائدة المغربية في حديث الواردين»، وهنا نعرف عن المطبخ المغربي كمظهر من المظاهر الحضارية . . . والمؤلفات المغربية القديمة عن الطبخ المغربي . . . ويستعرض الكتاب عدداً من الصّحون المغربية الأصيلة: الحريرة، الكسكس، البسطيلة، المروزية الصنهاجي . . . ثم يتحدث عن المجبنات والحلويات والمشروبات . . . والأناي ومبدأ ظهوره، وتقاليد شربه، وأخيراً العطور في الحياة المغربية واستهلاك المغاربة للعود القماري . . .

ولقد تناول المجلد الثالث من الكتاب (المغرب في حديث الأقدمين) . . . هيرودوت - بلين الأكبر - بطوليموس . . . المغرب ملتقى الحضارات، العلاقات بين الممالك المحلية والأمم المجاورة على الضفة الأخرى من الحوض المتوسط، علاقات المغرب بالفينيقيين والقرطاجيين، علاقات

المغرب بالرومان وبداية الحديث عن المملكة المغربية، والسفارة الرومانية إلى بوكوس - قيصر وبوكوس الثاني، التبادل التجاري مع الخارج . . . والمغرب تحت حكم يوبا الثاني، وعلاقات بطوليمي مع الرومان، وتأثير الرومان في المغرب، بين المغرب والوندال، الحديث عن اكتشاف المغاربة لأمريكا في ذلك التاريخ، المغرب والروم البيزنطيون، المغرب القديم من خلال النصوص العربية، المغرب وظهور الإسلام، سفارة النبي إلى قيصر الروم وعلاقة القيصر آنذاك بالمغرب - المغرب في عهد الخلفاء والولاة، فتح بلاد المغرب - عقبة بن نافع في السودان والسوس - معاهدة بين عرب قيس وبربر زناتة - العرب في اتجاه القارة الأوروبية - اتفاقية ابن نصير - الإمارات المغربية الأولى: إمارة بني صالح في نكور، إمارة بني عاصم في سبتة وبني مدرار في سجلماسة وبني رستم في تاهرت وبرغواطة على ساحل المحيط الأطلسي .

وقد تناول المجلد الرابع مقدم الإمام إدريس وظهور أول دولة مغربية، فتوحات إدريس، بيعة إدريس الثاني والعلاقات الخارجية للدولة الإدريسية، بالإمارات المجاورة، وبالخلافة العباسية، وبأهل مصر وبعثة من هارون الرشيد لتصفية إدريس الأول! صلة بيزنطة بالغرب الإسلامي، سفارة إدريسية لدى شارلمان؟ علاقات المغرب بالعبديين . . . الإمارات المغربية والخلافة الأموية بالأندلس - صلوات بلاط الأندلس بإمارة برغواطة - موقف الأدارسة من الأمويين بعد نزول هؤلاء في سبتة عام ٣١٩ = ٩٣١ - النجدة المغربية لصد غارات القرامطة على الكعبة . . . الأدارسة بين الصراع العبدي والأموي على المغرب - العلاقات المغربية الأندلسية بعد ابن أبي العافية، محاولة الناصر ربط علاقات بينه وبين العبديين . . . سقوط البصرة المغربية في يد الأمويين والظفر بالحسن ابن كنون - في قرطبة بين زيري بن عطية والمنصور بن أبي عامر . . . تنافس بين بني مغراوة وبين بني يفرن، العلاقات المغربية بالأمم الأخرى، عبر «المعسكرين» الأموي والعبدي . . . علاقات المغرب بليون ونافار وقشتالة وبرشلونة - علاقات المغرب بقيصر وملك الفرنج وإمبراطور ألمانيا - علاقات المغرب بجنوة وسائر الجزر المتوسطية .

وتناول المجلد الخامس الحديث عن المرابطين وإمبراطورية غانة وصلة إفريقيا بالإسلام عبر المغرب، دور عبد الله بن ياسين، علاقات المرابطين بالأندلس، نماذج من الخطابات المتبادلة بين ألفونسو والمعتمد سفارة ملوك الطوائف لدى يوسف بن تاشفين، معركة الزلاقة وظروفها، دور المرابطين في تطويق الحروب الصليبية بالشرق، المرابطون ومملكة بني هود، معركة أوقليش أو الكونتات السبعة، اجتياز الأمير علي بن يوسف إلى الأندلس افتتاح قلعة شنترين والجزر الشرقية، تدهور العلاقات بين المرابطين وبني هود، العلاقات بين المرابطين وبين الصنهاجيين بتونس، المرابطون في نجدة الزيريين ضد روجي صاحب صقلية، علاقات المرابطين مع بني حماد وتمهنة يوسف بن تاشفين للمنصور بن الناصر بن علناس، العلاقات بين المرابطين وصقلية، علاقات المرابطين بالجمهوريات الساحلية: بيزة، جنوة، مرسيليا، والمرابطون والبابا، المبادئ العامة للاتفاقيات المبرمة مع الأمم النصرانية، الاتفاقيات الشفوية بين المغرب والأمم المجاورة، العلاقات بين المرابطين والعباسيين، العلاقات مع أمراء القاهرة، العلاقات بين المرابطين والفاطميين، استمرار العلاقات المرابطية العباسية، محاولة توحيد مداخل الشهور بين المشرق والمغرب.

ويتناول المجلد السادس الذي يتدّى بعلاقات الموحدين مع الأندلس واستفادة الموحدين من خلافت المناوئين لهم، معركة الأرك... الخليفة الناصر ووقعة العقاب، العلاقات المغربية الأندلسية أيام المستنصر والعاقل والمأمون والسعيد والرشد والمُرْتَضَى... الخلافة الموحدية وباقي ممالك إفريقيا، والعلاقات بين الموحدين والكرسي الرسولي، علاقات دولة الموحدين وجمهورية بيزة بما صاحبها من معاشات ومواربات وانفراجات، العلاقات بين المملكة المغربية وبين جنوة وفرنسا، صقلية، البندقية، أرغون، الممارسة العامة للتجارة الأجنبية بأقطار المغرب، العلاقات بين المملكة المغربية وبين إنجلترا، النمسا، اليونان في عهد الموحدين، بين الخلافة الموحدية والخلافة العباسية في المشرق، مقام سفارة صلاح الدين بالمغرب في عهد المنصور

الموحدى وظاهرة الاتصال المستمر بين الجهتين . . .

ويتناول المجلد السابع علاقات بني مرين مع أقطار المغرب الكبير، وعلاقتهم بالممالك الإفريقية - علاقات المملكة المغربية بالأندلس: قشتالة وغرناطة، الاتصالات بين غرناطة وفاس، العلاقات بين المملكة المغربية ومملكة أرغون، العلاقات المغربية البرتغالية - الغارة على لاقش واحتلال سبتة - المغرب ودول حوض المتوسط: جنوة، البندقية، فلورانس، بيزة - العلاقات المغربية مع البابا - صقلية، إنجلترا، فرنسا، ميورقة، العلاقات بين المغرب والمشرق - التواطؤ على المغرب في عهد بني وطاس، العلاقات المغربية البرتغالية في عهد بني وطاس، علاقات البرتغال بالمدن المغربية، العلاقات بين المغرب والدول الأوروبية في عهد الوطاسيين، علاقات بني وطاس بالمغرب الأوسط والأدنى وباقي ممالك إفريقيا، العلاقات مع العثمانيين في بداية ظهورهم، المحاولات الأخيرة لإنقاذ الموقف بالأندلس ولجوء أمير غرناطة إلى مملكة فاس.

وتناول المجلد الثامن علاقات المغرب بالعثمانيين وبلاد المشرق في عهد السعديين، وعلاقات السعديين بالبرتغال، والعلاقات المغربية الإسبانية في عهد السعديين، والعلاقات المغربية الفرنسية، والعلاقات المغربية الإنجليزية، وعلاقات المغرب مع الطوسكان، وبين فاس وفلورانس في عهد الدولة السعدية، علاقات المملكة المغربية مع باقي ممالك إفريقيا، العلاقات المغربية مع البلاد المنخفضة في عهد السعديين.

وتناول المجلدان التاسع والعاشر الفترة الأولى للدولة العلوية:

وهكذا يتناول المجلد التاسع صلات المملكة المغربية بالإمبراطورية العثمانية حيث نقرأ عن التوتر بين المغرب وفرنسا وأثره على الصلات بين الجيران! واستنجد تركيا بالمغرب ضد احتلال نابليون لمصر وينتقل هذا الفصل إلى علاقات المغرب ببلاد السودان من خلال الرسائل والتقارير . . .

ثم يتناول هذا المجلد العلاقات المغربية الفرنسية في بداية الدولة العلوية ويتحدث عن (اتفاقية ابن حدو - لوفيفر) في عهد السلطان مولاي إسماعيل

وخطاب الملك لويز الخامس عشر للسلطانة خنثة كما يتحدث عن «الأميرة الضاوية» . . . وموقف مولاي سليمان من احتلال نابليون لمصر . . .

وينتقل المجلد إلى العلاقات المغربية الإسبانية مبرزاً مشكلة الثغور المغربية المحتلة والسفارات المتبادلة بين البلدين . . . والاتفاقيات المغربية الإسبانية وحضور السفير ابن عثمان في الملف المغربي الإسباني ومحاولات السلطان مولاي سليمان لاسترجاع سبته . . .

ثم يتناول الكتاب العلاقات المغربية البرتغالية ابتداءً من العهد الإسماعيلي إلى تحرير الملك محمد الثالث مدينة الجديدة وتدشين عهد جديد مع مملكة البرتغال، والمساعي الحميدة المغربية بين الجزائر والبرتغال والموقف في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن . . .

ثم العلاقات المغربية الإنجليزية وسفارة ابن حدو لدى الملك شارل الثاني ومشاركة المغرب في المؤتمر الطبي الدولي بطنجة! وسفارة ستيوارت للمملكة المغربية ثم علاقات الملك محمد الثالث بالملك جورج الثالث والمعاهدة المغربية الإنجليزية في عهد السلطان مولاي سليمان، وتأتي بعد هذا علاقات المملكة المغربية مع البلاد المنخفضة، وحضور السفارة المغربية أمسية ساهرة في بلاط (لاهاي) في عهد السلطان مولاي إسماعيل ورسالة السلطانة خنثة إلى الولايات العامة وتجديد الاتفاقيات المغربية الهولندية ثم سفير السلطان مولاي سليمان إلى (لاهاي).

ويأتي بعد هذا ملف العلاقات بين المغرب من جهة وبين بروسيا والنمسا وروسيا، حيث نقرأ عن صدى الاصطدام النمساوي العثماني في المملكة المغربية وسفارة الملك محمد الثالث إلى جوزيف الثاني بفيينا، والمساعي المغربية الحميدة بين تركيا وخصومها؟

ثم الحديث عن العلاقات بين الإمبراطورة كاثرين الثانية والملك محمد الثالث والمراسلات بين العاهل والإمبراطورة . . . ثم يأتي فصل العلاقات المغربية مع الدانمارك والسويد والنرويج فنعرف عن بعثة الملك فريدريك

الخامس إلى المغرب وتهادي الصقور بين ملوك المغرب وملوك الدانمارك، ثم عن المفاوضات المغربية السويدية وتجديد الاتفاقية في عهد السلطان مولاي سليمان وانضمام النرويج إلى السويد.

ويعالج هذا المجلد علاقات المغرب مع جنوة وطوسكان والبندقية وسردينية وموناكو وصقلية ونابولي. . . فنقرأ عن خطابات السلطان مولاي إسماعيل لحاكم جنوة وعن الاتفاقية الجنوبية في عهد الملك محمد الثالث. . . ومن هنا ينتقل إلى الحديث عن سفارة ابن عبد الملك في طوسكانا، واتفاقية المغرب مع البندقية، ومع صقلية ونابولي. . . وينتهي هذا الملف بالحديث عن حاضرة الفاتيكان واستمرار الملوك العلويين في مساعدة مبعوثي الكرسي الرسولي.

ويتحدث هذا الفصل أيضاً عن علاقات المغرب بالولايات المتحدة الأمريكية فيهتم بالمراسلات بين الكونكريس والبلاط المغربي كما يستعرض الاتفاقية المغربية الأمريكية وإهداء الرئيس الأمريكي نسخة من الدستور الأمريكي للعاهل المغربي، ثم العلاقات المغربية الأمريكية في عهد السلطان مولاي سليمان. . . ورسالة السلطان مولاي عبد الرحمن إلى السلك القنصلي.

ويختتم هذا المجلد بالحديث عن صلة المغرب بدوبروفنيك ومالطة واليونان، وهنا نقرأ عن وفرة المراسلات حول هذه المواضيع وعن مذكرات السفير ابن عثمان في مالطة، وخطاب الباب العالي للسلطان مولاي سليمان بشأن التوصية خيراً بالجزر اليونانية التي انفصلت عن البندقية. . .

أما المجلد العاشر. . . فيتتدىء بالحديث عن علاقات المغرب مع غيره من الدول في أعقاب انتزاع فرنسا للجزائر من يد الأتراك. . . وهنا يستعرض أولاً موقف فرنسا من عون المغرب للجزائر وتدهور العلاقات بينهما مما أدى إلى موقعة إيسلي، ثم اثر هذه الأحداث على تطاول الإسبان على تطوان والتجاوزات الفرنسية للحدود المغربية. . . والمؤامرات ضد المغرب. . .

وبسط الحماية الفرنسية على المغرب!

ثم يتناول الملف الثاني العلاقات مع إسبانيا والبرتغال بعد احتلال فرنسا للجزائر وأثر هذا على احتلال إسبانيا للجزر الجعفرية .

والمساعي الدبلوماسية لتجنب الحروب . . . ثم التنسيق بين فرنسا وإسبانيا، واحتلال هذه الأخيرة لشمال المغرب! وبعد العلاقات الودية بين المغرب والبرتغال . . . وينتقل المجلد إلى الحديث عن علاقات المغرب بإنجلترا فنقف على الاتفاقية المغربية الإنجليزية عام ١٢٧٣ = ١٨٥٦ وتصفية شركة ماكينزي في جنوب المغرب، إلى الاتفاق البريطاني الفرنسي حول بسط الحماية! ثم ينتقل الملف إلى العلاقات مع ألمانيا فنقرأ عن الاتفاقية التجارية بين البلدين لعام ١٣٠٧ = ١٨٩٠ وزيارة الإمبراطور كيوم الثاني للمغرب والاتفاق الألماني الفرنسي حول بسط الحماية . . .!

ويأتي بعد هذا فصل العلاقات بين المغرب وإيطاليا فنقف على مراسلات العاهل الإيطالي مع العاهل المغربي والسفارة المغربية لإيطاليا، وقنصلية الصّاردو بطنجة، والاتفاقية المغربية الصقلية . . . وينتقل الفصل إلى علاقات المغرب بحاضرة الفاتيكان . . . والسفارة المغربية لدى البابا ليون الثالث عشر ١٣٠٤ = ١٨٨٧، ثم يختم بعلاقات المغرب باليونان . . .

ويأتي فصل العلاقات بين المغرب وبلجيكا وهولاندا والنمسا والداينمارك والسويد والنرويج، ونقف على نصوص الاتفاقية المغربية البلجيكية عام ١٢٧٨ = ١٨٦٢ وتبادل السفارات بين الدولتين . . . ثم الاتفاقية المغربية الهولندية . . . وتصلّب الموقف النمساوي بعد انتزاع فرنسا للجزائر من يد الأتراك ثم الاتفاقية المغربية الداينماركية والسويدية . . .

ثم يأتي فصل الحديث عن علاقات المغرب بروسيا القيصرية فيشير محاولة إقحام المغرب في الحلف الروسي الأمريكي ويتحدث عن زيارة الأمير فيازيمسكي للمغرب وتبادل السفارات بين الروس والمغرب قبيل بسط الحماية الفرنسية على المغرب . . .

وينتقل هذا الفصل إلى الحديث عن العلاقات المغربية الأمريكية فيتعرض للاتفاقية الأمريكية المغربية عام ١٢٥٢ = ١٨٣٦ وموقف المغرب من الحركة الانفصالية في أمريكا، ثم محاولة حلف مغربي أمريكي لحماية استقلال المغرب ويختم الفصل بعلاقات المغرب مع دول أمريكا الوسطى والجنوبية .

وهنا يأتي الفصل الذي يخصص للحديث عن الاتفاقيات المغربية المتعددة الأطراف من التي أشير لها في الفصول السابقة: اتفاقية المجلس الصحي ١٢٥٦ = ١٨٤٠ واتفاقية منار أشقار ١٢٨٢ = ١٨٦٥، واتفاقية مدريد ١٢٩٧ = ١٨٨٨، واتفاقية الجزيرة الخضراء ١٣٢٣ = ١٩٠٦ .

ويختم هذا القسم من المجلد العاشر بعلاقات المغرب بالعثمانيين والإيالات التابعة لهم وبيماره حيدر آباد، والسودان وبقية البلاد الإفريقية

وفي القسم الثاني من هذا المجلد يتحدث الفصل الأول عن الظروف الاستثنائية التي عاشها المغرب بين فرض الحماية واسترجاع الاستقلال، وهنا يستعرض ملحمة الأربعم والأربعين سنة التي انتهت بنفي الملك محمد الخامس، ثم عودته إلى عرشه حاملاً معه بشرى انتهاء عهد الحماية واستعادة الاستقلال

وهنا يتناول الفصل الحديث عن «المغرب المستقل في الأسرة الدولية» وهو يبتدىء باستئناف العلاقات على أساس جديد بين المغرب ودول أوروبا الغربية بما فيها إسبانيا وفرنسا وإنجلترا وبلجيكا إلى آخر اللائحة الطويلة التي رتبت حسب تاريخ تقديم أوراق الاعتماد للعاهل المغربي ثم يأتي الحديث عن الصلات مع الدول الشرقية: يوغوسلافيا والاتحاد السوفييتي إلخ

وبعد أن يأتي الحديث عن علاقتنا مع الفاتيكان نجد الحديث عن علاقة المغرب المستقل بالجامعة العربية ومع الدول العربية، وهنا نجد الملك محمداً الخامس يتحدث عن الهوية العربية للمغرب، كما نجد الملك الحسن الثاني في القمة العربية الأولى بالقاهرة واحتضان المغرب لمؤتمرات القمة العربية

وينتقل الفصل إلى الحديث عن علاقات المغرب الإفريقي بباقي الدول الإفريقية انطلاقاً من ميثاق الدار البيضاء وانتهاء بمنظمة الوحدة الإفريقية، علاوة على العلاقات الثنائية مع الدول الإفريقية . . .

ثم ينتقل إلى الحديث عن علاقات المغرب بالولايات المتحدة الأمريكية وبدول أمريكا الوسطى والجنوبية والشمالية، وعلاقات المغرب بدول آسيا: تركيا - إيران - باكستان - بانغلاديش - الهند - الصين - كورسيكا - أندونيسيا - ماليزيا - الفلبين . . . ويختم هذا الملف بعلاقات المغرب مع أستراليا. ويأتي بعد هذا الفصل الأخير الذي يتناول علاقات المغرب بالمنظمات الدولية وهنا نقرأ عن خطاب الملك محمد الخامس في الأمم المتحدة وعن تحمل الملك الحسن الثاني لأداء رسالة والده في المنتظم الدولي.

ويتحدث هذا الفصل عن المغرب ودول عدم الانحياز وتلبية الدول الإسلامية جميعها لأول مؤتمر إسلامي ينعقد بالرباط بدعوة من الملك الحسن الثاني ثم يتحدث عن علاقة المغرب بالسوق الأوروبية المشتركة، والاتفاقيات الدولية بين أمس واليوم . . .

* * *

هذا وإيماناً بجدوى الصورة والرسم على موضوع كهذا - فقد اهتم الكتاب باختيار ما يناهز الألف رسم من بين مئات الرسوم التي وقفت عليها، وذلك من أجل جعل القارئ في الجوّ الذي رجوته له . . .

وهكذا فقد زودت الكتاب بثروة هائلة من اللوحات والرسوم التي تتصل بمختلف الدول المتعاقبة . . .

فهناك وثائق ومستندات تمس علاقات المغرب بالعالم العربي والإسلامي، وروسيا وبلجيكا، ودوبروفنيك والإيالات العثمانية وإنجلترا وألمانيا واليونان والهند والولايات المتحدة الأمريكية والنمسا وآسيا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا والفايكان . . هذا بالإضافة إلى الوثائق الخاصة بالحدود المغربية . . .

وقد زودت الكتاب بخرائط أصيلة لم يسبق نشرها واعتمدت في تدقيقها على (مصلحة الخريطة) حيث جعلت لكل فترة من فترات التاريخ خريطة تمثل المساحة والمواقع التي كانت تعرفها الفترة، ابتداءً مما قبل الفتح الإسلامي إلى العهد الإدريسي وأيام المرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين، وذلك لأضع القارئ في الصورة الحقيقية للعهد الذي أتناول الحديث حوله . . .

ولقد جعلت لكل مجلد شارة على الغلاف يميز بها . . . كانت هذه الشارات تلخص حدثاً من الأحداث الهامة التي مر بها القارئ أثناء قراءته لذلك المجلد، كما اخترت لكل مجلد وثيقة مطوية هامة مما اعتبر عندي محطة تستحق الوقوف والاستيقاف!!

* * *

ومع هذا كله فقد شعرت بضرورة الحاجة إلى إعداد أجزاء إضافية أخرى أضمتها (ملاحق) تستوعب نصوص بعض الاتفاقيات والخطابات . . . وأذكر فيها بعض الموضوعات التي أشرت إليها في غضون الكتاب كمعجم السفراء وسجل الأمثال . . .

يضاف إلى هذا أنني أشفع كل هذه المجلدات بأجزاء تحتوي على (فهارس) للمجلدات العشر تكون تلك الفهارس بمثابة المفتاح لكل ما يوجد بين دفتي الكتاب . . . فهناك فهرس الأعلام البشرية (بمن فيهم الدبلوماسيون المغاربة وغيرهم) . . . والأعلام الجغرافية والأمم والشعوب والقبائل والجماعات، وهناك فهرس للمصطلحات، وفهرس للتوقيعات والأختام، والأيام والمواقع والأحداث وفهرس الظواهر والوثائق والاتفاقيات مرتبة حسب الزمن الذي تمت فيه، وفهرس الخطب والرسائل والفتاوى مرتبة كذلك حسب زمنها، وفهرس الكتب والمخطوطات والرحلات، والمصادر الأجنبية، والمحاضرات والمقالات والبحوث والندوات، والمجلات والجرائد، والأمثال والحكم والأقوال السائرة، فهرس القوافي، وفهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وفهارس الصور والرسوم والرسائل . . . ثم

التصويبات . . .

لقد كان قصدي من كتابة هذا التاريخ أن أسهم في التعريف ببلادي
التي قدمت للمجموعة الدولية عبر التاريخ عطاءً أسهم في ازدهار الإنسانية
ورخائها ورفاهها . . .

كُتَيْبٌ مَخْطُوطٌ لِلسَّلَفِيِّ حَمَلًا بِاللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ جورج فاجدا

نقله إلى العربية وعقب عليه

مُحَمَّدُ خَيْرُ الْمَعَايِي

يعود اهتمامي بالسَّلَفِيِّ وكتبه إلى سنتين خلتا؛ كان ذلك عندما حصلت على نسخة مصورة لمخطوطة كتاب «جوهرة الغواص وتُحْفَةُ أَهْلِ الْاِخْتِصَاصِ» لمحمد بن علي المعروف بابن عَرَّاقِ المتوفى سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م. والمخطوط المذكور محفوظ في مكتبة برلين برقم (٤٢٧) وهو عبارة عن كتب في علوم متنوعة جمع بينها ابن عَرَّاقِ.

واحدٌ من تلك الكتب للسَّلَفِيِّ؛ عنوانه «غريب لغات القرآن» ورقمه ضمن مجموع ابن عراق (٦٩٨) وليس هو في حقيقة الأمر إلا نسخة من «كتاب اللغات في القرآن» الذي نشره الدكتور صلاح الدين المنجد في القاهرة «مطبعة الرسالة ١٩٤٦» وأعاد طبعه مرة ثانية في بيروت «دار الكتاب الجديد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م» عن نسخة محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق. ضمن مجموع رقمه هناك (٢٧٣) وفي المجموع كتب وأجزاء شتى كتابنا هو الخامس بينها.

والكتاب في طبعته منسوب لابن حسنون المقرئ المتوفى سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م روايته عن ابن عباس، ومن هذا الكتاب أيضاً نسخة أخرى في مكتبة تشستر بتي - دبلن رقمها هناك (٤٢٦٣) وعنوانها «كتاب لغات القرآن» وهي بتهذيب محمد بن علي بن المظفر الوزان الحنبلي (عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري). ويشير العلامة فؤاد

(ص ٦٨) من الكتاب نفسه يذكر الكتاب في عداد كتب ابن عباس الذي نجد له كتاباً آخر عنوانه «غريب القرآن» ومخطوطته في عاطف أفندي (٨/٢٨١٥ من ١٠٢-١٠٧) بتهديب عطاء بن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م (انظر ص ٧٤ من المصدر نفسه).

وفي الصفحة (٩٠) من تاريخ التراث نجد كتاب «غريب القرآن» هذا منسوباً إلى مَنْ سماه (أبو جعفر بن أيوب المقرئ) ويقول في ترجمته: «كان تلميذاً لعبد الملك بن جريج، ومن ثمة عاش أبو جعفر في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. وألّف كتاب غريب القرآن: عاطف ٨/٢٨١٥ من ١٠٢-١٠٧) وقد وَجَدْتُ أبا جعفر هذا واسمه (محمد بن أيوب) يروي كتاب «لغات القرآن» في نُسخَتَيْه البرلينية والإيرلندية المذكورتين آنفاً يرويه عن عبد الملك بن جريج. وأنا أظن الآن أن كتاب غريب القرآن هذا نسخة أُخرى من الكتاب الذي نجده في دمشق وبرلين ودبلن وتركيا، وهو ظنُّ لا أقطع فيه بانتظار وصول مخطوطتي تركيا اللتين طلبتهما منذ ما يزيد على عام وأرجو أن يُيسِّرَ الله تعالى وصولهما لنستجلي حقيقة الأمر في ذلك.

وَوَجَدْتَنِي مدفوعاً للبحث عن مؤلفات السلفي مخطوطها ومطبوعها، وبدا لي أن المطبوع منها ليس إلا غيضاً من فيض فَعَزَمْتُ على العناية بجمع كتبه المخطوطة وهانذا اليوم أقدم للقارئ العربي تحليلاً قام به أحد المستشرقين المهتمين بالمخطوطات العربية هو جورج فاجدا. لواحد من كتب السلفي عنوانه «الوجيز في ذكر المُجاز والمُجيز» وقد نُشِرَ هذا التحليل في نشرة معهد البحث في النصوص وتاريخها، العدد ١٤، سنة ١٩٦٦ م.

Bulletin de l'institut de recherche et d'Histoire des textes analysé par G. Vajda, n°14, 1966

إنَّ نقل هذا التحليل إلى العربية يعطي المهتمين فكرة عن هذا الضرب من

التأليف، ويبوح بأسرار جديدة حَوَّل حركة الرواية والإسناد في تاريخ التراث العربي .

والكتاب في نسخته التامة المحققة موجود لدي وبانتظار أن يُتاح له الظهور بين الناس مطبوعاً يطيب لي أن أُخصَّ مجلة مجمع اللغة العربية الأردني الموقر بهذا العمل ليكون طريقاً إلى فهم الكتاب حين ظهوره، ورأيت من تمام العمل أن أُعقب على العمل بما تجمع لدي من ملاحظات خلال العمل في الكتاب الذي يَضُمَّ عَدَدًا من أسماء الأعلام التي لَمْ أصل بَعْدُ إلى التحقق منها لأنني آليت على نفسي أن أُحَقِّق في اسم كُلِّ علمٍ قبل إخراج الكتاب ليأتي واضحاً مفسراً ما أمكّنتني ذلك والله من وراء القصد فهو الموفق للصواب والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وخير المرسلين .

تضمّ المجموعة الوافرة من المخطوطات العربية التي تفتنيها مكتبة «تشستر بتي Chester Beatty» في مدينة «دبلن = Dublin» كُتِباً مخطوطاً، ونُسَخَتْه وحيدةً حتّى يوم الناس هذا، ومؤلفه هو الحافظ أحمد بن محمد السلفي (١). يتضمّن هذا المؤلّف إشارات مفيدة حول تصوّر المؤلّف الذي يُعدّ مرجعاً في هذا المجال، للطرق الجائزة في نقل النصوص، كما يتضمّن معلومات حول الأشخاص الذين كاتبوه.

وسنحاول تحليل الكُتَيْب في هذين الاتجاهين.

عنوانه هو: **الْوَجِيزُ فِي ذِكْرِ الْمُجَازِ وَالْمُجِيزِ (٢)**، ويشغل الأوراق من ١ إلى ٢٠ من المجموع العربي رقم ٤٨٧٤ من مجموعة «تشستر بتي» (٣).

ولد السلفي في أصبهان من بلاد فارس، واستقرّ بعد تجوال طويل عبر الشرق الإسلامي في الإسكندرية حيث أمضى ما يزيد على ثلاثين عاماً في نهاية حياته العلمية الحافلة، وإنّ قسماً كبيراً من مؤلفاته التي تندر الاستفادة منها حتّى يوم الناس هذا جاء على شكل مُعْجَمَاتٍ منسوقة على حروف التهجي للشيوخ الذين حصل منهم على إجازة بالرواية (٤) ليصبح هو بدوره،

(١) عاش بين سنتي ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م - ٥٧٦هـ / ١١٨٠م؛ انظر بروكلمان (بالألمانية ط.

ثانية) ١/٤٥٠ وملحقه ١/٦٢٤، والأعلام، للزركلي، ط. ثانية ١/٢٠٩.

(٢) فيما يخص موضوع «الإجازة بالرواية» انظر مقال كاتب المقال المنشور بعنوان «إجازة

IDJAZA» في الموسوعة الإسلامية (باللغة الفرنسية) ط. ثانية، الجزء الثالث.

(٣) انظر: Arthur J. Arberry, A Handlist of the Arabic. manuscript, vol. vi.

قائمة المخطوطات العربية في تشستر بتي = وما بعدها Dublin 1963, p. 125

ويحتوي المجموع أيضاً على كُتَيْبٍ آخر، لناسخ آخر كُتِبَ فُذُّ درسه بالتفصيل في مقالتنا

«سلسلة المسانيد لمنصور بن سليم» في المجلة الأسيوية ١٩٦٥ ص ٣٤١ - ٤٠٦

ونحرص هنا على تجديد شكرنا لإدارة مكتبة تشستر بتي التي زودتنا «بميكروفيلم»

للمخطوطة وللسيد آرثر جورج أربري الذي سمح لنا برحابة صدر استخدام الكُتَيْبِين.

(٤) يمكن تكوين فكرة عن هذا النوع من المؤلفات بمراجعة كتابنا (معجم شيوخ عبد المؤمن

الدمياطي) (مطبوعات معهد البحث في النصوص وتاريخها، وثائق، دراسات ومعاجم، ٨)

باريس، ١٩٦٢.

إنَّ صَحَّ التعبير، منطلقاً للروايات في الأجيال التالية.

وَقَدْ سَبَقَ للسلفي في معجمه الذي تَرَجَّمَهُ بالمعجم المؤرخ (٥) أن ذكر، كما يُصَرِّح بذلك، الشيوخ الذين كتب عنهم بعض الملاحظات المتعلقة بالحديث وإن لم يكونوا عارفين بقوانين الرواية والتحديث. وَسَمَّى من استفاد منه فائدة فقهية أو أدبية أو زهدية أو استنشدته فأنشده شيئاً من الشعر. . إلخ.

وهو في الكُتَيْبِ موضوع البحث يؤثر أن يُسَجَّلَ أسماء أولئك الذين كاتبوه دون أن يكون قد قابلهم، ودون أن يدخل بلادهم؛ غير أنه قد خالف الطريق الذي قد سلكه في المعجم المؤرخ الذي رَبَّه على حروف التهجي كاملة إذ وجد في الذين أخذ عنهم شفاهاً كثيرة، وفي المجيزين بخلاف ذلك قِلَّةً فرأى حينئذٍ ذكر شيوخ كل بلد على حدة.

ويتفحصُ المؤلف - قبل الدخول في لبِّ موضوعه - جواز الإجازة وقيمتها، ليكون تمهيداً، أما أمرُ جوازها فيطرحه المؤلف كحقيقة لا جدال حولها، ويقسو بكلامه وإن كان تلميحاً، على أولئك الذين لا يجيزونها (٦).
وبما أن الإسناد ركنُ الشرع وأساسه فإنه لمن المحتوم أن دوامه يُحفظ بالإجازة التي لا مناص من الركون إليها في ذلك. على أننا سنلاحظ في

(٥) لم أجد ذكراً لهذا العنوان عند حاجي خليفة، ولا عند بروكلمان. وبحسب فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني (٣٤١/٢) ترك السلفي ثلاثة معاجم: لشيوخه الأصهبانيين، ولشيوخه البغداديين، ومعجماً مخصصاً للبلاد الأخرى تَرَجَّمَتْهُ: معجم السفر، وهو على الأرجح المعنى هنا.

(٦) الآراء حول جواز الإجازة وعدم جوازها نجدتها في الكتاب الأساسي للخطيب البغدادي (توفي عام ٤٦٣هـ / ١٠٧١م)؛ الكفاية في علم الرواية، حيدر آباد ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م ص ٣١٤ - ٣٢٥ ومما لا شك فيه أن السلفي كان عارفاً بكتاب الخطيب وغيره وما نقلوه من آراء العلماء في الإجازة وجوازها، وانظر أيضاً (تقييد العلم، ط. يوسف العشي) دمشق، ١٩٤٩م.

الإجازة أنواعاً متفاوتة درجة الوشوق بها نزولاً وهي : السماع والمناولة والإجازة (٧) .

ومهما اختلفت طريقة تحمّل العلم فإنه يجب المبالغة في الضبط والإتقان، وأن لا يُعَوَّل فيما يروى إلا على نصّ مكتوب، إلا أن التسهّل جائز في بعض الأحيان، ولا يُستَحَبُّ اللجوء إلى المنع والتغليظ اللذين يخالفان الروح المتسامحة للإسلام (٨) .

إن الحجج التي يَحْتَجُّ بها القائلون بأفضلية الرواية الشفوية غير ذات بال، وإن الرواية المكتوبة هي على خلاف ذلك أقلُّ عُرضَةً للخطأ والسهو على أن الأمر يظل منوطاً بمعرفة الراوي وضبطه مهما كانت الطريقة التي يروي بها. ناهيك عن أن الإجازة تغني عن الرحلات التي لا يقدر عليها كلُّ طالب علمٍ أو راغب فيه .

(٧) لمزيد من التفاصيل نحيل إلى الترجمة الفرنسية لتقريب النواوي والتعليق عليه لـ W Margais باريس ١٩٠٢ م. السماع، ص ١٠٣ - ١٠٥؛ الإجازة، ص ١١٥ - ١٢٦؛ المناولة، ص ١٢٦ - ١٣٣ مع الملاحظة أن ملاحظات السلفي السريعة تُبَسِّطُ ما نحن فيه، أو أنه ربما كان لا زال بعيداً عن النظام المتطور الذي انتهى إليه علم أصول الحديث كما قدمه يحيى بن شرف النواوي ٦٣١هـ / ١٢٣٣م - ٦٧٦هـ / ١٢٧٨م) في القرن التالي .

(٨) [لا حرج] تلك هي العبارة التي تتردّد غالباً في كتاب الإسلام الموحى «القرآن الكريم سورة

البقرة، الآية ١٨٥ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ .

سورة المائدة، الآية ٦ ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ .

سورة الحج، الآية ٧٨ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مَا جَعَلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ .

الإسلام دين التسامح (حنيفية سمحة) كما تعلّمنا الحديث المشهور (البخاري، باب الإيمان، ٢٩ ط. Krehl ١٧/١ . انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لـ A.J. Wensihck ٥٢٢/١) .

والمسلم يتفادى كل تشدّد مفرط (لا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، «أبو داود، باب الأدب، ٤٤، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٧٥/٣») . (إن الله يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ) «انظر: المعجم المفهرس ٢٤٢/٢» .

ويمكن أن نستشهد على فضل الروايات المكتوبة بالمراسلات (٩)
«الدبلوماسية» للنبي عليه الصلاة والسلام ونستشهد أيضاً بالكتاب المختوم
الذي زود به رسول الله ﷺ أحد قوادٍ واحدةٍ من سرّياته (١٠).

ويذكرُ السلفي بعد ذلك أنه ليس أبا عذرة هذا النوع من التأليف حول
جواز الإجازة، بل يشير إلى مؤلف قبله هو الوليد بن بكر بن مخلد الغمري
السرقي صنف كتاباً ترجمه بالوجازة في صحّة القول في الإجازة (١١)؛
ولكنّ السلفي ينوي في كتبه هذا اتباع منهج يختلف عن منهج سابقه وقبل
أن يذهب في البحث بعيداً يُحدّد السلفي مصطلحاته التي ينوي استخدامها
والتي يرى أنها المثلى لهذا الضرب من العلم وهي :

أبأني : الرواية المباشرة، الراوي والمروي عنه حاضران كلاهما (شاهده
وشافه).

كتب إليّ : تلقى بوساطة المكاتبه .

أخبرنا، حدّثنا، سمعتُ : سماع لا يفرض الإجازة .

حدّثني : عندما يكون الراوي يسمع وحده، حدّثنا : عندما يسمع هو وغيره
سواء أكان مستعمل المصطلح هو القارئ أم لا .

(٩) انظر حول نصوص المراسلات النبوية الدبلوماسية كتاب محمد حميد الله : «وثائق

الدبلوماسية الإسلامية في عهد النبي وخلفائه الراشدين» باريس ١٩٣٥ .

(١٠) يأتي المؤلف هنا بجانب من كفاح النبي ﷺ ضدّ المكين المشركين . والسرية المذكورة

بقيادة عبدالله بن جحش، انظر ابن هشام سيرة الرسول ط . وستفند ص ٤٢٣ . والخطيب

البيدادي في الكفاية ص ٣١٢ يستشهد أيضاً بهذه السابقة .

(١١) أصله من الأندلس، إلا أنه مات في المشرق في ذينور عام ٣٩٢هـ / ١٠٠١م - ١٠٠٢م،

وفي الأعلام لائحة طويلة بمصادر ترجمته ١٣٩/٩، ولم يعرف لكتابه أصل مخطوط حتى

يوم الناس هذا (لذلك لم يذكره بروكلمان) وسجله حاجي خليفة ط . فلوجل

رقم ١٤١٧٥، الجزء ٦ ص ٤٢٣، دون أن يذكر سنة وفاته التي نجدناها مثبتة في طبعة

Yaltkaya Bilge وفيها خطأ مطبعي ٢٩٢ هـ بدلاً من ٣٩٢ هـ .

وإن اختار أخذ في المُجاز له والتحديث به غير ما اختاره المؤلف وعين عليه، فقد وَسَّعَ له لكنَّ يكون بلفظٍ مشعرٍ بالإجازة وعبارة مُعبِّرة عنها غير مغيرة للمرسوم فيها.

ولكي يُبيِّن السلفي قيمة المصطلحات التي اختارها يستشهد بعددٍ من الشيوخ، كالبخاري (١٢)، وابن أبي حاتم الرازي (١٣)، والأوزاعي (١٤)، ثم يروي طُرْفَةً قوية الدلالة فيما نحن فيه حتَّى لَتَسْتَأْهَلُ الذكر هنا فإليكمها: «سَمِعْتُ أبا علي البرادني (١٥) الحافظ ببغداد يقول: سَمِعْتُ أبا القاسم واصل بن حمزة البخاري (١٦) يقول: قَدِمَ علينا مَنْ لَفْظُهُ وَحِفْظُهُ (١٧) يقول: دَخَلْتُ على الشيخ أبي العباس جعفر بن محمد بن محمد بن المعتز المستغفري الخطيب بنسب (١٨) فسألته الإجازة فقال لي: سَمِعْتُ الخليل بن أحمد السجستاني (١٩) يقول: سمعت أبا طاهر الدباس (٢٠) يقول: معنى قول

(١٢) محمد بن إسماعيل، ١٩٤ هـ / ٨١٠ م - ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م، انظر مقالة J.Robsan في الموسوعة الإسلامية ط. ثانية ١/١٣٣٦.

(١٣) عبد الرحمن بن محمد، ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م - ٣٢٧ هـ / ٩٣٩ م انظر ملحق بروكلمان ١/٢٧٨، والأعلام ٤/٩٩.

(١٤) عبد الرحمن بن عمرو، مات عام ١٥٧ هـ / ٧٧٤ م انظر مقالة J.Schacht في الموسوعة الإسلامية ط. ثانية ١/٧٩٥.

(١٥) أحمد بن محمد بن أحمد مات عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م وله اثنتان وسبعون سنة، العبر ٣/٣٥٠، وذيل طبقات الحنابلة ١/٩٤ - ٩٥ (ولم يذكر هذا الكتاب في الأعلام). وَضَبَطُ نسبه عن اللباب، وآخرون يكتبون (البرادني). (١٦) لم أجد له ترجمة.

(١٧) هكذا في أصل المخطوطة، والكلمات الثلاث الأخيرة يمكن أن تُقرأ على غير ما وجه دون أن نصل إلى تركيب يناسب السياق هنا.

(١٨) ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م - ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م. يُزاد إلى الإشارات الموجودة في مقالتنا «مخطوطة لكتاب دلائل النبوة لجعفر المستغفري في Studi orientalistici، المهدى إلى Giorgio Levi Dellaida، المجلد، ٢، روما ١٩٥٦ ص ٥٦٧ - ٥٧٢، الأعلام ٢/١٢٣.

(١٩) قاضي حنفي من سمرقند مات وله تسع وثمانون سنة في عام ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م انظر الأعلام ٢/٣٦٣، العبر ٣/٧.

(٢٠) محمد بن محمد بن سفيان البغدادي الحنفي عرفت له ترجمتين (الوافي ١/١٦٢) رقم =

الشيخ : أَجَزْتُ لَكَ ؛ أَي أَجَزْتُ لَكَ أَنْ تَكْذِبَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ لِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : وَلَكِنْ جَعَلْتُ سَمَاعَاتِي كُلَّهَا كِتَاباً مِنِّي إِلَيْكَ لِتَقُولَ : كَتَبَ إِلَيَّ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ فُلَاناً بِنَ فُلَانٍ حَدَّثَنَا قَالَ : حَدَّثَنَا فُلَانٌ .

وفي عصر قريب من عصر السلفي كان لأديب مثل أبي نصر السجزي (٢١) رأي غير واضح في الإجازة، رأي ارتيابي في البداية وإيجابي بعد ذلك . كما ينقل السلفي الذي يطلع خلال إقامته في دمشق على جزء من الحديث أجازة أبو نصر كتابةً لأبي القاسم الحنائي وأخيه (٢٢) ؛ مشيراً إلى أن الإجازة غير مرضية عنده، ولا يُخفي السلفي دهشته من التحفظ الذي يديه أبو نصر في الإجازة لأنه يعلم أنه كان قد أجاز أبا محمد بن السراج (٢٣) . وبعد ذلك بوقت قصير يطلع السلفي في دمشق نفسها على إجازة أخرى أجازها أبو نصر (٢٤) ؛ وبذلك يتحقق له أن أبا نصر هذا قد تسامح آخر عمره

٨٩ ، والجواهر ١١٦/٢ رقم ٣٥٤) مأخوذتين عن نص لابن النجار لا يتضمن تحديداً زمنية ونحن نعرف مع ذلك أن واحداً من شيوخه عبد الحميد أبو حازم توفي عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م وقد أشار إليه العبادي (٣٥٧ هـ / ٩٨٥ م - ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ - ١٠٦٦ م) في كتاب طبقات فقهاء الشافعية ط . ليدن ١٩٦٤ ص ٥ س ١ - ٨ .

(٢١) عبيد الله بن سعيد بن حاتم الموائلي مات في مكة عام ٤٤٤ هـ / ١٠٥٣ م بعد أن تجول في خراسان والهند ومصر، تذكرة الحفاظ ١١١٨/٣ - ١١٢٠ رقم ١٠٠٥ ، العبر ٢٠٦/٣ ، والأعلام ٣٤٩/٤ .

(٢٢) أبو القاسم هو الحسن بن محمد بن إبراهيم الدمشقي مات عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ - ١٠٦٧ م ، العبر ٢٤٥/٣ وأخوه علي مات قبله في عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ - ١٠٣٧ م وله ثمان وخمسون سنة بعد أن خرج لنفسه معجماً كبيراً ، العبر ١٦٦/٣ ، وابن أبي القاسم أبو طاهر محمد المتوفى وله سبع وسبعون سنة في عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م ، العبر ٢١/٤ ، سماه السلفي شيخنا، وهو بلا شك رأى جزء الحديث المعني في بيته .

(٢٣) جعفر بن أحمد بن حسين ، أديب مشهور عاش بين ٤١٧ هـ / ١٠٢٧ م - ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م بروكلمان ط ٢٠ ، ٤٣١/١ ، الملحق ٥٩٤/١ ، أعلام ١١٥/٢ (يزاد إلى مصادره العبر ٢٥٥/٣) ويشير صاحب تذكرة الحفاظ ١١١٩/٣ إلى روايته عن أبي نصر .

(٢٤) هما إجازتان الأولى أخرجها له المدعو أبو محمد بن التجاني (قراءة غير مؤكدة لاسم شخص غير معروف) مكتوبة بخط عبد العزيز بن ثعلبة السعدي الأندلسي (لم أجد له

في هذا الضرب من تحمّل العلم؛ وفي السياق نفسه يقول السلفي: إنه قد سمع في بغداد أبا جعفر بن يحيى بن الحكاك التميمي (٢٥)، وهو ثقة حافظ يروي عن أبي نصر حكماً لهذا الأخير يضع المناولة بمنزلة السماع. ويختتم القسم النظري من الكُتَيْب بالحديث عن الشروط الشخصية للإجازة:

فالعربيّ يصحُّ سماعه إذا بلغ أربع سنين، والعجمي إذا بلغ ست سنين مع أنه توجد رواية عن الإمام الشافعي حدّد فيها السنّ التي يجوز فيها السماع بعد السابعة للناس كلّهم.

أما رأي السلفي الذي أدرك عليه الحفاظ من مشايخه فهو أنّ الإجازة تجوز لجميع الناس دون النظر إلى السن، فهي تجوز للصغير كما تجوز له الحبس والهبة؛ وإنما يؤخذ له من شيوخ الوقت حتّى إذا بلغ مبلغ الرواة روى ما يصح لديه من حديثهم.

وكان الخطيب البغدادي قد خصّص لهذا الأمر جزءاً لطيفاً، ذهب فيه إلى جواز إجازة المعدوم فكيف للمولود الموجود (٢٦).

أما بقية الكتاب (بعد الورقة ٤) فهي مُخصّصةٌ لذكر من كتبوا السلفي مرتبين ترتيباً جغرافياً (٢٧).

== ترجمة) وقد وصفه المؤلف بأنّه كان من أهل العلم ثقة يحدث عن أبي الفضل الحكاك (انظر الحاشية التالية). والثانية نقلها سهل بن بشر الإسفرائيني أبو الفرج البسطامي الدمشقي الصوفي ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م - ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م، العبر ٣/٣٣١. (٢٥) ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م - ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م، تذكرة الحفاظ ٤/١٢١٣ ترجمة رقم ١٠٣٣ وفيها أنّه يروي عن أبي نصر السجزي، ويذكر السلفي في الحديث عنه.

(٢٦) انظر تفصيل الأمر في الكفاية للخطيب ط. مذكرة أنفاً ص ٣٢٥: ويبدو الخطيب في هذا الموضوع شديد الحذر بخصوص جواز إجازة المولود الذي سيولد. (٢٧) نجد في هذا القسم كثيراً من التفصيلات التي تجدر دراستها وإخراجها، ولكنها هنا تخرج عن قدرة المكان المخصّص لهذا المقال؛ ولعلنا راجعون إليها في مناسبة أخرى.

١ - بغداد

١ - (الورقة ٥ أ)

رزق الله بن عبد الوهاب التميمي شيخ الحنابلة أبو محمد (مات وله ٨٨ سنة في عام ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م : العبر ٣/ ٣٢٠) وكان السلفي قد رآه في صباه لما جاء رزق الله أصبهان رسولاً من الخليفة.

٢ - (الورقة ٥ ب)

الحسن بن أحمد بن طلحة النعالي [البغدادي الحمامي] أبو عبد الله (مات مُسنناً سنة ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م : العبر ٣/ ٣٣٦).

٣ - (الورقة ٦ أ)

طرّاد (طرّاد، تختلف المصادر في ضبط اسمه) بن محمد بن علي الزينبي نقيب نقباء الهاشميين أبو الفوارس (٣٩٩هـ / ١٠٠٨م - ٤٩١هـ - ١٠٩٧م : العبر ٣/ ٣٣١).

٤ - (الورقة ٧ أ)

أحمد بن الحسن بن أحمد [الكُرْجِي] الباقِلَانِي أبو طاهر (٤١٦هـ / ١٠٢٥م - ٤٨٩هـ - ١٠٩٥م : العبر ٣/ ٣٢٤).

٥ - (الورقة ٧ أ - ٧ ب)

أحمد بن عبد القادر بن محمد الأصبهاني الأصل البغدادي المولد أبو الحسن [العبر والشذرات ٣/ ٣٩٧ : أبو الحسين] (مات وله ٨١ سنة في عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م : العبر ٣/ ٣٣٣).

٦ - (الورقة ٧ ب)

علي بن الحسين بن علي البزاز الموصلي أبو الحسن ٤١٠هـ /

١٠١٩ م - ٤٩٢ هـ / ١٠٩٠ - ١٠٩١ م المتظم ١١١/٩؛ العبر
٣/٣٣٤، انظر جورج مقدسي، ابن عقيل ص ٥٠٠ رقم ٤.

٧ - (الورقة ٩ أ)

محمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الرعد العكبري (لم أجد له
ترجمة؛ وبحسب السلفي أنه كان حياً عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م)

٨ - (الورقة ٩ ب)

أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي المعدل أبو الفضل ٤٠٦ هـ/
١٠١٥ م - ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م العبر ٣/٣١٩) وقد أقام في الأندلس
حيث أجاز أبناء هود الأمراء.

٩ - (الورقة ١٠ أ)

محمد بن أحمد بن طوق أبو الفضل (لم أجد له ترجمة، والسلفي يُحدّد
وفاته بـ ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م).

٢ - البصرة

١٠ - (الورقة ١٠ أ - ١٠ ب)

جعفر بن محمد (أبو بكر) بن فضل القرشي العباداني البصري أبو
طاهر، مات عام ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م السمعاني، أنساب ٣٧٩ ب،
العبر ٣/٣٣٦، يُحدّد التاريخ الدقيق لوفاته.

١١ - (الورقة ١١ أ)

محمد بن أحمد بن عمر النهاوندي أبو عمر (٤١٠ هـ / ١٠١٩ م - ٤٩٧ هـ/
١١٠٣ م)

المتظم ١٤١/٩، جواهر ٢٠/٢، جورج مقدسي، ابن عقيل ص

١٨٠ رقم ٢، و صفحة ٤١٠ رقم ٢، وفيه تاريخان مختلفان لوفاته.

١٢- (الورقة ١١ أ- ١١ ب)

محمد بن عبيد الله بن الحسين قاضي البصرة أبو الفرج (لَمْ أجد له ترجمة، وقد توفي بحسب السلفي عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م).

١٣- (الورقة ١٢ أ)

أحمد بن محمد بن القاسم الدباس المالكي أبو طاهر المعروف بابن دُبَّة، ولد عام ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م، ولم يذكر المؤلف سنة وفاته (ولَمْ أجد له ترجمة).

١٤- (الورقة ١٢ أ- ١٢ ب)

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمود العبدي أبو طاهر ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م - ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م (لَمْ أجد له ترجمة).

٣- مَكَّة

١٥- (الورقة ١٢ أ- ١٢ ب)

عيسى بن [عبد] أبي ذر الهروي أبو مكتوم (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م - ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م. العبر ٣/٣٤٨ (٢٨)).

١٦- (الورقة ١٣ أ- ١٣ ب)

محمد بن عمر بن عبد العزيز البخاري المجاور بمكة، الحنفي الملقب بـ كَاك، وصلت رسالته إلى السلفي سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م. توفي في العام التالي.

(٢٨) أجاز السافي بواسطة محمود بن الفضل [بن محمود الصباغ الأصبهاني] (مات عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م المنتظم ٢٠٢/٩؛ تذكرة الحفاظ ٤/١٢٥٢، رقم ١٠٥٨ [وليس له ذكر في العبر] مقدسي، ابن عقيل ص ٤٥٠، رقم ٥)

الجواهر ١٠١/٢ رقم ٣٠٦.

١٧- (الورقة ١٤ أ)

محمد بن هبة الله بن ثابت البندنجي الشافعي مجاور مكة أبو نصر،
أجاز السلفي عام ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م بوساطة أحمد بن محمد النحاس
(؟) الأصبهاني (٢٩).

(البندنجي، إمام ضريز، عاش من ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م - ٤٩٥ هـ /
١١٠١ م

الصفدي، نكت الهميان، القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م، ص ٢٧٧.
طبقات الشافعية ٣/٨٥، أعلام ٧/٣٥٤).

١٨- (الورقة ١٤ أ - ١٤ ب)

محمود بن عمر بن محمد الزمخشري أبو القاسم (مشهور ٤٦٧ هـ /
١٠٧٥ م - ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م: بروكلمان ط ٢٠، ١/٣٤٤؛ الملحق
١/٥٠٧، أعلام ٨/٥٥) (٣٠).

١٩- (الورقة ١٤ أ - ١٤ ب)

عمر بن محمد بن عبدالله البسطامي البلخي أبو شجاع، استلم
المؤلف رسالة بمروياته من بَلِّخ ومن مكة (٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م - ٥٦٢ هـ /
١١٦٦ م، العبر ٤/١٦٨، تذكرة الحفاظ ٤/١٣١٨).

٢٠- (الورقة ١٥ أ - ١٥ ب)

عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن الغزال المقرئ المصري المالكي

(٢٩) ليس لديّ تحديدٌ مُوثَّقٌ لهذا الشخص؛ وقراءة النحاس مشكوك فيها، ولَعَلَّ المعني هو: أبو
الفضل الحداد المتوفى وله ٩٢ سنة عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م - ١١٠٧ م، العبر ٣/٣٥٥.
(٣٠) لا نجد في مخطوطتنا مختارات المؤلف من مراسلاته مع الزمخشري التي وعد بذكرها.

أبو محمد؛ وصل المؤلف خبيراً منه منذ عام ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م ولكنه
لم يلتق به أبداً، (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م - ٥٢٤ - ١١٢٩ م: العبر
٥٦/٤).

٢١- (الورقة ١٥ أ - ١٥ ب)

رزين بن معاوية بن عمار العبدي الأندلسي [السرقسطي] أبو الحسن
(لا نعرف سنة ولادته، ابن بشكوال، الصلة، القاهرة ١٣٧٤ هـ /
١٩٥٥ م، ١٨٤/١ ترجمة رقم ٤٢٨).

وسنة وفاته ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م - ١١٣٠ م محدّدة اعتماداً على رسالة
وصلت محمد بن علي بن الحسين الطبري قاضي الحرمين؛ وتذكر
مصادر أخرى وفاته في ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م.

انظر: الملحق ١ / ٦٣٠ حيث أشار بروكلمان إلى الاختلاف ولم يقطع
فيه رأياً؛ الأعلام ٤٦/٣، العبر ٩٥/٤.

٢٢- (الورقة ١١٦ أ)

الحسن بن علي بن الفضل الأملي الطبري أبو زيد، كتب إلى المؤلف
من مكة سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م (ولم أجد إشارات أخرى حوله).

٢٣- (الورقة ١٦ أ)

نبت (٣١) بن عبید (وذكر بدلاً من عبید في أول ترجمته: عبد الرحمن) بن
محمد النهدي اليمني الشافعي أقام بمكة منذ عام ٤٧٧ هـ / ١٠٤٨ م،
وصل خبره من مكة سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م (ولم أجد إشارات أخرى
حوله).

(٣١) هذا الاسم غريب، والسلفي نفسه يقول: من الأسماء المفردة لا أعرف له سميّاً.

٤ - الموصل

٢٤- (الورقة ١٦ أ- ١٦ ب)

نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان الذهلي الموصللي أبو القاسم (لم أجد له ترجمة، ونفهم من نصنا أنه يروي عن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن طوق، أصولي من الموصل، مات عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ - ١٠٦٧ م وله سبع وسبعون سنة).

٥ - همدان

٢٥- (الورقة ١٧ أ)

إسماعيل بن محمد بن عثمان القومساني (٣٢)، للمؤلف إجازة منه في عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م (ولم أجد له ترجمة).

٢٦- (الورقة ١٧ أ)

سعد بن علي العجلي أبو البديع، أجاز المؤلف في السنة نفسها ٤٩٤ هـ (ولم أجد له ترجمة؛ وقد عرفه السلفي [بعد ذلك؟] في همدان).

٢٧- (الورقة ١٧ أ)

عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بُندار، أجاز السلفي في السنة نفسها (ولم أجد له ترجمة).

٢٨- (الورقة ١٧ أ)

محمد بن علي بن محمد المعرم أبو الفرج، أجاز السلفي في السنة نفسها (ولم أجد له ترجمة).

(٣٢) قوسا: قرية من نواحي أصبهان، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي.

٢٩- (الورقة ١٧ أ)

مكي بن بنجير بن عبدالله الشعار، أجاز السلفي دون شك في السنة نفسها (ولم أجد له ترجمة)

٣٠- (الورقة ١٧ أ)

عبد الغفار بن محمد، ليس لإجازته زمن محدد، وهي بلا شك في السنة نفسها (ولم أجد له ترجمة)

٣١- (الورقة ١٧ أ)

محمد بن جابار بن علي، المعروف بـ وفا (الملاحظة السابقة نفسها).

٣٢- (الورقة ١٧ أ)

نصر بن محمد بن علي بن زيرك (الملاحظة السابقة نفسها)

٣٣- (الورقة ١٧ أ)

فيد بن عبدالرحمن بن شاذي الشعراني، وصلت رسالته من بغداد سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م بوساطة أبي نصر اليونارتي (٣٣). ثم وصلت إجازته من همذان في عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م (ولم أجد له ترجمة) إلا أن الذهبي يشير إليه مرتين في العبر ٤/ ١٥٩ - ٢٧٥ كراوية علماء همذان.

٣٤- (الورقة ١٧ أ- ١٧ ب)

بنجير بن منصور الهمذاني أبو ثابت شيخ الصوفية، أجاز السلفي

(٣٣) الحسن بن محمد بن إبراهيم مات في الستين من عمره عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م، رحل إلى هراة وبلخ وبغداد، ويونارت كانت قرية من نواحي أصبهان: العبر ٤/ ٧١، (وقد ذكره السلفي غير مرة في كتبه وأخبر عنه).

بوساطة اليونارتي (ولم أجد له ترجمة) (٣٤).

٦ - أسد آباذ في قهستان

٢٥- (الورقة ١٨ أ)

عمر بن علي بن جيريل القيم أبو جفص (لم أجد له ترجمة)

٧ - أسترا باذ (٣٥)

٢٦- (الورقة ١٨ أ)

ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي أبو محمد (لم أجد له ترجمة)

٨ - خراسان

٢٧- (الورقة ١٩ أ)

عبد الغفار بن محمد بن الحسين الشيروي أبو بكر، وصل خبره عام
٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م الأنصاري النيسابوري، توفي عام ٥١٠ هـ /
١١١٦ م عن ٩٦ سنة: أنساب ٣٤٥ ب، العبر ٢٠/٤.

تَعْقِيَّات

حاشية رقم ٢

ذكر الذهبي هذا الكتاب في عداد كتب السلفي في سير أعلام النبلاء

(٣٤) أستاذه في التصوف هو جعفر بن محمد بن الحسن الأبهري أبو محمد، الذي لم أجد له أخباراً في مناسبة أخرى غير ما ذكره المؤلف من أخباره المهمة في نصنا هذا، وسأدرس هذه الأخبار في مناسبة أخرى.

(٣٥) هي بلا شك مدينة في طبرستان أشار إليها في معجم البلدان (البداية) وبحسب السمعاني في الأنساب، حيدرآباد ١، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م ص ١٣١ القراءة الصحيحة للنسبة إليها هي: إستراباذي.

٢١/٢١ وسماه «الوجيز في المجاز والمجيز» ونقل عنه دون تصريح في المرجع نفسه ٨/٢١ في ترجمة السلفي . ولم يترفه صاحب هدية العارفين ولا ذكر له في كشف الظنون ولا في ذيله . وقال الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في فهرس الفهارس ١١٣٠/٢ (٥٦١) : «الوجيز في ذكر المجاز والمجيز: للإمام الحافظ أبي طاهر السلفي أرويهما بأسانيدنا إليه (انظر حرف السين) وفيها كلام جيد في تصحيح الرواية بالإجازة والعمل بها نقله أبو التوفيق الدكالي في «سمط الجواهر» . وانظر فهرس الفهارس ٩٩٤/٢ (٥٦٥) والحديث عن سمط الجواهر في ١٠٦٠/٢ (٥٣٤) . ولم يعرفه بروكلمان في مؤلفات السلفي .

وفي ترجمة السلفي : انظر: سير أعلام النبلاء، ٢١/٥ - ٣٩ وفي حاشية الصفحة (٥) ذكر لمصادر كثيرة يُضاف إليها مقالة للدكتور سهير محمد زمان في مجلة Islamic Studies = دراسات إسلامية، العدد، ١٩٨٥/٤/٢٤ بعنوان «مصادر ترجمة السلفي» ٤٩٣ - ٥٠٢ .

ويُزاد إلى المصادر المذكورة في موسوعة الإسلام حَوْل الإجازة: كتاب الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ط . دار التراث - القاهرة . تح السيد أحمد صقر ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م) ص ٨٨ - ١٠٧ .

حاشية رقم ٥

لَعَلَّ العنوان الذي أراده أبو طاهر السلفي لما نعرفه اليوم بعنوان «معجم السُّفَر» هو «المعجم المؤرَّخ» لأسباب سنوضحها بعد الحديث عن معجم السفر . ذكر بروكلمان في عداد كتب السلفي كتاباً سماه «معجم الشعراء» واعتمد في ذلك على نقول وجددها في معجم الأدباء لياقوت الحموي انظر بروكلمان، الأصل ٤٥٠/١ (٣٦٥) والملحق ٦٢٤/١ وتبعه

فؤاد سزكين في نسبة الكتاب للسلفي بعنوان «معجم الشعراء» انظر: تاريخ التراث العربي (بالألمانية) مج ٢/ ٩٧ والترجمة العربية مج ٢ ج ١ / وقد أشار الأستاذ مطاع الطرايشي في مقدمته لكتاب «سؤالات الحافظ السلفي» (ص ٢٢) أن ما جاء عند بروكلمان تصحيف ومنقولات ياقوت من معجم السفر الذي تصحّف في المطبوعة إلى «معجم الشعراء». وكان بروكلمان قد ذكر الأماكن التي نقلها ياقوت عن معجم الشعراء الموهوم فأخطأ في موضعين ينقل فيها ياقوت عن السؤالات والمشيخة البغدادية في حين أن بروكلمان ظنّه ينقل عن معجم الشعراء المصحف عن معجم السفر.

وفي مقدمة الأستاذ الطرايشي (ص ٢١) أن المرحوم حسن عبد الوهاب ذكر أن نسخة الأصل كانت في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة؛ ومنه نسخة بدار الكتب المصرية تنقص الأول والآخر؛ مأخوذة بالتصوير الشمسي.

ذكر ذلك في مجلة الكتاب (سنة ١٩٤٦م: مج ٣/ ٣٨٣ - ٣٨٦).

وأن الأستاذ عمر رضا كحالة في (المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة)، أن في مكتبة عارف حكمت كتاباً عنوانه «معجم الحفاظ - لأبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني في ٤٠٨ صفحات؛ نسخة مذهبة؛ تاريخ نسخها ١٢٣٩ هـ».

ورجح الأستاذ الطرايشي أنها النسخة التي أشار إليها حسن عبد الوهاب.

قلتُ: ووصف الأستاذ الدكتور إحسان عباس هذه النسخة التي أخرج عنها «أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر» في مقدمته لطبعة بيروت - دار الثقافة ١٩٦٣ (الطبعة الثانية مصورة بيروت ١٤٠٥ هـ -

١٩٨٥ م).

فقال: رقمها في مكتبة عارف حكمت ١٧٦ / حديث، حديثة النسخ
حسنة الترتيب كتبها عبد الحفيظ بن محمد صالح حماد سنة ١٢٣٩ هـ
وأصلها منقول عن جُذازات بخط المؤلف وتقع في ٢٣٩ ورقة وهي مكتوبة
بخَط واضح قليل الخطأ. المقدمة ص (١٣) وذكر أن من الكتاب نسخة
أخرى مصورة بدار الكتب المصرية وهي ذات أوراق مضطربة ولم يذكر لها
رقماً.

وأقول: إن من الكتاب نسخة ناقصة أوردتها صانعو فهرس مكتبة
جستر بتي في دبلن بعنوان «معجم الشعراء» بالاعتماد على ما جاء عند
بروكلمان وهو تصحيف كما ذكرنا. وقد جاء على غلاف النسخة «معجم
السلفي» وهي في المكتبة برقم ٣٨٨٠ ناقصة مضطربة، لدي صورة عنها
وهي في (٢٤٤) ورقة.

وطُبع من الكتاب الجزء الأول بتحقيق الدكتورة بهيجة الحسني في
بغداد ١٣٩٣ / ١٩٧٨ م ولم أطلع عليه بل رأيت للدكتور بشار عواد معروف
كلمة في نقد هذا الجزء في مجلة المورد مج ٨ ع ١ - ١٩٧٩ م.
وقد نشره الدكتور سهير محمد زمان في إسلام آباد ضمن مطبوعات
معهد البحوث الإسلامية برقم (٨١) ١٩٨٨ م وجاء كما وصفه جورج مقدسي
في مجلة «دراسات إسلامية Islamic Studies العدد ٢٧ / ١٩٨٨» في ٤٤٩
صفحة وذيله في ١٩١ صفحة ومصادره في ٦ صفحات والتعليقات في ٥٥
صفحة، وسبع لوحات من المخطوطات التي اعتمدها والمقدمة في ١٢٤
صفحة وفيه فهرس متنوع ولم أطلع عليه بعد.

وكان الدكتور سهير محمد زمان قد نشر في المجلة نفسها مقالين
حول السلفي:

الأولى : «مصادر ترجمة السلفي» سبقت الإشارة إليها في التعليق على الحاشية ٢ .

والثانية : «تحصيل السلفي للحديث والقراءات في أصبهان» نجدها في العدد (١٩٨٦/٢/٢٥)، ص ١٥١ - ١٥٩).

والشائع بين العلماء أنَّ «معجم السفر» لم يَضَعه السلفي بشكله النهائي والظاهر كما يقول الدكتور بشار عواد معروف أنَّه كان على شكل جزازات هيا الله لها أحد الفضلاء قَدَوْنها على شكل كتاب . وهذا الفاضل هو زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ صاحب الكتاب المشهور «التكملة لوفيات النقلة» وقام ولده الشاب رشيد الدين المنذري المتوفى سنة ٦٤٣هـ بنسخه عن نسخة والده . وكان السلفي قد كتب كلَّ ترجمة بجزازة فيبضها المنذري كما تجيء لا كما يجب . . وقال شمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ في كتابه الإعلان عند كلامه على كتابه المرتب على حروف المعجم : «وجَمَعْتُ كتاباً حافلاً على حروف المعجم أصلته من . . و«معجم السفر» للسلفي وهو في مجلد ، كثير الفوائد بخط محمد بن المنذري ، قال عن أبيه الزكي إنَّه وقع له بخط السلفي في جزازات كل ترجمة في جزازة فيبضها ورتبها كما تجيء لا كما يجب . وكذا لم يكن ترتيبه كما ينبغي ، ولم يكن فيه من الإصبهانيين أحد» .

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٦/٢١ .

«وقد جمعوا له من جزازه وتعاليقه «معجم السفر» في مجلد كبير» وذكر الدكتور بشار عواد معروف أنَّ عبارة المنذري موجودة في صدر نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة «انظر مقالته المذكورة أنفا: ص ٣٨١) .

وذكر الأستاذ الطرايبيشي في مقدمته لسؤالات الحافظ السلفي (ط) . دار الفكر - ١٩٨٣ ص ٢١) «ولعلَّ هذا المعجم كان يُعْرَف أحياناً باسم

التعاليق فقد قال الحافظ ابن نقطة خلال حديثه عن أبي محمد الجلابي اللواتي: «حكى عنه أبو طاهر السلفي في تعاليقه» وما أراه أشار إلى غير معجم السفر هذا».

قلت: والسلفي في الوجيز [٢ أ] يأتي على ذكر كتاب له يسميه «المعجم المؤرخ» ولا نجد بين مؤلفاته ذكراً لمثل هذا الكتاب وعلّق الأستاذ فاجدا على الكتاب فقال: ولعل المعني هو معجم السفر (الحاشية ٥ من المقال المترجم).

فماذا يقول السلفي عن هذا الكتاب؟

«فإني لما فرغتُ من ذكر من لقيته من الرواة، وكبار الحفاظ والوعاة، وإثبات مَنْ عَلَّقْتُ عنه شيئاً من الحديث؛ وإن لم يكن عارفاً بقوانين الرواية والتحديث، وتسمية من استفدت منه فائدة فقهية أو أدبية أو زهدية، أو استنشدته فأنشدني شيئاً من شعره وبنات فكره، أو ممّا أنشده مَنْ شاهدته مِنْ أديب بارع أو راوية جامع، ودَوَّنْتُ ذلك كله في كتاب تَرَجَمْتُهُ بِالمعجم المؤرخ، إذ بَيَّنْتُ فيه درجاتهم، وَعَيَّنْتُ على ضَعْفائهم وثقاتهم، وَأَتَيْتُ على ما يُحْتَاج إليه من أقوالهم، وَنَبَّهْتُ على رتبهم ومحالهم، وَلَمْ أُورِدْ عن أحد منهم غير حديث واحد لا أكثر، أو حكاية أو مَقْطُوع من الشعر وإن كان غير قائله منه أشعر؛ آثَرْتُ أَنْ أُضِيفَ إليه أيضاً. . . غير أنني خالفت الطريق الذي قد سَلَكْتُ في كتاب المعجم، فالمعجم على ترتيب حروف التهجي كاملة. . .».

وما ثبت عندي أنّ هذا الوصف ينطبق على الجزء الباقي في مخطوطة جستر بتي وعلى منقولات ياقوت.

ولعلّ المنذري ناسخ الكتاب هو الذي سمّاه بمعجم السفر لما وقع

إليه في جزازات ولعل ما وقع إليه لا يعدو أن يكون مسودة المعجم المؤرخ الذي ينص السلفي في النص الذي نقلناه عن الوجيز أنه فرغ منه وأنه مرتب على ترتيب حروف التهجي كاملة. ولعل وجود الكتاب على جزازات هو ما دفع ابن نقطة إلى تسميته بالتعليق.

وَقَدْ وَجَدْتُ السلفي يقول في الوجيز [١٧ ب] في ترجمة «أبي الحسن فيد بن عبد الرحمن بن شاذي الشعراني (من شيوخ همدان)».

(وَلَمْ يَقَعْ إِلَيَّ مِنْ حَدِيثِهِ وَرَوَايَتِهِ كَبِيرُ شَيْءٍ، وَكُنْتُ رَأَيْتُ وَلَدَهُ مُحَمَّدًا بِأَصْبَهَانَ وَحَضَرْتُ مَجْلِسَ وَعْظِهِ وَأَنْشَدَنِي بَيِّنِينَ عَلِقْتُهُمَا عَنْهُ وَذَكَرْتُهُمَا فِي الْمَعْجَمِ الْمَوْرَخِ.) وَلَمْ أَجِدِ الْبَيِّنِينَ فِي نَسْخَتِي النَّاقِصَةِ مِنْ مَعْجَمِ السَّفَرِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَمُنُّ بِالْحَصُولِ عَلَيَّ نَسْخَةً مِنَ الْكِتَابِ تَامَةً لِأَسْتَجْلِي حَقِيقَةَ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ.

فإما أن معجم السفر هو المعجم المؤرخ وإما أن نص الوجيز يشير إلى معجم آخر من معاجم شيوخ السلفي لم تذكره كتب التراجم وأراني أميل إلى القول بالرأي الأول.

حاشية رقم ١١

من كتاب «الوجازة» نقول في الإلماع للقاضي عياض (انظر الفهارس) وكذلك في فتح المغيث للسخاوي ٢٢٥ وانظر: فهرس الفهارس والإثبات ١١٢٣/٢، (٦٣٤)، ١١٢٩/٢ - ١١٣٠ (٥٥٩)

والسيوطي في تدريب الراوي ٥٢/٢.

وانظر في ترجمة المؤلف: سير أعلام النبلاء ١٧/٦٥ - ٦٧ وفي حاشيته (ص ٦٥) ذكر لمصادر كثيرة.

الحاشية ٦ - ٧

وانظر: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض ص ٨٨ - ١٠٧ .

الحاشية ١٥

انظر: في ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد البرداني (توفي ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م)

سير أعلام النبلاء ٢١٩/١٩ - ٢٢١ وفي حاشيته مصادر كثيرة . وقال ياقوت في معجم البلدان ٥٥٢/١ .

«البردان: من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها قرب صريفين، وهي من نواحي دجيل . وانظر شذرات الذهب ٤٠٨/٣ .

الحاشية ١٦

ترجم لواصل بن حمزة البخاري الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٣ / ٤٩٣ (٧٣٤٥) فقال:

«واصل بن حمزة بن علي بن أحمد بن نصر أبو القاسم الصوفي البخاري، قدم بغداد وحدث بها عن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن محمد وأبي حامد أحمد بن محمد البخاريين . كَتَبْتُ عَنْهُ ولم يكن به بأس . أخبرنا واصل بن حمزة في سنة ٤٥٠ هـ .

الحاشية ٢٤ .

لَمْ يُحَسِّنْ كَاتِبُ الْمَقَالَ قِرَاءَةَ اسْمِ الشَّيْخِ الَّذِي أَخْرَجَ لِلْسَّلْفِيِّ بِدَمَشْقٍ إِجَازَةً أَبِي نَصْرٍ الْوَائِلِيِّ وَالْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ : أَبُو مُحَمَّدِ بْنِ الْأَكْفَانِيِّ وَهُوَ : هَبَةُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الْأَنْصَارِيِّ الدَّمَشْقِيِّ الْحَافِظِ تُوْفِيَ سَنَةَ ٥٢٤ هـ

وله ثمانون سنة .

انظر سير أعلام النبلاء ١٩ / ٥٧٦ - ٥٧٨

الحاشية ٢٦

يشير السلفي إلى كتاب للخطيب البغدادي في الإجازة وعنوانه «إجازة المعدوم والمجهول» وقد طبع ضمن مجموعة «رسائل في علوم الحديث» بعناية صبحي البدري السامرائي نشر المكتبة السلفية عام ١٩٦٩ م .

الحاشية ٢٧

أنهينا تحقيق الكتاب بانتظار من يَطْبَعُهُ .

شيوخ بغداد

رقم ١ الخليفة المذكور في ترجمة رزق الله بن عبد الوهاب التميمي (٤٠٠هـ - ٤٨٨هـ) هو: المقتدي بالله عبد الله (عبيد الله) بن محمد (٤٤٨ - ٤٨٧هـ - / ١٠٥٦ - ١٠٩٤م) ولي الخلافة سنة (٤٦٧هـ) وكان عالي الهمة له علم بالأدب .

انظر: سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣١٨ - ٣٢٤ والأعلام ٤ / ١٢٢

رقم ٤ أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن خُداداد الكُرَجي الباقلاني البغدادي ولد سنة ٤١٦ هـ وتوفي سنة ٤٨٩ هـ

انظر سير أعلام النبلاء ١٩ / ١٤٤ - ١٤٥

وفيه: وأجاز للسلفي .

وقد تَصَحَّفت نسبته إلى الكرخي في معظم المصادر انظر: شذرات

الذهب ٣ / ٣٩٢ .

رقم ٧ ذكر السلفي بين شيوخ بغداد الذين كاتبوه:

محمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الرعد العكبري
قال كاتب المقال: «لم أجد له ترجمة، وبحسب السلفي أنه كان حياً
عام ٤٩٤هـ / ١١٠٠م وأقول: حدّد السلفي وفاته فقال: «توفي ببغداد وأناها
في صفر سنة أربع وتسعين، ولم يتفق لي سماع شيء عليه على أني قصّدته غير
مرة فلم أصل إليه لعارض مرض برّح به وبلغ منه وحضرت جنازته. وكان
يروى عن ابن شهاب العكبري (٤٢٨).

وقد ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٩٧/٥ حوادث سنة ٤٦٧هـ
«وفيها توفي محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن أبي الرعد الفقيه
الحنفي قاضي عكبرا. كان إماماً فقيهاً صادقاً ثقة مات بعكبرا يوم الجمعة
ثالث شهر ربيع الآخر.».

رقم ٩ أبو الفضل محمد بن أحمد بن طوق.

قال كاتب المقال: «لم أجد له ترجمة، والسلفي يُحدّد وفاته بـ ٤٩٤هـ
/ ١١٠٠م» قُلْتُ: ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية ١٦١/١٢ (ط. ٢
بيروت ١٩٧٧م) فقال: «أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن
الحسن بن محمد بن طوق أبو الفضائل الربعي الموصلبي. تفقه على الشيخ
أبي إسحاق الشيرازي وسمع من القاضي أبي الطيب الطبري وكان ثقة
صالحاً كتب الكثير.».

شيوخ البصرة

رقم ١٢ محمد بن عبيد الله بن الحسين قاضي البصرة أبو الفرج

قال كاتب المقال: «لم أجد له ترجمة، وقد توفي بحسب السلفي عام
٤٩٩هـ / ١١٠٥م.».

قلت: ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية ١٦٦/١٢ في وفيات سنة

٤٩٩ هـ فذكر أنه سمع أبا الطيب الطبري والماوردي وغيرهما، ورحل في طلب الحديث، وكان عابداً خاشعاً عند الذكر. وانظر المنتظم ١٤٧/٩ - ١٤٨.

رقم ١٣ أبو طاهر الدباس أحمد بن محمد بن القاسم الدباس المالكي في أصل المقال: ابن ذبقة، والذي في المخطوط: ابن ذبقة ولعل المترجم في الوافي بالوفيات ١٦٢/١ وفي الحاشية رقم ٢٠ من المقال والمتوفى سنة ٣٧٨ هـ / ١٩٨٨ م هو والده.

وانظر: تاريخ التراث العربي «الترجمة العربية» مج ١ ج ٣ ص ٦٧.

الحاشية ٢٥

لا يروي السلفي مباشرة عن ابن الحكاك بل إنه لم يره، يقول: «وجعفر هذا ثقة، حافظ ويعرف بمكة بابن الحكاك قدم إصبهان وكتب عنه أقراني ولم أره أنا.»

وهو يروي عنه بطريق محمد بن مرزوق الزعفراني البغدادي الحافظ التاجر أبي الحسن أكثر عن ابن المسلمة وأبي بكر الخطيب وسمع بدمشق وأصبهان. توفي سنة ٥١٧ هـ. وكان متقناً ضابطاً ويذاكر.

انظر سير أعلام النبلاء ٤٧١/١٩ - ٤٧٢.

وترجمة جعفر في السير ١٣١/١٩ - ١٣٢.

شيوخ مكة المكرمة

رقم ١٦ انظر في ترجمته المنتظم ١٠ / ٢٤ (٣٠)

رقم ٢٢ ورد ذكر ابن البصري في خبر يرويه السلفي في معجم السفر وسنقل

الخبر في التعليق على شيخ همذان ٢٩ وفي الخبر أن مكّي بن بنجير الشاعر الهمداني الذي أجاز السلفي قرأ كتاب «حلية الأولياء» لأبي نُعَيْم الأصبهاني على ابن البصري هذا.

شيوخ الموصل

رقم ٢٤ نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان الذهلي الموصلّي أبو القاسم ذكره السلفي في معجم السفر «نسخة جستر بتي» في ترجمة عيسى بن أحمد بن هبة الله الموصلّي . وأمّا شيخه أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن طوق المتوفى (٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ - ١٠٦٧ م) فله ترجمة في شذور الذهب ٣٠٧/٣ واللباب ٣/١٩٤ عن الأنساب ٣٤١/٥ وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/١٧ .

قلت: ولعلّ ابن طوق هذا والد مجيز السلفي محمد بن أحمد بن طوق أبو الفضل المتوفى سنة (٤٩٤ هـ) وترجمنا له في التعقيب على شيوخ بغداد (رقم ٩) .

شيوخ همذان

رقم ٢٥ إسماعيل بن محمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن علي المعروف بالقومساني .

للسلفي منه إجازة في عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م، وقال كاتب المقال: «لم أجد له ترجمة» قلت: وقد وقفت له على ترجمة في البداية والنهاية ١٦٤/١٢ .

يعرف بأبي الفرج، سمع من أبيه وجده وكان حافظاً حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون مأموناً. توفي سنة ٤٩٧ هـ. وانظر معجم البلدان ٤/٤١٤ (قومسان)

رقم ٢٦ سعد بن علي العجلي : قال كاتب المقال : لم أجده له ترجمة»

قلت : وقد وقفت له على ترجمة فردة في سير أعلام النبلاء ١٩٧/١٩
يقال له أبو منصور سعد بن علي بن حسن العجلي الأسد أباذي ثم الهمداني
الشافعي قال السمعاني : هو ثقة ، مفتٍ مناظر ، كثير العلم والعمل . سمع أبا
إسحاق البرمكي وكريمة المروزية وطائفة . قال الإمام الذهبي : روى عنه أبو
علي أحمد بن سعد ابنه وإسماعيل بن محمد التيمي ، وبالإجازة أبو طاهر
السلفي ، قال السمعاني : مات في ذي القعدة سنة ٤٩٤ هـ .

سير أعلام النبلاء ١٩٧/١٩

والمنتظم ١٢٥/٩ ، الوافي بالوفيات ١٨١/١٥

وطبقات السبكي ٣٨٣/٤ ، وطبقات الإسنوي

٢١٣/٢ - ٢١٤ .

وسماه السلفي «أبو البديع» ذلك أن ابنه أبا علي أحمد بن سعد بن
علي العجلي عرف بالبديع وهو من شيوخ السمعاني صاحب الأنساب .

انظر الأنساب ١٦١/٤ ، السبكي ١٧/٦

والإسنوي ٢١٤/٢

رقم ٢٩ مكّي بن بنجير بن عبد الله الشعار

جاء في معجم السفر «نسخة جستر بيتي» في ترجمة علي بن مكّي بن
بنجير الشعار الهمداني : «وقد أجاز لي أبوه مكّي جميع رواياته وكان من
الحفاظ» .

الحاشية رقم ٣٠

نشرت الدكتورة بهيجة الحسنّي مراسلات الزمخشري مع السلفي في
مجلة المجمع العلمي العراقي (العدد ٢٣) وانظر هذه المكاتبات في أزهار

الرياض ٢٨٣/٣ ووفيات الأعيان ٥/١٧٠-١٧١ .

رقم ٣٣ ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٠٨/١٩ أن فيد بن عبد الرحمن ابن محمد الشعراني قد مات سنة ٤٩٨ هـ . وانظر المشتبه للذهبي ٥١٤/٢ .

رقم ٣٤ ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٧٦/١٧
فيمن حَدَّثُوا عن جعفر الأبهري

وجاء في معجم السفر «نسخة جستر بتي» حرف الطاء

«سَمِعْتُ طاهر بن محمد بن يحيى الحداد بهمدان يقول: أَخَذْتُ الخرقَةَ من يد بنجير بن منصور الهمداني صاحب جعفر الأبهري، فقدم علينا أبو سعيد حفيد أبي العباس النهاوندي فكنت أخدمه وأستقي وضوءه فوهب لي يوماً مرقعةً وألبسنيها فذكرت ذلك لِبُنَجِير فَأَجَازَهُ وقال: ليس يكون للرجل شيوخ في الحديث؟ فكذا يجوز أن يكون له في التصوف شيوخ لتلقه بركاتهم» .

الحاشية ٣٤

جعفر بن محمد بن الحسين الأبهري ثم الهمداني أبو محمد، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٧٦/١٧ - ٥٧٧ .

وابن الجوزي في المنتظم ١٢٥/٩ (١٨٧)

وفي السير أنه حَدَّثَ عن صالح بن أحمد، وعلي بن الحسين بن الربيع وعلي بن أحمد بن صالح القزويني . . .

وَحَدَّثَ عنه . . . وبنجير بن منصور

مات في شوال سنة ٤٢٨ هـ عن ثمان وسبعين سنة .

شيوخ أسد آباد

رقم ٣٥ عمر بن علي بن جبريل القيم أبو حفص

ذكره السلفي في معجم السفر «جستر بتي» في ترجمة راشد بن علي ابن راشد المقرئ الأسد آبادي .

وذكره الذهبي في السير ٢٥٦/١٦ فيمن يحدثون عن ابن السني، وفي ٢٥٧/١٦ حديث يرويه السلفي عن أحمد بن محمد بن مردويه عن علي بن عمر الأسد آبادي عن أبي بكر السني .

وانظر في ترجمة راشد بن علي بن راشد المقرئ سير أعلام النبلاء . ١٣/٢١

شيوخ أستراياد

رقم ٣٦ ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي أبو الفضل

انظر الأنساب ٢٤١/٤ وفيه أنه ورد نيسابور وحديث بها، وانظر أعيان الشيعة ٣٦٥/٦ ومعجم الرجال للخوئي ١٧٦/٩ (٦٠٣٤) وأبوه الداعي كان من أئمة الحديث وكذا ولده ظفر، قال السمعاني هؤلاء أهل بيت من علماء الحديث من الإمامية بأستراياد .

وفي معجم الرجال: أبو الفضل ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي العُمري الأسترآبادي: فقيه، ثقة، صالح قرأ على الشيخ أبي الفتح الكراجكي . وقد ترجم له السلفي في معجم السفر ولم يذكر سنة وفاته وذكر الحديث الذي يرويه في الوجيز [١٨] بروايته . وانظر الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٢٠ .

شيوخ خراسان

رقم ٣٧ أبو بكر عبد الغفار بن محمد بن الحسيني الشيروي (كذا في الأصل والشذرات وسير أعلام النبلاء وفي الأنساب ٤٩٩/٣ ضبط نسبه فقال: «بكر الشين وسكون الياء آخر الحروف وضمّ الراء وسكون الياء وفي آخرها ياء أخرى، وهي نسبة إلى شيرويه جدّ» وعلى ذلك فهو: الشيرُويّ انظر سير أعلام النبلاء ٢٤٦/١٩ - ٢٤٨ وشذرات ٢٧/٤ والنجوم الزاهرة ٢١٣/٥.

وذكر السلفي في شيوخ بغداد عدداً من الشيوخ الذين تولى أخذ إجازتهم له الشيخ أبو نصر اليونارتي وقال: ولم يَقَعْ إليّ حديث واحد منهم، ومن جملتهم:

- ١ - أبو بكر أحمد بن الحسين بن كيلان لم أقف له على ترجمة.
- ٢ - كامل بن بارح بن خطلح الشهابي التركي لم أقف له على ترجمة.
- ٣ - أبو غالب بركة بن أحمد بن عبد الله الواسطي.
- ٤ - أبو الفتح عبد الواحد بن علوان بن عقيل الشيباني سمع أبا نصر أحمد ابن محمد بن حسنون وعثمان بن دُوست وآخرين. مولده سنة ٤٠٣ هـ، وعن شجاع الدُّهلي أنه توفي في رجب سنة ٤٩١ هـ انظر سير أعلام النبلاء ١٢٨/١٩ والمتنظم ١٠٦/٩ - ١٠٧.
- ٥ - فلان بن هبة الله بن محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي. لم أقف له على ترجمة.
- ٦ - أحمد بن الحسين بن الحسين بن أبي قلاذ الحريمي لم أقف له على ترجمة.

٧ - أبو الحسن علي بن أبي القاسم الدينوري الزاهد
سمع أبا الحسن القزويني وأبا طالب بن غيلان . . . وحدث عنه كما يذكر
الذهبي أبو طاهر السلفي ، وتوفي سنة ٥٢١ هـ

سير أعلام النبلاء ١٩/٥٢٥ - ٥٢٦

المنتظم ١٠/٧ وشذرات ٤/٦٤

٨ - محمد بن الحسين بن عبدالله بن هريسة البزار
لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى تَرْجُمَةٍ .

٩ - الحسين بن أحمد بن أيوب العكبري لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى تَرْجُمَةٍ .

١٠ - هبة الله بن عبد الرزاق بن محمد بن عبدالله بن الليث الأنصاري الأوسي
الأشعري ثم السَّعْدِي البغدادي .

سمع جزء الحفار من صاحبه هلال بن محمد بن جعفر وسمع من أبي
الحسين بن بشران . . . وأجاز للسلفي .

ولد سنة ٤٠٢ هـ وتوفي سنة ٤٩١ هـ وكان من ذوي الهيآت ومن قُرَّاء
المواكب، صحيح السماع

تذكرة الحفاظ ٤/١٢٢٩ ، سير أعلام النبلاء ١٩/٤٤-٤٥ شذرات

٣/٣٩٧

وَمِمَّنْ لَمْ أَقِفْ لَهُمْ عَلَى تَرْجُمَةٍ مِنْ شُيُوخِ الْبَصْرَةِ .

١١ - أبو طاهر محمد بن محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن علي بن
مضر بن حباب العبدي الزاهد، ويُعرف بابن محمودية .

ومن شيوخ مكة

١٢ - أبو زيد الحسن بن علي بن الفضل الطبري [الأُملي]

١٣ - نُبِتَ بِنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ النَّهْدِيِّ الْيَمَنِيِّ

يقول عنه السلفي : «نبت من الأسماء المفردة ولا أعرف له سمياً . . . ولد

في اليمن وقطن مكة . . ولم يرحها إلى أن توفي بها .

وقد كان حياً في سنة ٥٢٦هـ كما يذكر السلفي .

ومن شيوخ الموصل :

١٤- أبو القاسم نصر بن محمد بن أحمد بن صفوان الذهلي الموصللي -
لم أقف له على ترجمة .

ومن شيوخ همذان :

١٥- عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بن دار - لم أقف له على ترجمة .

١٦- أبو الفرج محمد بن علي بن محمد بن المعرم - لم أقف له على ترجمة .

١٧- عبد الغفار بن محمد - لم أقف له على ترجمة .

١٨- محمد بن جابار بن علي ويعرف بوفا

ذكره الذهبي في المشته ١/٢٥٥ وذكر أنه زاهد من أصحاب الشبلي .

١٩- نصر بن محمد بن علي بن زيرك

ترجمة والده في سير أعلام النبلاء ١٨ / ٤٣٣ - ٤٣٥ .

وإني أذكر في نهاية هذه التعليقات الأماكن التي ورد فيها ذكر

للسلفي في معجم الأدباء لياقوت الحموي ط . دار السامون .

١ / ١١١ ، ١٥٤ ، ٢٠٢ - ٤ / ٣٣ ، ٥٣ ، ٨٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ - ٥ /

٦١ - ٦ / ١٢٨ - ٧ / ٣٢ ، ٢٤٧ - ٨ / ١٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٨

- ١٠ / ٢١٨ - ١١ / ٨١ ، ٢٣٥ - ١٢ / ٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٧

- ١٣ / ٣٢ ، ٢٥٩ - ١٤ / ٨ ، ٩٨ ، ٢٤٥ - ١٥ / ٦٧

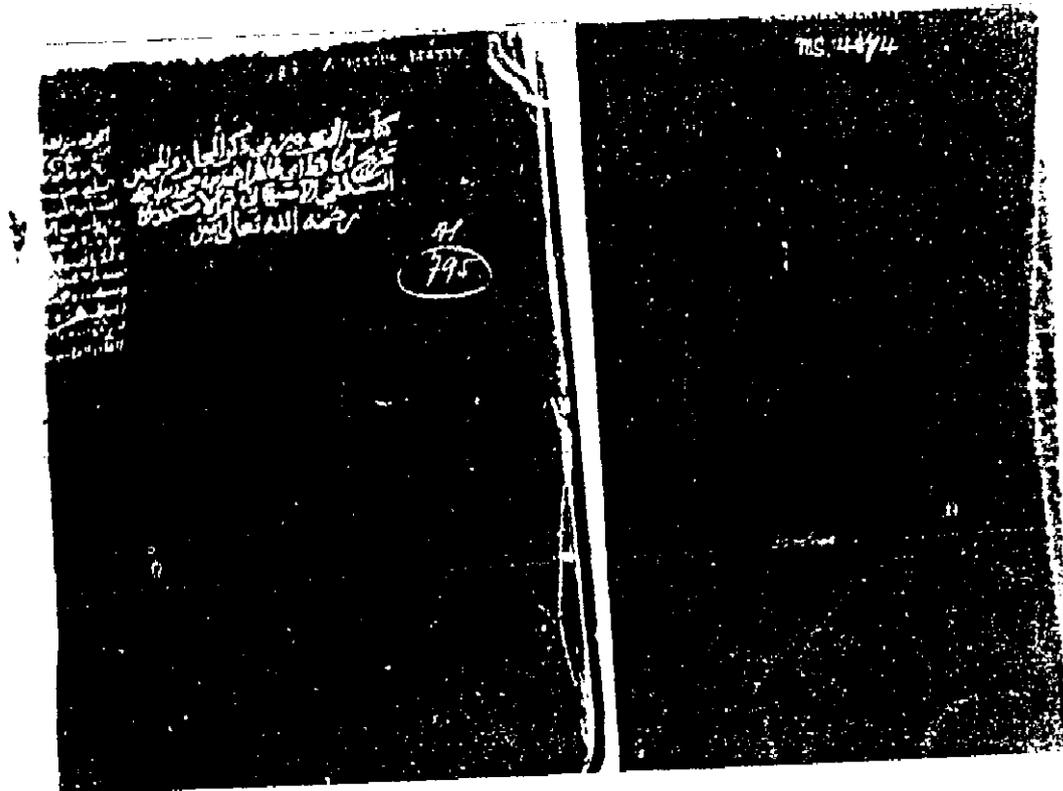
هذا ما انتهى إليه جهدي ، جهد المُقِلِّ في التعقب على مقالة الأستاذ

جورج فاجدا في تحليل كتاب «الوجيز في ذكر المجاز والمجيز» لأبي طاهر

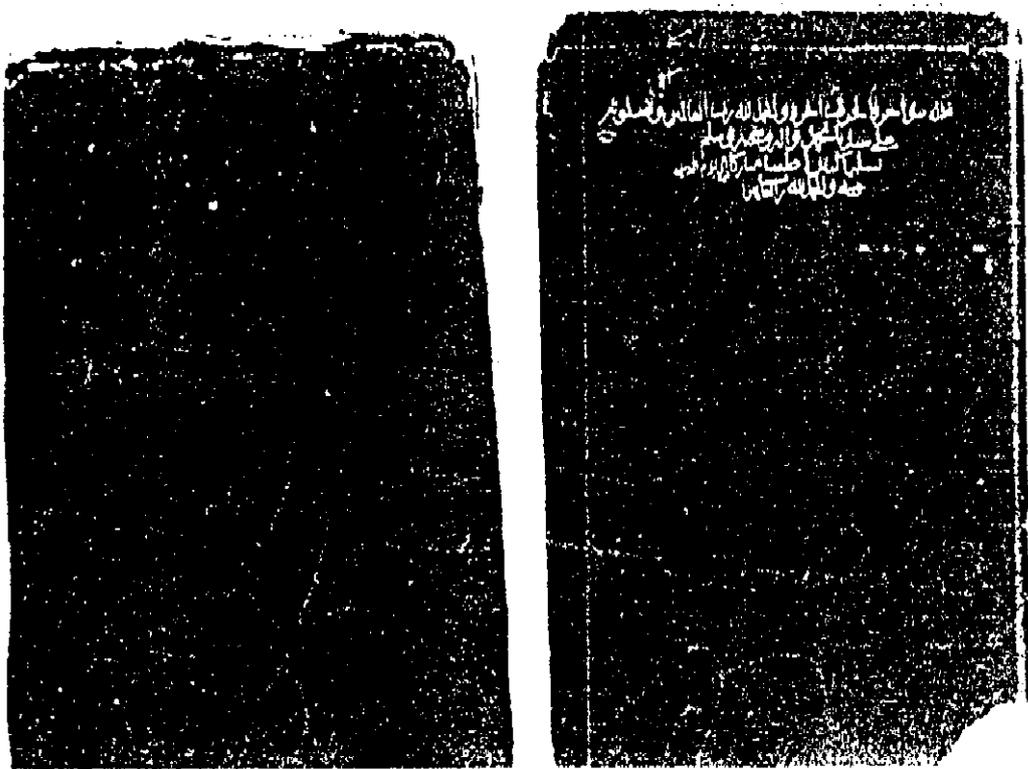
السلفي . وقد ذكرتُ أسماء الشيوخ الذين لم أقف لهم على ترجمة أملاً أن تنتهي

إلي ملاحظات قراء مجلة مجمع اللغة العربية الأردني حَوْل ما صنعت ، وإن الله

لا يضيع أجر المحسنين . محمد خير البقاعي



الورقة الأولى من كتاب الوجيز
«نسخة جستر بتي»
ويبدو عليها عنوان الكتاب



الورقة الأخيرة من كتاب الوجيز
«نسخة جستر بتي»

ثالثاً: تعليقات ومناقشات

ديوان عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - نقد واستدراك

عبد الكريم الحبيب
جامعة البعث

تعود علاقتي بشعر الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة الأنصاري - رضي الله عنه - إلى أيام الدراسة الجامعية، حيث كنت أرى خللاً معيناً ينتج عن عدم التوفيق بين أخباره وأشعاره، فقد صورته المصادر التاريخية والأدبية شاعر الدعوة الإسلامية عندما تحدثت عن أخباره، فطالما أنشد الرسول ﷺ أشعاره ورددها المسلمون، غير أننا إذا سألنا تلك المصادر عن أشعاره وجدناها قليلة لا تتناسب وأخباره، مما دفعني إلى الاهتمام بجمع شعره وتتبع المظان التي ذكرته، ومن خلال ذلك السعي المتثد وقعت على ديوانه لدى أحد الأصدقاء وقد جمعه الأستاذ الدكتور حسن محمد باجودة، ففترت همة البحث لدي، وعندما قرأته وعدت إلى بطاقتي وجدت بعض المقطوعات الشعرية قد أسقطت من يد الباحث مما حدا بي إلى مواصلة البحث في المصادر والكتب التي لم يعد إليها الدكتور باجودة. وقد أخفيت ذلك سنوات حتى أشار عليّ بعض الأصدقاء إعداد هذا الاستدراك بمقالة تكون تكميلاً للجهود السامية التي بذلها الدكتور باجودة، وتكمل الديوان، مما جعلني أعود إليها وأضمم شتاتها في ملاحظات واستدراكات، وفيها نفع إن شاء الله تعالى.

ملاحظات على الدراسة:

أولاً: كان وقوف الدكتور باجودة على معالم شخصية ابن رواحة وقوفاً مقتضباً لا ينقع غلّة ولا يفي الدارس حاجته، ولا يكون صورة واضحة عن حياته الإسلامية خاصة، لأنه لم يستفصّل المصادر في ذلك فأضحت شخصيته

الإسلامية غائمة يكتنفها الغموض ، في حين أطنب الباحث في دراسة مناقضاته مع قيس بن الخطيم في الجاهلية . (١)

ثانياً : لم يقف الأستاذ الباحث على حياته الاجتماعية ، بل اكتفى بإيراد نسبه وشذرات بسيطة عنه كخؤولته للنعمان بن بشير (٢) ، وما هو معلوم أن إضاءة جوانب حياة الشاعر يوضح كثيراً من شعره وشخصيته .

ثالثاً : أجاد الأستاذ الباحث في دراسة شعر عبد الله من الناحية المعنوية والموضوعية ، ولو تناوله من الناحية الفنية لاكتملت الدائرة وتمت الفائدة .

ملاحظات على الديوان :

أول ما يؤخذ على الباحث ترتيبه الديوان حيث قام بترتيبه هجائياً وهي طريقة علمية بحتة ، ولكن لشاعرٍ في عصرٍ واحد ، أما شاعرٍ مخضرم كابن رواحة فينبغي أن يُشار إلى قصائده الجاهلية والقصائد التي قالها في الإسلام لتظهر للقارئ صورته وأبعادها ، أو أن تكون القصائد الجاهلية مفردة عن القصائد الإسلامية ، حتى يعرف القارئ سماته الموضوعية ، غير أن الأستاذ الباحث خلط في ذلك فكانت تأتي المقطوعات وفق الترتيب الهجائي فضيِّع علينا كثيراً من المتعة ، دون قصد إلى ذلك .

ثانياً : لم يقف الأستاذ الباحث على كثير من مناسبات القصائد إلا ما تيسر له الوقوف ، ومناسبة النص توضح إشكالاته المعنوية كما هو معروف .

ثالثاً : وقف الأستاذ الباحث على بعض مصادر شعره ولم يستقص في ذلك ، لأن الاستقصاء يوقفنا على كثير من الاختلاف في رواية الأبيات ، كما سأبين إن شاء الله .

رابعاً : بالرغم من الجهود المشكورة التي بذلها الأستاذ الباحث في جمع الشعر إلا أنه قد فاته بعض شعره ، وهو عبارة عن أبيات سقطت من المقطوعات التي أوردها (٣) أو مقطوعات كاملة - كما سيظهر من استدراكنا هذا إن شاء الله - لم يرد ذكرها في الديوان المجموع .

أولاً : مستدرك الدراسة

- ١ - بعض ما فات الباحث عن أسرة ابن رواحة - رضي الله عنه : -
* لقد تحدثت المصادر أن لعبد الله بن رواحة أختاً اسمها عمرة بنت رواحة
ويثبت ذلك تغزل قيس بن الخطيم بها في قوله :
أجدّ بعمرة غنياًها فتهجر أم شأننا شأنها(٤)
وعمرة هذه أم الصحابي الجليل النعمان بن بشير كما أشار الأستاذ الباحث في
بداية التعريف بشخصية ابن رواحة .

- * كذلك فلا بن رواحة من الأخوة الصحابي الجليل أبو الدرداء وهو عويمر بن
عامر - وقد أغفله الباحث - وهو أخوه من أمه كما يظهر من المصادر،
وعويمر هذا روى عن الرسول الكريم ﷺ كثيراً من الأحاديث وشهد
أحدًا، حتى قال فيه السيد الرسول عليه الصلاة والسلام «نعم الفارسُ
عويمر» وقال عنه «هو حكيم أمتي»(٥) .
* ولا بن رواحة أيضاً أخٌ من أمه كذلك يسمى ثابت بن قيس بن شماس ،
وهو ابن قيس خطيب الأنصار المعروف ومن أصحاب رسول الله ﷺ
المقربين(٦)

- ٢ - بعض ما فات الباحث عن حياة ابن رواحة في الإسلام :
وهي مجموعة من الأخبار التي أوردتها المصادر تفصح عن قيمته السياسية
والاجتماعية بالإضافة إلى قيمته الإسلامية وما اتصف به من ورع وتقوى
وشاعرية سامية تدل على مكانته في الإسلام وجهوده في نشر الدعوة
الشريفة، ومن ذلك أن الرسول الكريم ﷺ أرسله بشيراً إلى أهل العالية -
وهم بنو عمرو بن عوف وخطمة ووائل - يزف إليهم البشرى بالنصر
يوم بدر(٧) .

- * كذلك في غزوة بدر الآخرة فإن الرسول ﷺ قد استخلفه على المدينة أثناء
غيبته التي دامت ستة عشر يوماً كان فيها ابن رواحة أميراً لا ينازعه في

ذلك أحد، وقد أثبت أنه أهل للاستخلاف والأمانة(٨).

★ كما أرسله الرسول ﷺ خارصاً للتمر - أي مقدراً له - وشدّد في مهمته على اليهود فحاولوا أن يرشوه بحلي زوجاتهم فلم يفلحوا في ذلك فأنبهم وغاضبهم في حديث طويل(٩).

★ كما أرسله الرسول ﷺ إلى خيبر يستطلع أخبار أسير بن رزام اليهودي الذي أشار على اليهود بحيلة لقتل السيد الرسول صلوات الله عليه، وكان عبد الله في نفر، فطلب من أسير القدوم إلى رسول الله ﷺ ليستعمله على خيبر فطمع في ذلك. وبعد مسيره معهم فطن إلى الخطة فحاول الغدر بابن رواحة غير أن عبد الله سبقه وبتر قدمه ثم قتله وأصحابه جميعاً، وأصيب عبد الله في رأسه فدعا له الرسول ﷺ وأعطاه قطعة من عصاه وقال له «امسك هذه علامة بيني وبينك يوم القيامة، أعرفك بها، فجعلت في قبره حين مات»(١٠).

★ وما يروى عنه أنه كان صلب العقيدة سباقاً إلى العبادة، فقد حدّث أخوه أبو الدرداء قائلاً: «إن كنا لنكون مع رسول الله ﷺ في السفر، في اليوم الحار، ما في القوم صائم إلا رسول الله وعبد الله بن رواحة(١١).

★ وكان إذا دخل بيته صلى ركعتين وإذا خرج صلى ركعتين أيضاً كما قالت زوجته في حديث طويل(١٢).

★ وما يثبت رسوخ عقيدته وحسن منزلته في نفس السيد الرسول عليه الصلاة والسلام كثرة ما ذكره وما تمثّل من شعره كما تبين المقطوعات في الديوان وما استدركناه، كما أثر عن السيد الرسول أنه أكثر من الدعاء له في مواطن كثيرة كما تذكر المصادر، ومن ذلك أنه كان يقول دائماً «نعم عبد الله بن رواحة» ويقول «رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ»(١٣).

ولو حاولنا استقصاء ذلك لطال بنا المقام كثيراً، ويستطيع من أراد

الزيادة العودة إلى المصادر التي ذكرناها في إحالات هذا البحث وكلها تدل على معالم شخصية ابن رواحة ومكانتها السامية في الإسلام.

ثانياً : مستدرك تخريج الديوان

سأحاول أن أخرج المقطوعات التي وردت في الديوان مراعيًا ترتيب الأستاذ الدكتور باجودة من المصادر التي لم يُعَدَّ إليها محاولاً استقصاء تلك المصادر متبعاً المنهج التالي :

- ١ - أذكر مناسبة القصيدة أو المقطوعة إن لم تكن مذكورة في الديوان .
- ٢ - أذكر روايات الأبيات إلى جانب المصدر الذي أذكره مما لم يذكره الدكتور باجودة .
- ٣ - إذا كانت هناك بعض الشروح والتعليقات التي تفيد النص أذكرها في نهاية التخريج .
- ٤ - سأشير في بداية كل مقطوعة إذا كانت من شعره الجاهلي أو الإسلامي . وإذا كان هناك استدراك لبعض أبياتها سأذكر عبارة «انظر مستدرك الشعر» .

والله أسأل أن يعصمني من الزلل

١ - المقطوعة (*) ص ٧٩

من شعره الإسلامي ، قالها عندما خرج في سفره إلى مؤتة وكان قد أردف زيد بن أرقم على حقيبة رحله ، وفي إحدى الليالي سمعه زيد ينشد الأبيات .

٢ - القصيدة (*) ص ٨١ - ٨٢ من شعره الإسلامي .

ورد في مناسبتها : أن عباس بن مرداس السلمى قال يمتدح رجال بني النضير عقب إخراجهم من المدينة سنة أربع للهجرة ويرد على قصيدة لخوات ابن جبير هجا فيها يهود المدينة ومطلع ما قاله عباس :

هجوت صريح الكاهنين وفيكم لهم نعم كانت من الدهر ترتبا

وهي كاملة في السيرة ٢١٢/٣ .

فأجابه عبد الله بن رواحة . . . الأبيات . وهي في الروض الأنف
٢٢١/٦ وفي ديوان كعب بن مالك (١٧٦) وقد نسبت لهما .

٣ - القطعة (*) ص ٨٢ - ٨٣ من شعره الجاهلي .

عندما تحالفت قبائل اليهود، قريظة والنضير مع الأوس والخزرج في يوم
بعث فانهزمت الخزرج، ويقال إن الأوس قد امتعت عن انتهاب بيوت
الخزرج وإنما سلبهم بنو قريظة والنضير، فذكر قيس بن الخطيم ترفع قومه عن
نهب خصومهم وقد قدروا على ذلك بقصيدته :

ردّ الخليل الجمال فانقضبا وقطعوا من وصالك السيبا
انظر ديوان قيس (١١١) وما بعدها . وانظر مستدرك الشعر .

٤ - الأرجوزة (*) ص ٨٧ من شعره الإسلامي .

وقد وردت في الكامل لابن الأثير ١٦٠/٢ ، وأسد الغابة ١٥٨/٣ ،
والبداية والنهاية ٢٤٥/٤ ، وسيرة دحلان ٢٧٣/٢ .

٥ - الأبيات (*) ص ٨٨ ، من شعره الإسلامي .

وهي في الكامل ١٥٨/٢ ، ويروى البيت الأول ذات فرع ، أي سعة .
وفي البداية والنهاية ٢٤٢/٤ ، وفي حلية الأولياء ١١٩/١ برواية البيت
الثالث : حتى يقولوا . . . أرشدك الله .

٦ - القصيدة (*) ص ٨٩ وما بعدها ، من شعره الجاهلي .

مناسبتها : أن الأوس والخزرج التقوا في الجاهلية في يوم الفضة وهو
موضع بالمدينة لبني خزيمة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى حجز الليل بينهم
فأفضلت الأوس على الخزرج يومئذ فقال قيس :

صرمت اليوم حبلك من كنبودا لتبدل وصلها وصلأ جديداً

والقصيدة في ديوان قيس (٨٩)، ويروى حبلها حبلأ . . ويروى كلودا .
وقد تداخلت هذه القصيدة مع شعر حسان وهي في ديوانه ٣١١ - ٣١٢ عدا
البيتين السادس ص ٩١ والأول ص ٩٢ وفق ترتيب الديوان ويروى البيت
٨٩/٣ في ديوان حسان على الشكل التالي:

ترقب عودة الفتيان حتى تصيدهم وتنوي أن تصيدا
والبيت ٥ ص ٨٩ يروى . . يزين معقد اللبّات منها شنوف . . والبيت ٣
ص ٩٠ يروى (مائلة رفودا)، والبيت ٦/٩٠ يروى (أكرمها وجودا) والبيت ٨
ص ٩٠ يروى (وأصدقها وأفاهها)، والبيت ٩ ص ٩٠ يروى (إذا دعوى
بيلدتنا استثتت) والبيت ٤ ص ٩٠ يروى (فما نبغي بقتلانا سواكم)، والبيت
٦ ص ٩١ يروى على الشكل التالي:

تركنا حجنا بغدير فقع ظرابي في مجالسها قعودا
وانظر مستدرك الشعر.

٧ - البيتان (*) ص ٩٢ من شعره الإسلامي .

وهما في الاستيعاب ٥١٢/٣، والروض الأنف ١٨٢/٦ .

٨ - القصيدة (***) ص ٩٣ من شعره الإسلامي .

وهي في الروض الأنف ١١/٧، وأسد الغابة ١٥٧/٣، وتفسير
القرطبي ٤٣/١، والأبيات (٢ - ٤ - ١) في البداية والنهاية ٢٤٢/٤ وسير
أعلام النبلاء ١٦٨/١، و (٢ - ٣ - ٤) في سيرة دحلان ٢٧١/٢

٩ - البيت (*) ص ٩٥، من شعره الإسلامي .

وهو في ديوان حسان (١٠١)، والاستيعاب ٩٠٢/٣، وأسد الغابة
١٦٠/٣ وقد ورد في تلك المصادر مُرَجَّحاً أنه لعبد الله بن الزبير وهو من
أبيات عدة يعتذر فيها للرسول ﷺ وقد جاءه مسلماً .

١٠ - البيت (***) ص ٩٥ من شعره الإسلامي .

وهو في عيون الأخبار ٢٢٤/١ غير منسوب، وفي الإصابة: ٣٠٧/٢ .
انظر مستدرك الشعر .

١١- البيت (*) ص ٩٦، من شعره الجاهلي .

وهو يتيم في الكامل لابن الأثير ٣٠٧/١ .

١٢- الأبيات (***) ص ٩٦، من شعره الإسلامي .

وقد ورد في تفسير القرطبي ٢٠٩/٥ ورواية البيت الأول فيه :

أتانا رسول الله يتلو كتابه كما لاح مشهور من الصبح ساطع
وورد الثاني فيه برواية: (أق بالهدى) ، وهي في البداية والنهاية
٢٥٨/٤ .

١٣- البيت (***) ص ٩٦، من شعره الإسلامي .

وهو في البداية والنهاية ٥٤/٤، والاكتفاء، ١٢٣/٢، والروض الأنف

١٠١/٦ وروايته في تلك المصادر على الشكل التالي :

فسرنا إليهم جهرة في رحالهم ضحياً علينا البيض لا تتخشعُ
وانظر مستدرك الشعر .

١٤ - الأبيات (*) ص ٩٧، من شعره الإسلامي .

وردت في الأصنام (٤٤)، والأغاني ١٥٢/٤، وفي تهذيب ابن عساكر

٣٩٣/٧ ورد الأول والثاني وورداً أيضاً في سير أعلام النبلاء ١٧١/١ .

برواية الثالث:

وإن أبا يحيى ويحيى كلاهما له عمل من ربه متقبَّلُ .

وانظر مستدرك الشعر .

١٥- البيتان (***) ص ٩٧، من شعره الجاهلي .

١٦- القصيدة (*) ص ٩٨، من شعره الإسلامي .

وردت في البداية والنهاية ٥٩/٤، وتفسير القرطبي ١٨٩/٤، والروض الأنف ١٢٥/٦، وسمط النجوم العوالي ١١١/٢، وفي الاستيعاب ٢٧٥/١، عدا البيتين (١٣ - ١٤) وفي الإصابة ٣٥٤/١ ورد الأول والثاني برواية (لحمزة ذاكم الرجل . . .) وورد الخامس في الاستيعاب برواية: (بخالطها نعيم) والخامس عشر (الواله العبرى الثكول)، وفي تفسير القرطبي ورد السادس عشر قبل الخامس عشر.

١٧- البيتان (*) ص ٩٩، من شعره الإسلامي .

وردا في تهذيب ابن عساكر ٣٩٣/٧، والروض الأنف ١٤/٧،
وبدأية والنهاية ٢٤٣/٤ .

وانظر مستدرك الشعر.

١٨- البيت (*) ص ١٠٠، من شعره الإسلامي .

ورد في الروض الأنف ١٢/٧، وفي البداية والنهاية ٢٤٢/٤ .

١٩- الأبيات (*) ص ١٠١، من شعره الإسلامي .

وردت في تفسير القرطبي ١٥١/١٣، وفي سير أعلام النبلاء ١٦٩/١،
وفي البداية والنهاية ٢٢٧/٤، وفي شرح شواهد المغني ٢٩٠، وفي سمط
النجوم العوالي ١٦٧/٢ . وقد اختلفت رواياتها كثيراً حيث إنه لا توجد أبيات
مختلفة الرواية مثلها وقد ذكر بعضاً من ذلك الدكتور الباحث في الديوان .

انظر مستدرك الشعر.

٢٠- القصيدة (*) ص ١٠٢، من شعره الإسلامي .

مناسبتها: عندما نزل الناس في غزوة مؤتة في معان من أرض الشام
ورأوا كثرة جيش العدو، قال الأبيات مُحَمَّساً إياهم .

وهي في تهذيب ابن عساكر ٣٩٤/٧، ما عدا الأخير، وفي الروض
الأنف ١٢/٧.

وفي شرح شواهد المغني ٩٣٢، حيث يروى الأول ص ١٠٤ :

وفقا لله أعينهم فجاءت عوابس والغبار لها يزيم

ويروى الثاني ص ١٠٤ فيه أيضاً: (برزت فوارسها النجوم)

٢١- القصيدة (*) ص ١٠٤، من شعره الإسلامي.

وهي في البداية والنهاية ٣٣١/٣ وقد نسبت لأبي خيثمة أيضاً.

٢٢- الأبيات (*) ص ١٠٦، من شعره الإسلامي.

وردت في أمالي اليزيدي ١٠٢ برواية البيت الثالث : (وتحملة ثمانية

شداد). وفي سير أعلام النبلاء ١٧١/١.

٢٣- الأبيات (***) ص ١٠٦، من شعره الإسلامي.

وردت الأبيات (١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٨ - ٩) في تهذيب ابن عساكر

٣٩١/٧. و١، ٢، ٨، ٩ في تفسير القرطبي ١٣٠/٤، والبيتان الأولان في

سير أعلام النبلاء ١٧٠/١، و(١، ٢، ٨، ٩، ١٠) في البداية والنهاية

١٨٧/٤، و(١، ٢، ٣، ٤، ٨، ٩) في الروض الأنف ٥٠٠/٦. وهي أيضاً في

سيرة دحلان ٣/٢، وشرح شواهد المغني ٢٨٧ وسمط النجوم العوالي

١٢٨/٢، وفي إمتاع الأسماع ٢٢٢/١. وورد فيها خلاف كثير في الرواية

تضييق مقالتنا عنه.

وانظر مستدرك الشعر.

٢٤- الأبيات (*) ص ١٠٨، من شعره الإسلامي.

وردت في صفة الصفوة ١٩٣/١، ورد السادس برواية (ويا نفس مالك

تكريهين الجنة) ولا يقوم به الوزن. وفي أسد الغابة ١٥٩/٣ برواية الأول:

(أقسم بالله لتنزله) والرابع (وقد أجلب الناس).

٢٥- الأبيات (*) (١٠٧)، من شعره الإسلامي .

وكان يتمثل بها المسلمون في يوم الخندق، وهي في فتح الباري ٣٠٤/٧ وفي الروض الأنف ٣١٠/٦، وفي البداية والنهاية ٩٧/٤، وفي سمط النجوم العوالي ١٢٩/٢، وإمتاع الأسماع ٢٢/١ .

٢٦- الأبيات (*) ص ١٠٩، من شعره الإسلامي .

وهي في الاكتفاء ١٥٦/٢، والروض الأنف ٢٢٩/٦، والبداية والنهاية ٨٨/٤، وفي ديوان حسان ٣٩٧ البيت السادس . وفي شرح شواهد المغني ٦٤١، حيث يروى البيت الأخير فيه :

أتانا فلم نعدل سواء بغيره نبي بدا في ظلمة الليل هاديا
كما نسبت لكعب بن مالك وهي في ديوانه ٢٩١ . .

ثالثاً : مستدرك الشعر

من خلال البحث في المظان التاريخية والأدبية عثرت على بعض المقطوعات الشعرية التي تنسب إلى عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - وقد خلا الديوان منها، بالرغم من الجهود العظيمة التي بذلها جامع الدكتور باجودة، وهذا ما جعلني آخذ عليه تسميته للديوان، لأن لفظة «ديوان» تشمل كل ما قاله الشاعر، لذا حبذا أن يطلق عليه تسمية «شعر عبد الله بن رواحة»، ولا اعتبر جهدي هذا إلا تكميلاً لجهوده، لذا أقدمه هدية متواضعة له من أجل العلم والأدب والتاريخ، والفضل له في ذلك، ولا أدري قد تظهر كتب ومخطوطات تتم عملنا هذا . والله ولي التوفيق في العلم والعمل .

أما عن ترتيب هذا المستدرك فإني سأقوم بترتيب المقطوعات التي خلا منها الديوان أولاً وفق ترتيبها الزمني لأنها جميعها من شعره الإسلامي . ثم أذكر الأبيات التي عثرت عليها وقد سقطت من مقطوعات الديوان، وسأشير إلى موضعها من حيث الترتيب في المقطوعات، وفي كلتا الحالتين سأذكر مناسباتها

إن وُجِدَتْ، والمصادر التي تضمها وما يتعلق بشروح بعض مفرداتها، وما يتطلبه التحقيق العلمي .

أ - الشعر الذي لم يرد في الديوان

- ١ - أورد القرطبي في تفسيره ٧٩/٧ البيت التالي منسوباً إلى ابن رواحة :
عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غيايات الكرى .
- ٢ - كان المسلمون منهمكين في بناء مسجد قباء فور وصول الرسول عليه السلام إلى المدينة وقد أقام في قباء في بني عمرو بن عوف في يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس أسس خلالها مسجده .
وأثناء البناء كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ينشد هذه الأبيات والرسول الكريم عليه السلام يردد وراءه قافية كل بيت :

أفلح من يعالج المساجدا
ويقرأ القرآن قائماً وقاعدا
ولا يبيت الحليل عنه راقدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

تخریجها: الأبيات (١ - ٢ - ٤) في السيرة ١٤٢/٢ . وقد ذكر ابن إسحق أن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - كان يرتجز بهذه الأبيات عند بناء مسجد قباء، وعلق ابن هشام قائلاً: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا قول ابن إسحق فلا يُدرى أهو قائله أم غيره، وقال ابن إسحق: فأخذها عمار بن ياسر - رضي الله عنه - فجعل يرتجز بها .

كذلك الأبيات (١ - ٢ - ٣) في وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى

٢٥٤ - ٢٥٣/١

- ٣ - كان المسلمون مع رسول الله ﷺ في الخندق ينقلون التراب وهم ينشدون قول عبد الله رضي الله عنه .

لاهُمَّ إن العيش عيش الأخره
فارحم الأنصار والمهاجرة
والعن إلهي عَضلاً والقارة^(١)
هم كلفونا ثقل الحجارة

التخريج :

الآيات في السيرة ١٤٢/٢ ، وابن سعد ٢٥٢/٣ برواية (اللهم لا خير إلا خير الآخرة) (فانصر الأنصار والمهاجرة) . ، وفتح الباري ٣٠٣/٧ ، وصحيح البخاري ١٤٣١/٣ ، وصفة الصفوة ٥١/١ ، والبداية والنهاية ١٨٧/٣ برواية : (لاهم إن الأجر أجر الآخرة) ووفاء الوفا ٢٥٣ ، وسيرة دحلان ٣/٢ ، وسمط النجوم ١٢٨/٣ .

٤ - قال ابن رواحة يذكر حديث الإفك وما لقيه حسان بن ثابت إبان غزوة بني المصطلق :

لقد ذاق حسان الذي هو أهله	وحنة إذ قالوا هجيراً ومسطح ^(٢)
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم	وسخطة ذي العرش الكريم فآترحوا
وآذوا رسول الله فيها فجلبلوا	مخازي تبقى عمموها وفضحوا
وصبت عليهم محصدات كأنها	شأبيب قطر من ذرا المزن تسفح

(١) عَضَلُ والقارة : بنوالمون بن خزيمه بن مدركة ، قالوا للرسول ﷺ إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً يفقهونا في الدين فبعث معهم رسول الله سنة من أصحابه فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع غدروا بهم ، والخبر بتمامه في المصادر السابقة .

(٢) حنة : هي حنة بنت جحش ، ومسطح بن أنثة ممن أنفصحا بالفاحشة مع حسان . والهجر : الهجر وهو القول الفاحش .

التخريج :

الآبيات في السيرة ٣/٣٢١، والروض الأنف ٦/٤٢٠، والبداية والنهاية ٤/١٦٣، وسمط النجوم ٢/١٢٦، والتنبيه والإشراف (٢١٥) برواية الثاني: (فأبرحوا) من البرح وهو الشدة، والاكتفاء ٢/٢٣٢ برواية الأول (الذي كان أهله).

٥ - في عمرة القضاء دخل الرسول ﷺ مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بمحجته، والمسلمون يشتدون حوله وعبد الله بن رواحة يقول:

بسم الذي لا دين إلا دينه
بسم الذي محمد رسوله
أنا الشهيد أنه رسوله

التخريج :

الآبيات في البداية والنهاية ٤/٢٢٩، وفي الطبري ٣/٢٤ برواية البيت الثالث: (إني شهيد أنه رسوله).

٦ - وقال ابن رواحة :

عدمت بنيتي إن لم تروها تشير النقع من كنفى كداء
التخريج :

البيت في تفسير القرطبي ٢٠/١٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٦٩.

وفي المصادر كلها نسبته إلى حسان من قصيدة يهجو بها أبا سفيان
مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء
انظر القصيدة في ديوانه ١/١٧ والبيت: عدمنا خيلنا . موعدها كداء .
وانفرد القرطبي فقط بنسبة البيت إلى ابن رواحة . والله أعلم .

٧ - قال عبد الله يمدح أبا الهيثم مالك بن التيهان رضي الله عنها عندما نزل الرسول ﷺ عنده وقدم له رطباً وطعاماً، فقال: (هذا - والذي نفسي بيده

- من التعميم الذي تسألون عنه يوم القيامة):

فلم أر كإسلام عزاً لأمّة
نبيّ وصدّيق وفاروق أمّة
فوافوا لميقاتٍ وقدر قضية
إلى رجلٍ نجدٍ يباري بجوده
وفارس خلق الله في كل غارة
ففتدى وحيّاً ثم أدن قراهم
ولا مثل أضياف الأراشيّ معشرا
وخير بني حواء فرعاً وعنصرا
وكان قضاء الله قدراً مقدراً
شموس الضحى جوداً ومجداً ومفخرا
إذا لبس القوم الحديد المسّما
فلم يقرهم إلا سميئاً متسّما

التخريج :

الآبيات في تفسير القرطبي ١٧٥/٢٠، والأول في الروض الأنف
٩٥/٤ وشرح المواهب اللدنية ٣٧٨/١. ويروى الثاني في القرطبي (وخير نبي
جاء) ويروى الثالث: (وكان قضاء الله امرأ مقدراً).

٨ - وقال يمدح النبي ﷺ :

تحمله الناقة الأدماء معتجراً
وفي عطافيه أو أثناء برده
بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم
ما يعلم الله من دين ومن كرم

التخريج :

البيتان في العمدة ١٣٦/٢ منسوبان إلى كعب بن زهير وهما غير موجودين
في ديوانه، ويروى الثاني (أو أثناء ريطته). وفي تحرير التحبير ١٠٨ والأول في
البديع في نقد الشعر ٣٠ برواية (جلى نوره الظلم).

٩ - وقال :

بدا لي أني لست مدرك ما مضى
ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً

التخريج :

في سيبويه ٨٣/١ و ١٥٤/١ وقد نسبه لصرمة الأنصاري مرة ولزهير بن
أبي سلمى أخرى. وفي الخصائص ٣٥٣/٢ بدون نسبة. وفي الخزانة ٦٦٦/٣

ينسب لابن رواحة وأورد البغدادي أن ابن خلف قال: والصحيح أنه لابن صرمة.

ب : الشعر الساقط من مقطوعات الديوان

١ - في آخر القطعة (*) ص ٨٣، ورد البيت التالي :

نحن حماة الأطم في سالف الدهر وقدماً سقناكم حُنباً

وهو في حاشية ديوان قيس بن الخطيم (١١١) والأطام والآطام: الحصون، وقيل هي الدور المسطحة السقوف، وكانت الأوس والخزرج تتمتع بها، والحنب، والتحنب: احديداب في الأضلاع ويقال: حنبه الكبر وحناه إذا نكسه.

٢ - في نهاية القصيدة (*) ص ٨٩ ورد البيت التالي :

تركن مجمّعاً وبني أبيه إماءً يحتلبن الضأن سوداً
وهو في ديوان حسان ٣١٢ .

٣ - تنمة للبيت اليتيم (***) ص ٩٥ ورد البيت التالي :

فشيت الله ما آتاك من حسنٍ قفوت عيسى بإذن الله والقدر
وهو في العقد الفريد ٧٨/٥ .

٤ - تنمة للبيت اليتيم (***) ص ٩٦ ورد البيت التالي :

وجئنا إلى موج من البحر زاخِرٍ أحابيش منهم حاسرٌ ومقنّع
وهما في البداية والنهاية ٥٤/٤، والاكتفاء ١٢٣/٢، والروض الأنف ١٠١/٦، وديوان كعب بن مالك من قصيدة طويلة (٢٢٢)
والأحابيش: جماعات من قبائل شتى.

٥ - البيت الرابع والخامس من القطعة (*) ص ٩٧، هما:

وأن الذي عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسل
وأن أخا الأحقاف إذ يعدلونه يجاهد في ذات الإله ويعدل

في ديوان حسان (١٨٦) وقد أشار المحقق إلى أنه ورد في هامش إحدى
نسخ الأصل وهي نسخة الخزانة التركية تحقيق نصّه أنها لابن رواحة مع
الآبيات الثلاثة ص ٩٧ .

٦ - تممة للبيتين (*) ص ٩٩ ورد البيتان التاليان :

بعد الأول ص ٩٩ ورد زيد داريّ الفلاة المجهل
والرابع فانقض زيد كاتقضاض الأجدل (١)
والآبيات الأربعة في تهذيب ابن عساكر ٣٩٣/٧ ، والروض الأنف
١٤/٧ ، والبداية والنهاية ٢٤٣/٤ .

٧ - وردت الآبيات التالية بعد البيت الثاني في القطعة (*) ص ١٠١

قد أنزل الرحمن في تنزيهه
في صحف تتلى على رسوله
بأن خير القتل في سبيله

ورد البيت الأول في طبقات ابن سعد ٥٢٦/٣ ، وورد مع الثالث أيضاً
في تهذيب ابن عساكر ، وكلها في البداية والنهاية ٢٢٧/٤ وشرح المواهب
اللدنية ٣٠٦/٢ .

٨ - في آخر أبيات القطعة (*) (*) ص ١٠٦ . وردت الآبيات التالية :

إننا إذا صبح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا

(١) الأحدث: العتاف .

وهي في صحيح البخاري ٢٧/٢، وسمط النجوم العوالي ١٥٦/٢ .
وفيها خلاف كثير جداً في الرواية تضيق مقالتنا به .

خاتمة

تلك محاولة متواضعة لإتمام الجهود المبذولة من قبل الأستاذ الدكتور باجودة، أضعها بين أيدي الباحثين وطلاب العلم، تراسها الإيمان بإحياء هذا التراث العظيم وإنصاف السلف الصالح الذي سقى الليل ماء عينيه سهراً وتأليفاً، وأخلص لله وللعقيدة بقلبه ولسانه، فالأجدر بنا أن نخلص له عندما نحاول رسم معالمه وتكوين صورة أدبية معينة .

ولا أبالغ إذا قلت إنني أعتقد أن الأيام ستظهر من أكفانها أشياء وأشياء لعلّ الجيل الآتي يتمم ما نصنع فتتألف الجهود وتتفق الغايات ونعوّض عما فات . وأعود فأقول إنني أقدم هذا الاستدراك هدية متواضعة للأستاذ الباحث الدكتور باجودة، راجياً أن يصفح عما ورد من إشاراتٍ وملاحظات لم يكن هدفها إلا الحقيقة .

والله أسأل الصفح والغفران

وبه تتم الصالحات

إحالات البحث

- (١) انظر الديوان ص ٣ وما بعدها .
- (٢) الديوان ص ١
- (٣) كما حدث في المقطوعة الثانية ص ٩٥ والتي بعدها والمقطوعة الأولى ص ٩٧ والثانية ٩٩ والأولى ١٠١ وغير ذلك .
- (٤) الأغاني ٢٨/١٦ ، وديوان قيس ٦٦ .
- (٥) شرح شواهد المغني ١٠٠/٢ .
- (٦) سير أعلام النبلاء ٢٢٤/١ .
- (٧) الروض الأنف ١٠٣/٥ .
- (٨) التنبيه والإشراف ٢١٤ ، وتهذيب ابن عساكر ٣٨٧/٧ .
- (٩) انظر الخبر في ابن عساكر ٣٩٢/٧ ، وسير أعلام النبلاء ٧٠/١ .
- (١٠) إمتاع الأسماع ٢٧١/١ .
- (١١) سير أعلام النبلاء ١٦٧/١ .
- (١٢) سير أعلام النبلاء ١٦٧/١ .
- (١٣) سير أعلام النبلاء ١٧٠/١ .

مصادر البحث

- ١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، تحقيق علي محمد الجاوي نهضة مصر، القاهرة، بلا تاريخ.
- ٢ - أسد الغابة: ابن الأثير، جمعية المعارف، مصر.
- ٣ - الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، طبع دار صادر، بيروت.
- ٤ - الأصنام: ابن الكلبي، تحقيق أحمد زكي، دار الكتب المصرية ١٩٢٤م.
- ٥ - الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، ١٩٣٦م.
- ٦ - الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٨م.
- ٧ - أمالي الزبيدي: أبو عبد الله محمد بن العباس الزبيدي، حيدر آباد الهند، ١٩٣٨م.
- ٨ - إمتاع الأسماع: المقرئ، تصحيح أحمد محمد شاكر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٤١.
- ٩ - البداية والنهاية: ابن كثير، بيروت، ١٩٦٦م.
- ١٠ - البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، طبعة القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد.
- ١١ - تحوير التعبير: ابن أبي الإصبع، تحقيق حفي محمد شرف، القاهرة: ١٣٨٣هـ.
- ١٢ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م.

- ١٣- التنبيه والإشراف: علي بن الحسين المسعودي، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، ١٩٣٨م.
- ١٤- تهذيب ابن عساكر: ابن بدران الشيخ عبد القادر الدومي الدمشقي الطبعة الأولى، المكتبة العربية بدمشق، بلا تاريخ.
- ١٥- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، الطبعة الأولى.
- ١٦- الخصائص: ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م.
- ١٧- ديوان حسان بن ثابت: تحقيق سيد حنفي حسنين، وحنس كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة: ١٩٧٤م.
- ١٨- ديوان قيس بن الخطيم تحقيق د. ناصر الدين الأسد، مكتبة العروبة، مصر، ١٩٦٢م.
- ١٩- ديوان كعب بن مالك؛ جمع وتحقيق سامي مكي العاني، مكتبة النهضة بغداد، بلا تاريخ.
- ٢٠- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: عبد الرحمن السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الركيل، دار الكتب الحديثة بمصر.
- ٢١- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين العصامي المكي، المطبعة السلفية، مصر.
- ٢٢- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، الجزء الأول بتحقيق صلاح الدين المنجد، نشر معهد المخطوطات، والثاني بتحقيق إبراهيم الأبياري، طبعة ذخائر العرب بمصر.
- ٢٣- سيرة دحلان: أحمد زيني دحلان، المطبعة الذهبية، مصر، ١٢٨٥هـ.
- ٢٤- السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري

- عبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثالثة ١٩٧١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٥- شرح شواهد المغني: جلال الدين السيوطي، مطبعة دار الحياة، بيروت.
- ٢٦- شرح المواهب اللدنية: الزرقاني، المطبعة الأميرية، مصر.
- ٢٧- صحيح البخاري بشرح الكرماني. مصر. بلا تاريخ.
- ٢٨- صفة الصفوة: ابن الجوزي، حيدرآباد، الهند، ١٣٥٥هـ.
- ٢٩- الطبقات الكبرى: ابن سعد، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
- ٣٠- العقد الفريد: ابن عبد ربه، مطبعة لجنة التأليف والنشر، مصر، ١٩٤٦م.
- ٣١- العمدة: ابن رشيقي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر، ١٩٥٥م.
- ٣٢- عيون الأخبار: ابن قتيبة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.
- ٣٣- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري: ابن حجر العسقلاني، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٢٥هـ.
- ٣٤- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، المطبعة الأميرية، مصر ١٣٤٨هـ.
- ٣٥- الكتاب: سيويه، المطبعة الأميرية، مصر ١٣١٦هـ.
- ٣٦- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: نور الدين السمهودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر ١٣٧٤هـ.

رابعاً: أخبار جمعية

مشروع قانون اللغة العربية

رفع الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، إلى دولة رئيس الوزراء، مشروع قانون اللغة العربية الذي أقره مجلس المجمع، في جلسته الثامنة والأربعين والمائتين، بتاريخ ٨/٧/١٩٩٠م، وذلك من أجل اتخاذ الإجراءات المناسبة بشأن تنفيذه. ويهدف القانون إلى تعزيز مكانة اللغة العربية في المؤسسات الرسمية والخاصة، وفي المؤسسات العلمية والتعليمية في الأردن، وفيما يلي مواد مشروع هذا القانون:

قانون رقم () لسنة ١٩٩٠

قانون اللغة العربية

(صادر بموجب المادة الثانية من الدستور)

المادة الأولى :

يسمى هذا القانون (قانون اللغة العربية رقم () لسنة ١٩٩٠) ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

المادة الثانية :

تلتزم الوزارات والدوائر الرسمية، والمؤسسات العامة والخاصة والمصالح والمحلات التجارية وسواها والشركات، والنقابات، والجمعيات، والمنظمات، والمصانع باستخدام اللغة العربية السليمة في وثائقها ومعاملاتها وتسمياتها.

المادة الثالثة :

تلتزم المؤسسات التعليمية العامة والخاصة، في كل مراحل التعليم العام والعالى والجامعى باستخدام اللغة العربية السليمة لغة للتعليم والبحث العلمى، والحرص على تنشئة الطلبة على حسن التعبير بها لفظاً وكتابة.

المادة الرابعة :

تلتزم وسائل النشر والإعلام جميعها (صحافة وإذاعة وتلفزة) باستخدام اللغة العربية السليمة نطقاً وكتابة في برامجها ومنتجاتها وإعلاناتها.

المادة الخامسة :

(أ) تسمى بأسماء عربية :-

- ١ . المدن والقرى والشوارع والمواقع .
- ٢ . المؤسسات التجارية والمالية والصناعية والعلمية والاجتماعية ومؤسسات الخدمات والترفيه والسياحة وغيرها .
- ٣ . المصنوعات والمنتجات الأردنية .

(ب) يجوز للشركات العالمية التي أصبح لأسمائها أو أسماء منتجاتها أو مرافقها شهرة عالمية أن تحتفظ بالاسم الأجنبى بعد إضافته إلى اسم عربى .

المادة السادسة :

(أ) تكتب بالعربية السليمة :

- ١ . الكتب الصادرة عن المؤسسات الرسمية، وغير الرسمية، العامة والخاصة .
- ٢ . السجلات والوثائق والعقود والمعاهدات والاتفاقيات .
- ٣ . البيانات والمعلومات المتعلقة بالمصنوعات والمنتجات الأردنية .

(ب) يجوز أن ترافق ما ورد في هذه المادة ترجمة بلغة أجنبية، على أن تكون العربية هي المعتمدة .

المادة السابعة :

أ) تكتب بالعربية :

- ١ . لافتات المؤسسات الأردنية الرسمية وغير الرسمية .
- ٢ . رؤوس أوراق المؤسسات الأردنية الرسمية وغير الرسمية ومطبوعاتها داخل الأردن وخارجه .
- ٣ . أوراق النقد والمسكوكات والطوابع والمداليات الأردنية .
- ٤ . تسجيل العلامات التجارية .

ب) يجوز أن تضاف إلى الكتابة العربية في كل ما تقدم ما يقابلها بلغة أجنبية، على أن تكون العربية أكبر حجماً وأبرز مكاناً .

المادة الثامنة :

على الوزارات والدوائر والمؤسسات أن تستعين بمتمكنين من اللغة العربية كي تستوثق من سلامة العربية في رسائلها ووثائقها .

المادة التاسعة :

يعتمد مجمع اللغة العربية الأردني في وضع المصطلحات العلمية والفنية، وتلتزم برأيه الجهات المختصة .

المادة العاشرة :

يعاقب المخالف لأحكام هذا القانون بالعقوبات التالية :

- ١ . إذا كان المخالف موظفاً، وارتكب المخالفة في أثناء أدائه واجبات وظيفته فيعاقب، عند تكراره المخالفة على الرغم من التنبيه تحريراً، بإحدى العقوبات الانضباطية المنصوص عليها في التشريعات النافذة .
- ٢ . إذا كان المخالف غير موظف، سواء أكان شخصاً طبيعياً أم معنوياً، فينذر بإزالة المخالفة خلال مدة عشرين يوماً من تاريخ

تبلغه بالإنداز وعند امتناعه يعاقب بغرامة لا تتجاوز خمسمئة دينار، وعند عدم إزالته المخالفة خلال مدة عشرة أيام من تاريخ تبلغه بالغرامة يعاقب بالغلق لحين إزالة المخالفة.

المادة الحادية عشرة:

تعطى الجهات المعنية من المؤسسات العامة والخاصة التي ينطبق عليها هذا القانون مدة سنة لتصحيح أوضاعها وفقا لأحكام هذا القانون.

المادة الثانية عشرة:

يصدر مجلس الوزراء الأنظمة اللازمة لتنفيذ أحكام هذا القانون.

المادة الثالثة عشرة:

يلغى أي نص تشريعي يتعارض مع أحكام هذا القانون.

المادة الرابعة عشرة:

يجري الالتزام بهذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

المادة الخامسة عشرة:

رئيس الوزراء والوزراء مكلفون بتنفيذ أحكام هذا القانون.

قانون تعميم اللغة العربية في الجزائر

أصدر المجلس الشعبي الوطني الجزائري قانون تعميم اللغة العربية في الجزائر، وقد بعث الأستاذ عبد الكريم خليفة، باسمه واسم أعضاء المجمع برسائل تهنئة إلى سيادة الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية الجزائرية وإلى رئيس المجلس الشعبي الوطني الجزائري وإلى الأمين العام لجهة حزب التحرير الوطني الجزائري، وفيما يلي نص الرسالة التي بعث بها إلى سيادة رئيس الجمهورية الجزائرية :

«سيادة الرئيس الشاذلي بن جديد حفظه الله»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد :

فيسعدني أن أرفع إلى سيادتكم وإلى المجلس الشعبي الوطني الجزائري وإلى شعب الجزائر البطل، باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني، أسمى آيات التهاني وأصدق عبارات التحية والتقدير، على ما قام به المجلس الشعبي الوطني الجزائري بأكثريته الكاثرة، بإصدار قانون تعميم اللغة العربية، وإقرار سياسة التعريب الشامل، وجعله إحدى الثوابت الراسخة في بناء الجزائر الحديثة، بلد الجهاد والنضال والتقدم العلمي والحضاري، فالعربية هي لغة العروبة والإسلام، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهي لغة أمتنا في امتدادها الحضاري عبر ما يزيد على أربعة عشر قرناً، وفي امتدادها الجغرافي الحديث من المحيط إلى أقاصي المشرق. وإنه لا إبداع ولا مشاركة أصيلة في بناء الحضارة العربية الحديثة إلا من خلال العربية وإن إقرار هذا القانون في أعلى مؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية في القطر الجزائري الشقيق، القطر المجاهد، بلد المليون شهيد، هو النموذج الذي نأمل أن تحذو حذوه الأقطار العربية الأخرى، التي ما زالت متخلفة عن اللحاق بهذه المرحلة التاريخية وقد جاء هذا القرار التاريخي ليثبت أن القضية اللغوية عند أية

أمة من الأمم هي قضية سياسية تتصل بهوية الأمة وجوهر كيائها، وإن تاريخ نشوء الأمم وتحررها، وازمحلها أيضا، في القديم والحديث، لشاهد على الصلة العضوية بين اللغة والإرادة السياسية.

وأخيرا، أدعو الله سبحانه وتعالى، أن يوفقكم وأن يسدد إلى طريق الخير والفلاح مسعاكم، متمنيا لسيادتكم وللشعب الجزائري البطل دوام التوفيق والنجاح والسؤدد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

مشاركة المجمع في الحركة الثقافية والعلمية

أ - الموسم الثقافي التاسع لمجمع اللغة العربية الأردني

عقدت لجنة الندوات والمحاضرات في المجمع، برئاسة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع عدة جلسات من أجل تحديد المحور الرئيسي للموسم الثقافي التاسع للمجمع لعام ١٩٩١م، وعناوين ندواته ومحاضراته، وقد أقرت اللجنة ما يلي:

أولا : يكون المحور الرئيسي للموسم الثقافي التاسع للمجمع بعنوان «تعريب التعليم الجامعي في الأردن ضرورة قومية وتنموية».

ثانيا : يتألف الموسم الثقافي من ثلاث محاضرات وندوتين

أما المحاضرات فهي :

- ١ . المحاضرة الأولى «التعريب ضرورة تنموية»
- ٢ . المحاضرة الثانية « دور مجامع اللغة العربية في التعريب» .
- ٣ . المحاضرة الثالثة «التعريب ووحدة الأمة» .

أما الندوتان فالأولى بعنوان «واقع التعريب في الجامعات الأردنية» والثانية بعنوان «دور المؤسسات السياسية والعلمية والإعلامية في التعريب» .

وسيداً الموسم الثقافي التاسع، الساعة الخامسة من مساء يوم السبت بتاريخ ٢٠/٤/١٩٩١ ويستمر إلى ١٨/٥/١٩٩١.

ب - تلقى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع، رسالة من زميله الأستاذ الدكتور إسحق أحمد فرحان عضو المجمع، ورئيس جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية ورئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر «نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة» يطلب فيها الموافقة على إقامة حفل افتتاح هذا المؤتمر في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع. وقد رحب الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة بذلك، وبدأ المؤتمر أعماله بتاريخ ٢/١/١٤١١ هـ الموافق ٢٤/٧/١٩٩٠ م.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن هذا المؤتمر قد نظّمته جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإسلامية في واشنطن وجامعتي اليرموك ومؤتته.

وقد ألقى معالي الأستاذ إسحق أحمد فرحان، كلمة افتتاح المؤتمر، ثم ألقى رؤساء الوفود والهيئات المشاركة كلماتهم، وألقى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالي ضيف المؤتمر بحثاً علمياً مستفيضاً حول موضوع المؤتمر.

ج - تعريب لفظة Facsimile

أقر مجلس مجمع اللغة العربية الأردني ثلاثة معانٍ للفظة الأجنبية Facsimile وإيماناً من المجمع بتعميم استعمالات هذه المعاني في الوزارات والمؤسسات العامة والخاصة والجامعات الأردنية ومراكز البحث العلمي والنقابات المختلفة فقد رفع الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع رسالة إلى دولة رئيس الوزراء السيد مضر بدران وفيها يلي نصها:

دولة السيد مضر بدران الأكرم

رئيس الوزراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فيسعدني أن أرفع إلى دولتكم بأن مجمع اللغة العربية الأردني قد ناقش

مصطلح (Facsimile) في أثناء مناقشته مصطلحات الراديو والتلفاز والكهرباء العامة . ووجد أن هذا المصطلح يدل في أصله الأجنبي على ثلاثة معان هي :
١ - «Facsimile» بمعنى الأداة أو الجهاز الذي تتم بوساطته عملية الإرسال والاستقبال .

٢ - «Facsimile» بمعنى العملية نفسها .

٣ - «Facsimile» بمعنى النسخة المرسل .

ومن الواضح أن اللفظة الأجنبية «Facsimile» تدل على معان مختلفة وأن تعريبها بكلمة «فاكس أو فاكسملي» لا يفي بالغرض المطلوب لأن اللفظة المعربة ليس فيها مرونة اشتقاقية تساعد على أن يشتق منها أفعال أو مصدر أو اسم آلة أو غير ذلك من المشتقات ، كما أن فيها مجانية صرفية لأبنية العربية ، فضلا عن ثقل اللفظ .

وبعد مناقشة دلالات هذا المصطلح أقر مجلس المجمع بأن تكون المقابلات العربية له على النحو التالي :

١ - نَأْسُوخُ ، إذا قصد به الأداة ، وهو على وزن فاعول باعتباره اسم آلة .

٢ - نَوَسَخَ ، إذا قصد به العملية نفسها ، والفعل منه نَوَسَخَ يُنَوِّسِخُ .

٣ - نَسِيخَةٌ ، إذا قصد به النسخة المرسل ، وهو على وزن فعيلة ، كما نقول :
صحيفة .

ومن الملاحظ أن هذه المقابلات تتصف بمرونة الاشتقاق ، ودقة الدلالة ، وسهولة الاستعمال وسيؤدي ذلك كله وما تحمله هذه اللفظة من ظلال المعاني الموحية لهذه الآلة الحضارية الحديثة ، إلى جعل هذه المقابلات العربية أكثر شيوعا ، وأسهل استعمالا في الأوساط العلمية والعامة .

وبناء على توجيهات دولتكم وحرصكم على سلامة لغتنا وجعلها مواكبة روح العصر في مختلف المجالات التقنية والعلمية والفنية ، وتعزيز مكانتها في

حياتنا العلمية والعملية، وتعميم استخدام هذا المصطلح لدى جميع مستخدمي في الأردن فإننا نأمل أن تتكرموا - دولتكم - باتخاذ ما ترونه مناسباً من أجل اعتماد المقابلات العربية الأنفة الذكر، في جميع المعاملات والمراسلات التي تصدر عن الوزارات والدوائر الرسمية والمؤسسات العامة والخاصة في الأردن .

ويطيب لي بهذه المناسبة أن أرفع إلى دولتكم باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني خالص شكرنا وعميق تقديرنا على جهودكم الطيبة التي تبذلونها من أجل رفعة أردننا العزيز في مختلف المجالات وعلى جميع الأصعدة، تحت قيادة صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم، حفظه الله ونصره .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام «

كما وجه الأستاذ رئيس المجمع رسائل إلى الجامعات العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمؤسسات العلمية في الوطن العربي تضمنت المعاني التي أقرها مجلس المجمع لكلمة «Facsimile» بغية تعميمها والإفادة منها، حرصاً على توحيد المصطلحات العلمية على مستوى الوطن العربي .

د - التقى الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني مساء يوم الثلاثاء الموافق ١٩٩١/١/١ رئيس وأعضاء جمعية تعريب العلوم الطبية التابعة لنقابة الأطباء الأردنيين وهم الدكتور فتحي أبو مغلي رئيس الجمعية والدكتورة سري سبيع العيش والدكتور أحمد العرموطي .

وشارك في اللقاء أعضاء لجنة التأليف والترجمة للعلوم الصحية في مجمع اللغة العربية الدكتور قنديل شاكر مقرر اللجنة والدكتور أكرم الدجاني والدكتور عاصم الشهابي، وشارك في الاجتماع الدكتور عبد الحميد الفلاح الأمين العام للمجمع .

أثنى الدكتور خليفة على جهود أعضاء جمعية تعريب العلوم الطبية ونقابة الأطباء لتوجههم القومي وحرصهم على تأصيل العلوم الطبية باللغة العربية

مشيرا إلى جهود المجمع في مجال تعريب العلوم بصورة عامة والعلوم الطبية بصورة خاصة :

وقال إن تعريب العلوم المختلفة ضرورة حتمية وقضية قومية يفرضها تعدد مصادر المعرفة والمشاركة الفاعلة والمبدعة في الحضارة الإنسانية مشيرا إلى جهود المجمع في مجال تعريب التعليم العلمي الجامعي حيث أصدر ثمانية عشر كتابا من أمهات الكتب العلمية في الفيزياء والكيمياء والرياضيات والعلوم الحياتية وعلم طبقات الأرض كما أنه دعم نشر عدد من الكتب العلمية المؤلفة، ووضع مرادفات بالعربية لعدد كبير من المصطلحات العلمية المختلفة، ورفع مشروع قانون اللغة العربية إلى مجلس الوزراء لاتخاذ الإجراءات المناسبة بشأنه.

وتم خلال اللقاء عرض المشروعات التي أعدتها لجنة التأليف والترجمة للعلوم الصحية في المجمع في مجال تعريب المصادر الأساسية في الطب.

وناقش المجتمعون الأسس الرئيسية لوضع مشروع متكامل لتعريب العلوم الطبية والسبل الكفيلة بإنجاح هذا المشروع مؤكداين حرصهم على التنسيق والتعاون مع المجمع لتحقيق هذا الهدف.

هـ - زار عميد كلية الهندسة في جامعة العلوم والتكنولوجيا في السودان، ومدير مكتبها مجمع اللغة العربية الأردني، والتقيارئيس المجمع الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، وذلك من أجل معرفة الجهود التي بذلها مجمع اللغة العربية الأردني في مجال تعريب التعليم العلمي الجامعي، والإفادة من هذه الجهود فيما يبذله السودان الشقيق في مجال تعريب العلوم بعامة والعلوم الهندسية بخاصة.

وقد أطلع الأستاذ الرئيس الضيفين على جهود المجمع في هذا المجال، وأبدى الضيفان إعجابهما بهذه الجهود، وقد تم تزويدهما بثلاث نسخ من كل كتاب علمي أصدره المجمع في مجال التعريب.

مجمعيون في ذمة الله

١ . الأستاذ الدكتور جميل سعيد

نعى المجمع العلمي العراقي ببغداد المربي الفاضل والأستاذ الكبير الدكتور جميل سعيد، العضو المؤازر في مجمع اللغة العربية الأردني، وقد بعث رئيس المجمع ببرقية تعزية إلى السادة أنجال الفقيد وإخوته وعائلته وفيما يلي نصها:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإني أبعث إليكم باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني بأحر تعازينا وصادق مشاركتنا وعظيم إحساسنا بالمصاب الأليم والرزء الكبير بوفاة الأستاذ الجليل والعالم الأريب والمربي الكبير المرحوم الأستاذ الدكتور جميل سعيد . وقد كان لهذا النبأ الفاجع أعظم الأثر في نفوسنا، وعزاؤنا جميعاً أن الأستاذ الفقيد قدم لنفسه بين يدي ربه من خدمة لغة القرآن الكريم والتراث العربي الإسلامي ما يخلد ذكره في الدنيا ويعلي درجته في الآخرة .

ونضرع إلى الله العلي القدير أن يحفظكم وأن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يلهمكم جميل الصبر وحسن العزاء وموصول الدعاء له . وأن يجعلكم من الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون» .

كما بعث إلى الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي، رئيس المجمع العلمي العراقي، ببرقية التعزية التالية:

«الأخ الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي حفظه الله

رئيس المجمع العلمي العراقي / الوزيرية - بغداد

ص . ب (٤٠٢٣) - الأعظمية / العراق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقينا ببالغ الحزن وعظيم الأسى نبأ وفاة زميلنا المجمعى الجليل والعالم الكبير والأديب الأريب والمربي الفاضل الأستاذ الدكتور جميل سعيد،

وإنني لأبعث إليكم باسمي واسم زملائي أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني بأحر التعازي، وأعمق مشاعر الحزن والألم بالفقيد الراحل الذي نعد فقده مصاباً لنا جميعاً وللغة العربية وللمجامع اللغوية العربية وللأدب والفكر والتراث العربي الإسلامي، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وأهلمكم بعده الصبر والسلوان، وجعلكم من الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون» .

ولد الفقيد سنة ١٩١٦ في عانة، وتلقى فيها دراساته الأولى، ثم التحق بدار المعلمين الابتدائية، ثم تابع دراسته في الجامعة المصرية، وبعد أن حصل على الإجازة الأولى (الليسانس) سنة ١٩٤٣ تابع تحصيله العلمي بإشراف المرحوم الأستاذ أحمد أمين فنال شهادة (الماجستير) في رسالته عن «تطور الخمريات في الشعر العربي» سنة ١٩٤٥ و (الدكتوراة) في رسالته «الوصف في الشعر العراقي» سنة ١٩٤٧، وكانت صلته بالتعليم الجامعي مبكرة، فقد عين في سنة ١٩٤٥ مدرساً بدار المعلمين العالية ببغداد، ثم انتقل إلى كلية الآداب والعلوم في أول تأسيسها سنة ١٩٤٩، وظلت صلته بها متتابعة، كان فيها أستاذاً للآداب العربي، ورئيساً لقسم اللغة العربية، ومعاوناً لعميدها، ثم تولى عمادة كلية الآداب سنة ١٩٦٤، بعد أن قضى سنة عميداً لكلية الشريعة .

وامتدت خدماته الجامعية إلى أقطار من الوطن العربي فقد قضى عدة سنوات أستاذاً في جامعة الرياض سنة ١٩٧١ ثم انتقل إلى جامعة الإمارات العربية، فكان فيها أستاذاً ورئيس قسم وعميداً، وتولى وكالة رئاستها بعض المدة، ولما انتهت خدماته فيها لبلوغه السن القانونية عاد إلى وطنه في بغداد إلى أن وافاه الأجل المحتوم .

شارك الفقيد خلال مسيرته العلمية بعدد من الندوات والحلقات الدراسية والمؤتمرات العلمية المعنية بموضوع اختصاصه وكانت صلته بالمجامع وثيقة، فقد عين عضواً في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٥ وظل فيه بعد إعادة تشكيله سنة ١٩٧٧ وكان أيضاً عضواً مؤازراً في المجامع العربية الثلاثة، في القاهرة ودمشق والأردن .

وقد أغنى المكتبة العربية بإنتاجه الغزير في مجال تحقيق التراث والتأليف والترجمة ومن أهم مؤلفاته:

تحقيق «ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات» وشارك في تحقيق «الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور» لابن الأثير، وتحقيق الجزء الخاص بشعراء العراق من «خريدة القصر»، للعماد الأصفهاني، ومن مؤلفاته أيضاً «نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق»، «وتاريخ الأدب العربي» و«دروس في البلاغة وتطورها».

وقد نشر عددا كبيرا من البحوث والمقالات الأدبية في كثير من الدوريات العربية المحكمة، كما أشرف على إعداد رسائل جامعية كثيرة ومتعددة.

وقد كان حافظاً للشعر، بارعا في الاستشهاد به، كما كان صاحب طبع هادىء ودمائة في الخلق رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

٢. الدكتور إسحق موسى الحسيني

في يوم الاثنين ١٧/١٢/١٩٩٠، نعى مجمع اللغة العربية الأردني علما من أعلامه البارزين في الأدب والثقافة، عضو الشرف الأديب الكبير والمربي الفاضل الأستاذ الدكتور إسحق موسى الحسيني.

ولد الفقيه سنة ١٩٠٤، وتلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب سنة ١٩١١م. ثم التحق بالمدرسة (المنجكية) و (الرصاصة) و (الرشيدية)، و (بلوز سلطان سليم) و (نيتر الزراعية) و (الكلية الصلاحية) و (الفرير) وأتم تعليمه الثانوي في (الكلية الإنجليزية) سنة ١٩٢٣، وفي السنة نفسها التحق بالجامعة الأمريكية في القاهرة، ونال شهادة الدبلوم في الصحافة، ثم عاد إلى القدس عام ١٩٢٥ وعين مدرسا في المدرسة (الرشيدية)، وكان في الوقت نفسه طالبا في مدرسة الحقوق في القدس.

وفي عام ١٩٢٦م التحق بالجامعة المصرية في القاهرة، وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية في العام الدراسي ١٩٢٩/١٩٣٠، والتحق

في العام التالي بجامعة توبنجن بألمانيا وتخصص في اللغات السامية لمدة فصلين متتاليين، ثم عاد إلى لندن حيث نال دبلوم مقارنة اللغات السامية، والدكتوراة من جامعة لندن عام ١٩٣٤م، وعاد في السنة نفسها إلى القدس، وعمل في المدرسة الرشيدية، ثم في الكلية العربية من (١٩٣٤-١٩٤٦) ثم عين مفتشاً أعلى للغة العربية في إدارة المعارف العامة بـفلسطين من (١٩٤٦-١٩٤٨).

وغادر فلسطين قاصداً حلب عام ١٩٤٨م، وأقام فيها سنة واحدة، ثم غادرها إلى بيروت عام ١٩٤٩م، وعمل مدرسا في الجامعة الأمريكية من (١٩٤٩-١٩٥٤) وأعيد عام ١٩٥٢ للتدريس في جامعة مكجيل في كندا لمدة عام واحد.

وغادر بيروت إلى القاهرة سنة ١٩٥٥م، حيث عمل أستاذاً في معهد الدراسات العربية العالية، ثم رئيساً لقسم اللغة العربية في المعهد.

بدأت صلته بالمجامع اللغوية العربية سنة ١٩٦١، عندما اختير عضواً في المجمع العلمي في بغداد، ثم انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وانتخب عضواً في مجمع البحوث الإسلامية هناك عام ١٩٦٢. وفي عام ١٩٨٥ تمّ انتخابه عضواً في مجمع اللغة العربية الأردني.

وقد انتدب الفقيه للتدريس في جامعة مكجيل في كندا من (١٩٦٣-١٩٦٩) ورجع بعدها إلى القاهرة، وبقي فيها أستاذاً في الجامعة الأمريكية حتى سنة ١٩٧٣، وعاد إلى القدس واستقر فيها.

وفي عام ١٩٨٢ انتخب عضواً في مجلس أمناء كلية العلوم والتكنولوجيا، في جامعة القدس ورئيساً لكلية الآداب للبنات، وهي إحدى كليات الجامعة، ثم عميداً لكلية الآداب في الجامعة نفسها.

وله عدة مؤلفات في الفكر والأدب منها: «أبحاث في ماضي المسلمين وحاضرهم»، و«الأدب والقومية العربية»، و«أزمة الفكر العربي» و«الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه» و«تعريب العرب» و«عروبة بيت

المقدس» و «العنصرية أساس قيام إسرائيل» و «في الأدب العربي الحديث» و «المدخل إلى الأدب العربي المعاصر» و «مكانة بيت المقدس في الإسلام»، و «النقد الأدبي المعاصر في الربع الأول من القرن العشرين» و «عودة السفينة» و «مذكرات دجاجة».

وبفقد المرحوم فقد الوطن مناضلاً ومرابطاً في بيت المقدس، كما فقدت الجامع اللغوية العلمية العربية عالماً جليلاً من علمائها البارزين، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣. الدكتور أحمد سليم سعيدان

نعى مجمع اللغة العربية الأردني، عضو الشرف، العالم الكبير والمربي الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد سليم سعيدان الذي وافته المنية، صباح يوم الأربعاء ١٤١١/٧/٨ هـ الموافق ١٩٩١/١/٢٣ م.

ولد الفقيد في صفد من مدن فلسطين سنة ١٩١٢، وتلقى فيها تعليمه الابتدائي، وأكمل تعليمه الثانوي في الكلية العربية في القدس، ثم أرسل في بعثة دراسية إلى الجامعة الأمريكية في بيروت ونال شهادة البكالوريوس، في الرياضيات.

عمل في التعليم في الكلية الرشيدية، والكلية العربية في القدس من سنة ١٩٣٤ إلى ١٩٤٨، ووضع خلال هذه المدة كتباً عدة في الرياضيات لطلاب المدارس الثانوية، كما كان يعد نشرات بالأنباء العلمية للإذاعة من محطة القدس، وساهم في الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى العربية.

نال درجة الشرف الثانية في الرياضيات من جامعة لندن سنة ١٩٤٨ وعمل في التعليم لدى الحكومة السودانية، وجامعة الخرطوم من سنة ١٩٤٨ إلى ١٩٦٩، وضع خلال هذه المدة كتباً عدة في الرياضيات لطلاب المدارس السودانية، وقد نال شهادة الدكتوراة في تاريخ الرياضيات عند العرب.

وفي سنة ١٩٦٩، التحق بهيئة التدريس في كلية العلوم بالجامعة

الأردنية، وفيها حصل على رتبة الأستاذية، وشغل منصب عميد كلية العلوم مدة سنتين.

وفي سنة ١٩٧٩ شارك في تأسيس جامعة القدس، وأسس كلية العلوم في «أبوديس»، واستمر فيها إلى أن أبعده سلطات الاحتلال اليهودي، وأقفلت الكلية قرابة السنة. ومنذ ذلك التاريخ عكف - رحمه الله - على الكتابة والتأليف في تاريخ الرياضيات عند العرب وتحقيق المخطوطات النادرة، وقد أغنى الفقيه المكتبة العربية العلمية بمؤلفات علمية وتراثية وترجمات عديدة، فكان له أكثر من ثلاثين كتاباً تدرسيًا معظمها بالاشتراك مع آخرين، وحوالي خمسين بحثًا منشورًا، وله عدة كتب في تاريخ الرياضيات عند العرب تشمل نحو ثلاثين مخطوطة. وترجم عدة مؤلفات رياضية إلى العربية، وكانت له جهود مشكورة في إنجازات مجمع اللغة العربية الأردني بعامة وفي مجال تعريب التعليم العلمي بخاصة.

ومن مؤلفاته: كتاب «الفكر الإنساني في طفولته» و«قاموس مصطلحات الرياضيات الابتدائية، محاولة تاريخية».

وقد ترجم كتاب البحث عن الحل، وشارك في ترجمة كتب رياضية عدة منها: التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية، وكتاب مبادئ المعادلات التفاضلية وتطبيقاتها، وكتاب الجبر المجرد، وكتاب مبادئ التحليل الرياضي.

وحقق عددا من المخطوطات الرياضية منها: كتاب أبي الوفاء البوزجاني وكتاب الفصول للإقليدسي، ورسالة تسطيح الصور وتطيح الكور للبيروني، ورسالة الأعداد المنحابة لثابت بن قرة.

وانتخب عضوا مؤازرا في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٩م، وعضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٨م.

وإن فقدته خسارة كبيرة للتراث العلمي العربي الإسلامي، وللمجتمع اللغوية والعلمية العربية، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تأليف كتب مبحث اللغة العربية لمرحلة التعليم الأساسي

يحرص مجمع اللغة العربية الأردني على التعاون والتنسيق بينه وبين المؤسسات العلمية والتعليمية في داخل الأردن وخارجه، وانطلاقاً من ذلك تعهد المجمع بأن يقوم بتأليف كتب مبحث اللغة العربية لمرحلة التعليم الأساسي لحساب وزارة التربية والتعليم في الأردن.

ألف المجمع لجنة للإشراف العلمي على عملية تأليف هذه الكتب كما ألفت لجاناً للتأليف حرص على أن تتوافر فيها الكفايات العلمية والخبرات التربوية، وقد فرغت اللجان من تأليف كتب الصفوف: الأول والخامس والتاسع من هذه المرحلة، وعرضت على الفريق الوطني وعلى مجلس التربية والتعليم فأقرها. وباشرت بتأليف كتب الصفوف: الثاني والسادس والعاشر من هذه المرحلة.

الى الأخواه الكتّاب :

يرجى مراعاة ما يلي :

- ١- أن تقتصر البحوث على اللغة العربية، والتراث العربي الإسلامي :
العلمي والأدبي والفني، وشؤون التعريب، ومراجعة الكتب المحققة وما
إليها، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله .
- ٢ - أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة، وحسن الترقيم، والتوثيق قبل إرسال
بحثه للنشر.
- ٣ - أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الهادئ، الخالي من
الانفعالات الحادة التي قد تسيء الى المؤلف أو الباحث .
- ٤ - أن تكون البحوث المرسلة للنشر في نسختها الأصلية، وخاصة بالمجلة .

رئيس التحرير



JOURNAL
Of The Jordan Academy Of Arabic



Nos. (39)

Vol. XIV
